نور اليقين

في سيرة سيد المرسلين

لمؤلفه

(محمد الخضرى)

(الحائز شهادة التدريس من مدرسة دار العلوم الخديوية)
والمدرس بمدرسة الصنائع الاميرية
« بالمنصوره »

الطبعة الاولى سنة ١٣١٥

المطبعة الجامعة (سليم حبالين بمصر)

كتاب

نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين

(لمؤلفه)

(محمد الخضرى)

(الحائز شهادة التدريس من مدرسة دار العلوم الخديوية)
والمدرس بمدرسة الصنائع الاميرية
« بالمنصوره »

(سنة ١٣١٥)

الطبعة الاولى بالمطبعة الجامعة (سليم حيالين بمصر)

*

*

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يامن اوضحت لنا سبل الهداية وأزحت عن بصائرنا غشاوة الغواية ونصلي ونسلم على من أرسلته شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله بأذنه وسراجاً منيرا وعلى الاصحاب الذين هجروا الاوطان يبتغون من الله الفضل والرضوان والانصار الذين آووا ونصروا وبذلوا الاعزاز الذين ماجمعوا وما ادخروا (امابعد) فيقول محمد الخضرى ابن المرحوم الشيخ عفيفى الباجورى كنت أجد من نفسى منذ النشأة الاولى ارتياحاً لقراءة تواريخ السالفين وقصص الغابرين وأجدها للعقل الانسانى أحسن مهذب وأنصح معلم وكنت أرى فى تاريخ نبينا عليه الصلاة والسلام ومالقيه من أذى قومه حينما دعاهم الى الحق وعظيم صبره حتى هجر اوطانه وبلاده أعظم مرب لافكار المسلمين حيث

يدلهم ذلك على ما يجب اتباعه وما يلزم اجتنابه ليسودوا كما ساد سابقوهم وخصوصاً ما يتعلق بالحكام من اجتذاب النفوس النافرة والتأليف بين القلوب المختلفة وما يتعلق بقواد الجيوش من تأليف الرجال وأحكام المعدات حتى يتم لهم النصر على اعدائهم وما يتعلق بالعامة من اتحاد قلوبهم وصيرورتهم يداً على من سواهم فكنت أجد من قراءتها ارتياحاً عظيماً وكانت نفسي كثيراً ما تأسف على ترك العامة لها فقلما اجد من يشتغل بها ولكني كنت اقدم لهم العذر بتطويل الكتب المؤلفة في هذا الموضوع فلما قدمت مدينة المنصورة جمعتني النوادي مع انسان عين هذا الدهر رب المجد والفخر الجامع لاشتات الفضل والقابض على ميزان العدل الذي احرز لنفسه بعظيم نبله مفاخر الدنيا وذخر الدين صاحب السعادة محمود بك سالم القاضي بمحكمة المنصورة المختلطة فوجدت منه علماً بدينه تقف دونه فحول الرجال وتتأخر عن مسابقته الابطال فقلما توضع مسألة دينية الا وجدته مبرزاً فيها مفصحاً عن الجواب عنها اما علمه بسيرة الرسول الاكرم فعنده منها الخبر اليقين وكنت كثيراً ما اسمعه يتشوف لعمل سيرة خالية من الحشو والتعقيد تنتفع بها عامة المسلمين فقلت بالله لقد وافق هذا السيد الكريم ما في

نفسى ولكنى كنت ارى فى نفسى قصورا عن تنفيذ رغبته وتميم أمنيته فان المقام عظيم وصعوباته أعظم ولكن لم أر من الامر بداً تلقاء ما كنت أسمعه من كبار رجال المنصورة الذين اشتهروا بالفضل والفضيلة فانهم أكثروا من الامانى لعمل هذا الكتاب العميم النفع الجزيل الفائدة فقمت معتمداً على الله راجياً منه ان يوفقنى لما فيه رضاه وواصلت السير بالسرى حتى بلغت المنى فجاء بحمد الله كتاباً سهل المنال عذب المورد تنتفع به العامة وترجع اليه الخاصة وقد كان موردى فى تأليفه القرآن الشريف وصحيح السنة مما رواه الامامان البخارى ومسلم ولم أخرج عنهما الا فيما لابد منه من تفهيم العبارات فكان يساعدنى الشفاء للقاضى عياض والسيرة الحلبية وكتاب المواهب للقسطلانى وأحياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالى ولكتابى هذا الحظ الاوفر والنصيب الاكمل لظهوره فى زمن هو غرة الازمان وميدان تسابق فيه رجال البيان زمن حليت طلعته وجملت غرته بخديوية الامير الجليل عزيز مصر عباس باشا الثانى أعز الله ملكه وأدام حياته مستظلاً بلواء أمير المؤمنين وحامى بيضة

الدين الخليفة الاعظم السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد رفع الله قدر دولته واناله جل رغبته آمين

وقد آن ان نشرع فيما قصدناه مستعينين بحول الله فنقول

السيد الاكرم الذى شرف العالم بوجوده هو (محمد بن عبد الله) من زوجته آمنة بنت وهب الزهرية القرشية (ابن عبد المطلب) من زوجته فاطمة بنت عمرو المخزومية القرشية وكان عبد المطلب شيخاً معظماً في قريش يصدرون عن رأيه في مشكلاتهم ويقدمونه فى مهماتهم (ابن هاشم) من زوجته سلمى بنت عمرو النجارية الخزروجية (ابن عبد مناف) من زوجته عاتكة بنت مرة السلمية (ابن قُصَى) من زوجته حُبّى بنت حليل الخزاعية وكان الى قصى فى الجاهلية حجابة البيت وسقاية الحاج واطعامه المسمى بالرفادة والندوة وهى الشورى لا يتم أمر الا فى بيته واللواء لا تعقد راية لحرب الا بيده ولما أشرف على الموت جعلها فى يد أحد أولاده عبد الدار ولكن بنو عبد مناف أجمعوا رأيهم على ان لا يتركوا ابنى عمهم عبد الدار يستأثرون بهذه المفاخر وكاد يفضى الامر الى القتال لولا ان تدارك الامر عقلاء الفريقين فاعطوا ابنى عبد مناف السقاية والرفادة فدامتا فيهم الى ان انتهتا للعباس بن عبد المطلب ثم لبنيه من

النسب الشريف

بعده اما الحجابة فبقيت بيد بني عبد الدار الى الآن وهم بنو شيبة واما اللواء فدام فيهم حتى أبطله الاسلام وجعله حقاً للخليفة على المسلمين يضعه فيمن يراه صالحاً له وكذلك الندوة وقصى (بن كلاب) من زوجته فاطمة بنت سعد وهي يمانية من أزد شنوءة (ابن مرة) من زوجته هند بنت سرير من بني فهر بن مالك (ابن كعب) من زوجته مخشية بنت شيبان من بني فهر أيضاً (ابن لوى) من زوجته أم كعب مارية بنت كعب من قضاعة (ابن غالب) من زوجته أم لؤى عاتكة بنت يخلد من بنى النضر بن كنانة (ابن فهر) من زوجته أم غالب ليلى بنت الحارث من هذيل وفهر هو قريش في قول الاكثرين فكل من كان من ولده فهو قرشي (ابن مالك) من زوجته جندلة بنت عامر من جرهم (ابن النضر) من زوجته عاتكة بنت عدوان بن قيس عيلان (ابن كنانة) من زوجته برة بنت مر من بني تميم (ابن خزيمة) من زوجته عوانة بنت سعد بن قيس عيلان (ابن مدركة) من زوجته سلمى بنت أسلم من قضاعة (ابن الياس) من زوجته خندف المضروب بها المثل في الشرف والمنعة (ابن مضر) من زوجته الرباب بنت حيدة بن معد (ابن نزار) من زوجته سودة بنت عك (ابن معد) من زوجته معانة بنت جوشم من جرهم

(ابن عدنان)

هذا هو النسب المتفق على صحته من علماء التاريخ والمحدثين أما النسب فوق ذلك فلا يصح فيه طريق غاية الامر انهم أجمعوا على أن نسب الرسول ينتهي الى اسماعيل بن ابراهيم أبي العرب المستعربة نسب شريف كما ترى آباء طاهرون وأمهات طاهرات لم يزل عليه السلام ينتقل من أصلاب أولئك الى أرحام هؤلاء حتى اختاره الله هاديا مهديا من أوسط العرب نسباً فهو من صميم قريش التي لها القدم الاول في الشرف وعلو المكانة بين العرب ولا تجد في سلسلة آبائه الاكرام اليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة وكذلك أمهات آبائه من أرفع قبائلهن شأناً ولا شك أن شرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة وكل اجتماع بين آبائه وأمهاته كان شرعياً بحسب الاصول العربية ولم ينل نسبه شيء من سفاح الجاهلية بل طهره الله من ذلك والحمد لله

زواج عبد الله بآمنة وحملها

كان عبد الله بن عبد المطلب من أحب ولد أبيه اليه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وسنه ثماني عشرة سنة وهي يومئذ من أفضل نساء قريش نسباً وموضعاً ولما دخل عليها حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلبث أبوه أن توفي بعد الحمل

شهرين ودفن بالمدينة عند اخواله بنى عدى بن النجار فانه كان ذهب لتجارة الى الشام فأدركته منيته بالمدينة وهو راجع ولما تمت مدة حمل آمنة وضعت ولدها فاستبشر العالم بهذا المولود الكريم الذى بث في أرجائه روح الآداب وتمم مكارم الاخلاق وكان ذلك في ربيع الاول من عام الفيل (١) الذي يوافق سنة خمسمائة وسبعين من ميلاد المسيح عليه السلام وكانت ولادته في دار أبي طالب بشعب بنى هاشم وكانت قابلته الشفاء ام عبد الرحمن بن عوف ونما اولدا أرسلت أمه لجده تبشره فأقبل مسروراً وسماه محمداً ولم يكن هذا الاسم شائعاً قبل عند العرب ولكن أراد الله أن يحقق ما قدره وذكره فى الكتب التى جاءت بها الانبياء كالتوراة والانجيل فالهم جده أن يسميه بذلك انفاذاً لامره وكانت حاضنته أم ايمن بركة الحبشية أمة أبيه عبد الله وأول من أرضعه ثويبة أمة عمه

الرضاع

ابي لهب وكان من عادة العرب أن يلتمسوا المراضع لمواليدهم فى البوادى ليكون أنجب للولد وكانوا يقولون أن المربى فى المدن يكون كليل الذهن فاتر العزيمة فجاءت نسوة من بني سعد بن بكر يطلبن اطفالاً يرضعنهم فكان الرضيع المحمود من نصيب حليمة

(١) حادثة شهيرة حصلت بمكة فأرخت بها العرب كعادتهم هم وكل أمة فى

بنت أبي ذؤيب السعدية واسم زوجها أبو كبشه وهو الذى كانت قريش تنسب له الرسول حينما يريدون الاستهزاء به فيقولون هذا ابن أبي كبشة يكلم من السماء ودرّت البركات على أهل ذلك البيت الذين أرضعوه مدة وجوده بينهم وكانت تربو عن أربع سنوات وحصل له وهو بينهم حادثة مهمة وهى شق صدره واخراج حظ الشيطان منه فأحدث ذلك عند حليمة خوفاً عليه فردته الى أمه وحدثتها قائلة بينما هو واخوته في بهْم لنا خلف بيوتنا اذ أتى أخوه يعدو فقال لى ولابيه ذاك أخى القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه فخرجت انا وأبوه نحوه فوجدناه منتقعاً لونه فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له مالك يابنى فقال جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فاقبلا يبتدرانى فأضجعانى فشقا بطنى فالتمسا فيه شيئاً

حادثة شق الصدر

التاريخ بالامور المهمة وقد ذكر القرآن هذه الحادثة في سورة الفيل وحاصلها ان ملكاً من ملوك الحبشة الذين امتلكوا اليمن بعد حمير أغار على مكة قصد هدم كعبتها وكان معه فيل عظيم لم يكن العرب رأوا مثله فاكراماً للنبي المنتظر وغيرة على بيته الكريم جعل الله كيد الاعداء فى تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول وأراح قريشاً من عناء مقاومتهم اهـ

فأخذاه وطرحاه ولا أدرى ماهو ثم ان امه أخذته منها وتوجهت به الى المدينة لزيارة اخوال ابيه بنى عدى بن النجار وبينما هي عائدة أدركتها منيتها فى الطريق فماتت بالابواء(١) فحضنته أم أيمن وكفله جده عبد المطلب ورق له رقة لم تعهد له فى ولده لما كان يظهر عليه مما يدل على ان له شأناً عظيماً في المستقبل وكان يكرمه غاية الاكرام ولكن لم يلبث عبد المطلب ان توفى بعد ثمانى سنوات من عمر الرسول فكفله شقيق أبيه أبو طالب فكان له رحيماً وعليه غيوراً وكان أبو طالب مقلاً من المال فبارك الله له فى قليله وكان الرسول في مدة كفالة عمه مثال القناعة والبعد عن السفاسف التي يشتغل بها الاطفال عادة كما روت ذلك أم أيمن حاضنته فكان اذا أقبل وقت الاكل جاء الاولاد يختطفون وهو قانع بما ييسره الله له

وفاة آمنة

وفاة عبد المطلب وكفالة أبي طالب

ولما بلغ سنه عليه السلام تسع سنين أراد عمه وكفيله السفر تجارة الى الشام فاستعظم الرسول فراقه فرق له وأخذه معه وهذه هي الرحلة الاولى ولم يمكثوا فيها الا قليلاً وقد أشرف على رجال القافلة وهم بقرب بصرى بحيرا الراهب فألهم عماراً في كتبهم المقدسة من بعثة نبي من العرب فى هذا الزمن فقالوا انهم

السفر الى الشام المرة الاولى

---

(١) قرية بين مكة والمدينة وهى الى المدينة اقرب

يظهر الآن وهذه العبارة كثيراً ما كان يلهج بها أهل الكتاب من يهود ونصارى قبل بعثة الرسول فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ولما بلغ سنه عليه السلام عشرين سنه حضر حرب الفجار وهو حرب كان بين كنانة ومعها قريش وبين قيس وسببها انه كان للنعمان بن المنذر ملك العرب بالحيرة تجارة يرسلها كل عام الى سوق (١) عكاظ ابتاع له وكان يرسلها في أمان رجل ذي منعة وشرف في قومه ليجيزها فجلس يوماً وعنده البرّاض ابن قيس الكناني وكان فاتكا خليعاً خلعه قومه لكثرة شره وعروة ابن عتبة الرّحال فقال من يجيز لي تجارتي هذه حتى يبلغها عكاظ فقال البرّاض أنا أجيزها على بني كنانة فقال النعمان انما أريد من يجيزها على الناس كلهم فقال عروة أبيت (٢) اللعن أكلب خليع يجيزها لك أنا أجيزها على أهل الشيح والقيصوم من أهل نجد وتهامة فقال البراض أو تجيزها على كنانة يا عروة قال وعلى الناس كلهم فاسرها البراض في نفسه وتربص له حتى اذا خرج بالتجارة قتله غدراً ثم

حرب الفجار

(١) سوق كانت تعقده العرب كل عام لتعرض فيه تجارتها وما قاله فصحاؤها من قصائد الفخر وما أشبه ذلك من مفاخر العرب وهي أشبه بمعارض أوربا الآن

أرسل رسولاً يخبر قومه كنانة بالخبر ويحذرهم قيساً قوم عروة أما قيس فلم تلبث بعد أن بلغها الخبر أن همت لتدرك ثأرها حتى أدركوا قريشاً وكنانة بنخلة (١) فاقتتلوا ولما اشتد البأس وحميت قيس احتمت قريش بحرمها وكان فيهم رسول الله ثم ان قيساً قالوا لخصومهم انا لا نترك دم عروة فموعدنا عكاظ العام المقبل وانصرفوا الى بلادهم يحرض بعضهم بعضاً فلما حال الحول جمعت قيس جموعها وكان معها ثقيف وغيرها وجمعت قريش جموعها من كنانة والاحابيش وهم حلفاء قريش وكان رئيس بني هاشم الزبير بن عبد المطلب ومعه اخوته ابو طالب وحمزة والعباس وابن اخيه النبي الكريم وكان على بني أمية حرب بن أمية وله القيادة العامة لمكانه في قريش شرفاً وسناً وهكذا كان على كل بطن من بطون قريش رئيس ثم تناجزوا الحرب فكان يوماً من أشد أيام العرب هولاً ولما استحل فيه من حرمات مكة التي كانت مقدسة عند العرب سمي مثيروها فجاراً وسميت هي حرب الفجار وكادت الدائرة تدور على قيس حتى انهزم بعض قبائلها ولكن أدركهم من دعا المتحاربين للصلح على ان يحصوا قتلى الفريقين فمن وجد قتلاه أكثر أخذ دية الزائد فكانت

(١) موضع بين مكة والطائف

لقيس زيادة اخذوا ديتها من قريش وتعهد بها حرب بن امية ورهن لسدادها ولده اباسفيان وهكذا انتهت هذه الحرب التي كثيراً ما تشبه حروب العرب تبدؤها صغيرات الامور حتى الف الله بين قلوبهم وازاح عنهم هذه الضلالات بانتشار نور الاسلام بينهم

وعند رجوع قريش من حرب الفجار تداعوا لحلف الفضول فتم في دار عبدالله بن جدعان أحد رؤساء قريش وكان المتحالفون بني هاشم وبني طالب وبني أسد بن عبد العزى وبني زهرة بن كلاب وبني تيم بن مرة من قريش تحالفوا وتعاقدوا ان لا يجدوا بمكة مظلوماً من اهلها او من غيرهم من سائر الناس الا قاموا معه حتى ترد اليه مظلمته وقد حضر هذا الحلف رسول الله عليه السلام مع اعمامه وقال بعد ان شرفه الله بالرسالة (لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبد الله بن جدعان ما أحب ان لي به حمر النعم ولو دعيت به في الاسلام لاجبت) وذلك لانه عليه السلام مبعوث بمكارم الاخلاق وهذا منها وقد أقر دين الاسلام على كثير منها يرشدك الى هذا قوله عليه السلام (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد دعا بهذا الحلف كثيرون فأنصفوا

حلف الفضول

رحلته الى الشام المرة الثانية

ولما بلغ سنه عليه السلام خمساً وعشرين سنة سافر الى الشام المرة الثانية وذلك ان خديجة بنت خويلد كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم اياه فلما سمعت عن رسول الله من الامانة وصدق الحديث مالم تعرفه في غيره حتى سماه قومه الامين استأجرته ليخرج في مالها الى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره فسافر مع غلامها ميسرة فباعا وابتاعا وربحا ربحاً عظيماً وظهر للنبي الكريم في هذه السفرة من البركات ما حببه في قلب ميسرة غلام خديجة فلما قدما مكة ورأت خديجة ربحها العظيم سرت من الامين عليه السلام

زواجه بخديجة

وأرسلت اليه تخطبه لنفسها وكان سنها نحو الاربعين وهي من أوسط قريش حسباً وأوسعهم مالاً فقام الامين عليه السلام مع أعمامه حتى دخل على عمها عمرو بن أسد فخطبها منه بواسطة عمه أبي طالب فزوجها عمها وقد خطب أبو طالب في هذا اليوم فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ (١) معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه وجعله لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا حكام الناس ثم ان ابن أخي هذا محمد بن

(١) أصل

عبدالله لا يوزن به رجل شرفاً ونبلاً وفضلاً وان كان فى المال قلاً
فان المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسترذة وهو والله بعد
هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة فى كريمتكم
خديجة وقد بذل لها من الصداق (كذا) وعلى ذلك تم الامر وقد
كانت متزوجة قبله بابى هالة وتوفى عنها وله منها ولد اسمه هالة وهو
ربيب المصطفى عليه السلام

ولما بلغ سنه عليه السلام خمساً وثلاثين سنة جاء سيل جارف — بناء البيت
فصدع جدران الكعبة بعد توهينها من حريق كان أصابها قبل
فأرادت قريش هدمها ليرفعوها ويسقفوها فانها كانت رضيمة
فوق القامة فاجتمعت قبائلهم لذلك ولكنهم هابوا هدمها لمكانها
فى قلوبهم فقال لهم الوليد بن المغيرة أتريدون بهدمها الاصلاح أم
الاساءة قالوا بل الاصلاح قال ان الله لا يهلك المصلحين وابتدأ بهدم
فتبعوه وهدموا حتى وصلوا الى أساس اسماعيل وهناك وجدوا
صحافاً نقش فيها كثير من الحكم على عادة من يضعون أساس
بناء شهير ليكون تذكرة للمتأخرين بعمل المتقدمين ثم ابتدأوا فى
البناء وأعدوا لذلك نفقة ليس فيها مهر بغى ولا بيع ربا وجعل
الاشراف من قريش يحملون الحجارة على أعناقهم وكان العباس

ورسول الله فيمن يحمل وكان الرسول مؤتزراً فقال له العباس اجعل
ازارك فوق عنقك ليقيك الحجارة ففعل عليه السلام فبدت سوأته
فسقط على الارض فضمه عمه اليه وقال ما الذي أصابك قال سمعت
صوتاً شديداً أن شُدّ عليك ازارك وكان الذي يلي البناء نجار
رومي اسمه باقوم وقد خصص لكل ركن جماعة من العظماء ينقلون
اليه الحجارة وقد ضاقت بهم النفقة الطيبة عن اتمامه على قواعد
اسماعيل فاخرجوا منها الحجر وبنوا عليه جداراً قصيراً علامة على انه
من الكعبة ولما تم البناء ثمانية عشر ذراعاً بحيث زيد فيه عن أصله
تسعة أذرع ورفع الباب عن الارض بحيث لا يصعد اليه الا بدرج
أرادوا وضع الحجر الاسود موضعه فاختلف اشرافهم فيمن
يضعه وتنافسوا فى ذلك حتى كادت تشب بينهم نار الحرب ودام
بينهم هذا الخصام أربع ليال وكان أسن رجل فى قريش اذ ذاك أبو
أمية بن المغيرة فقال لهم يا قوم لا تختلفوا وحكموا بينكم من ترضون
بحكمه فقالوا نكل الامر لأول داخل فكان هذا الداخل هو
الامين المأمون عليه الصلاة والسلام فاطمأن الجميع له لما يعهدون فيه
من الامانة وصدق الحديث وقالوا هذا الامين رضيناه هذا محمد
لانهم كانوا يتحاكمون اليه حيث كان لا يداري ولا يماري فلما أخبروه

الخبر بسط رداءه وقال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم وضع فيه الحجر وأمرهم برفعه حتى انتهوا الى موضعه فأخذه ووضعه فيه وهكذا انتهت هذه المشكلة التي كثيراً ما يكون أمثالها سبباً في انتشار حروب هائلة بين العرب لولا ان يمن الله عليهم بعاقل مثل أبي أمية يرشدهم الى الخير وحكيم مثل الرسول يقضي بينهم بما يرضى جميعهم ولا يستغرب من قريش تنافسهم هذا الان البيت قبلة العرب وكعبتهم التي يحجون اليها فكل عمل فيه عظيم به الفخر والسيادة وهو أول بيت وضع في مكة بشهادة القرآن الكريم قال تعالى (ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا) وكان يلي أمره بعد ولد اسماعيل قبيلة جرهم فلما بغوا وظلموا من دخل مكة اجتمعت عليهم خزاعة واجلوهم عن البيت ووليته خزاعة حينا من الدهر ثم أخذته منهم قريش في عهد قصي بن كلاب وبسببه أمنوا في بلادهم فكانت قبائل العرب تهابهم واذا احتموا به كان حصناً أميناً من اعتداء العادين وامتن الله عليهم بذلك في تنزيله فقال (أولم يروا انا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم)

لم يرث عليه السلام من والده شيئاً بل ولد يتيماً عائلاً معيشته عليه

السلام قبل البعثة

فاسترضع فى بنى سعد ولما بلغ مبلغاً يمكنه معه ان يعمل عملا كان يرعى الغنم مع اخوته من الرضاع فى البادية وكذلك لما رجع الى مكة كان يرعاها لأهلها على قراريط كما ذكر ذلك البخارى فى صحيحه ووجود الانبياء فى حال التجرد عن الدنيا ومشاغلها أمر لابد منه لانهم لو وجدوا اغنياء لالهتهم الدنيا وشغلوا بها عن السعادة الأبدية ولذلك ترى جميع الشرائع الآلهية متفقة على استحسان الزهد فيها والتباعد عنها وحال الانبياء السالفين أعظم شاهد على ذلك فكان عيسى عليه السلام أزهد الناس فى الدنيا وكذلك كان موسى وابراهيم وكانت حالهم فى صغرهم ليست ذات سعة بل كلهم سواء تلك حكمة بالغة أظهرها الله على انبيائه ليكونوا نموذجاً لمتبعيهم فى الامتناع عن التكالب على الدنيا والتهافت عليها وذلك سبب البلايا والمحن وكذلك رعاية الغنم فما من نبى الا رعاها كما أخبر عن ذلك الصادق المصدوق وهذه أيضاً من بالغ الحكم فان الانسان اذا استرعى الغنم وهى أضعف البهائم سكن قلبه الرأفة واللطف تعطفاً فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هذب اولاً من الحدة الطبيعية والظلم الغريزى فيكون

فى أعدل الاحوال ولما شب عليه السلام كان يتاجر وكان شريكه السائب بن أبي السائب وذهب بالتجارة لخديجة رضى الله عنها الى الشأم على جعل يأخذه ولما شرفت خديجة بزواجه وكانت ذات يسار عمل في مالها وكان يأكل من نتيجة عمله وحقق الله له ماامتن عليه به في سورة الضحى بقوله جل ذكره (ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى) فالايواء والاغناء قبل النبوة والهداية بالنبوة هداه للكتاب والايمان ودين ابراهيم عليه السلام ولم يكن يدرى ذلك قبل قال تعالى (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان)

سيرته في قومه قبل البعثة

كان عليه السلام أحسن قومه خلقاً وأصدقهم حديثاً وأعظمهم أمانة وأبعدهم عن الفحش والاخلاق التى تدنس الرجال حتى كان أفضل قومه مروءة وأكرمهم مخالطة وخيرهم جواراً واعظمهم حلماً وأصدقهم حديثاً فسموه الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة الحميدة والفعال السديدة من الحلم والصبر والشكر والعدل والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء حتى شهد له بذلك ألد أعدائه النضر بن

الحارث حيث يقول قدكان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم واصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم ساحر لا والله ماهو بساحر ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان قائلاً هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال قال لا فقال هرقل ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله وقد حفظه الله فى صغره من كل اعمال الجاهلية التى جاء شرعه الشريف بضدها فمن ذلك ما ذكره ابن اسحاق أن رسول الله عليه السلام قال لقد رأيتنى فى غلمان قريش أنقل الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمان كلنا قد تعرّى وأخذ ازاره وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة فانى لأقبل معهم كذلك وأدبر اذ لكمنى لاكم ما أراها لكمة وجيمة ثم قال شد عليك ازارك فاخذته فشددته ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وازارى على من بين أصحابى وقد أسلفنا حصول مثل ذلك فى بناء الكعبة وبُغِّضت اليه الاوثان بغضاً شديداً حتى ما كان يحضر لها احتفالاً أو عيدا مما يقوم به عبّادها وقال عليه السلام (لما نشأت بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر ولم أهم

بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الامرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ماأريد من ذلك ثم ما هممت بسوء بعدهما حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة أسمع عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست لذلك فضرب الله على أذني فنمت فما أيقظني الا مس الشمس ولم أقض شيئاً ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك) وكان عليه السلام لا يأكل ما ذُبح على النُّصُب وحرم شرب الخمر على نفسه مع شيوعه في قومه شيوعاً عظيماً وذلك كله من الصفات التي يُحلِّي الله بها أنبياءه ليكونوا على تمام الاستعداد لتلقي وحيه فهم معصومون من الادناس قبل النبوّة وبعدها أما قبل النبوة فليتأهلوا للامر العظيم الذي سيُسند اليهم وأما بعدها فليكونوا قُدوة لأممهم عليهم من الله أفضل الصلوات واتم التسليمات

ما أكرمه الله به قبل النبوّة

أول منحة من الله له ما حصل من البركات على آل حليمة الذين كان مسترضعاً فيهم فقد كانوا قبل حلوله بناديهم مجدبين فلما صار بينهم صارت غنيماتهم تؤوب من مرعاهاوان

أضراعها لتسيل لبنا ورحم الله البوصيرى حيث يقول

واذا سخر الاله أناساً * لسعيد فانهم سعداء

ثم أعقب ذلك ما حصل من شق صدره واخراج حظ الشيطان منه وليس هذا بالعجب على قدرة الله تعالى فمن استبعد ذلك كان قليل النظر لا يعرف من قوة الله شيئاً لان خرق العادات للانبياء ليس بالامر المستحدث ولا المستغرب ومن المكرمات الالهية تسخير الغمامة له فى سفره الى الشام حتى كانت تظله فى اليوم الصائف لايشترك معه أحد فى القافلة كما روى ذلك ميسرة غلام خديجة الذى كان مشاركاً له فى سفره وهذا ما حببه الى خديجة حتى خطبته لنفسها وتيقنت أن له فى المستقبل شأناً ولذلك لما جاءته النبوة كانت أسرع الناس ايماناً به ولم تنتظر آية أخرى زيادة على ما علمته من مكارم الاخلاق وما سمعته من خوارق العادات ومن منن الله عليه ما كان يسمعه من السلام عليه من الاحجار والاشجار فكان اذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بناء ويفضى الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر الا سمع الصلاة والسلام عليك يارسول الله وكان يلتفت عن

يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً وقد حدث بذلك عن نفسه وليس في ذلك كبير اشكال فقد سخر الله الجمادات للانبياء قبله فعصا موسى التقمت ماصنع سحرة فرعون بعد ان تحولت حية تسعى ثم رجعت كما كانت ولما ضرب بها الحجر نبع منه الماء اثنتى عشرة عيناً لكل سبط من أسباط بنى اسرائيل عين وكذلك غيره من الانبياء سخر الله لهم ماشاء من أنواع الجمادات لتدل العقلاء على عظيم قدرهم وخطارة شأنهم

تبشير التوراة به

أنزل الله التوراة على موسى محتوية على الشرائع التى تناسب أهل ذلك الزمن ونوه فيها بذكر كثير من الانبياء الذين علم الله انه سيرسلهم فمما جاء فيها تبشيراً برسولنا الكريم خطاباً لسيدنا موسى عليه السلام (وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين اخوتهم واجعل كلامى فى فمه ويكلمهم بكل شئ آمره به ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به باسمى فأنا الذى انتقم منه فأما النبى الذى يجترئ على بالكبرياء ويتكلم باسمى بما لم آمره به أو باسم آلهة أخرى فليقتل واذا احببت ان تميز بين النبى الصادق والكاذب فهذه علامتك ان ماقاله ذلك النبى باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه ولذلك

لاتخشاه) ويقول اليهودانهذه البشارة ليوشع بن نون خليفة موسى عليه السلام مع انهم كانوا ينتظرون فى مدة المسيح نبيا آخرغير المسيح فانهم أرسلوا ليوحنا المعمد ان (يحيى) يسألونه عن نفسه فقالوا له أنت ايليا فقال لا فقالوا أنت المسيح فقال لا فقالوا أنت النبي فقال لا فقالوا مابالك اذاً تعمد اذا كنت لست ايلياولا المسيح ولاالنبي فهذه تدل على ان التوراة تبشر بايليا والمسيح ونبي لم يأت حتى زمن المسيح ثم ان التوراة تقول فى صفة النبي انه مثل موسى وقد نصت فى موضع آخر على انه لم يقم فى بنى اسرائيل نبي مثل موسى وورد فى هذه البشارة أن النبي الذى يفترى على الله يقتل ويشبه ذلك فى القرآن قوله تعالى فى سورة الحاقة (ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنامنه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) ونبينا صلى الله عليه وسلم مكث بين اعدائه الالداء من مشركين ويهود ثلاثا وعشرين سنه يدعوهم فيها الى الله ومع ذلك عصمه الله منهم وأنزل عليه تطميناً لخاطره (والله يعصمك من الناس) أكان يعجز الله وهو القادر على كل شيءأن يعاقب من ينسب اليه ما لم يقلهوهو الذى قال (أم

يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور) وقد أخبرتنا هذه البشارة عن العلامة التى نعرف بها صدق النبي من كذبه وهى الاخبار بما سيأتى وقد اخبر النبي عليه السلام عن اشياء كثيرة فحدثت كما اخبر عنها ومنها ما لا ينفع معه الحدس والتخمين كالاخبار بأن الروم سيغلبون بعد ان قهرهم الفرس قهراً شديداً حتى كادوا يحتلون القسطنطينية عاصمة ملكهم فالاخبار اذاً بان الروم سيردون مافقد منهم بعد بضع سنين لايكون الا من عند الله ولذلك استغربه جداً بعض المشركين من قريش وراهن على ذلك أبا بكر الصديق رضى الله عنه وقد حقق الله الخبر فاستحق الصديق الرهن وهذا قليل من كثير سيأتيك تفصيله ان شاء الله تعالى

وروى القاضى عياض فى الشفاء ان عطاء بن يسار سأل عمرو بن العاص عن صفة رسول الله عليه السلام فقال أجل والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن ياأيها النبي اناأرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للاميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ

ولا سخاب فى الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صماً وقلوباً غلْفا

وروى مثله عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه الذى كان رئيس اليهود فلم تعمه الرياسة حتى يترك الدين القويم وكذلك كعب الاحبار وفي بعض طرق الحديث ولا صخب في الاسواق ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأسمى به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم متفرقة واجعل أمته خير أمة أخرجت للناس وقد أخبر عليه السلام عن صفته فى التوراة فقال وهو الصادق الامين عبدى أحمد المختار مولده مكة ومهاجره بالمدينة أو قال طيبة وأمته الحمادون الله على كل حال

تبشير الانجيل بشر عيسى عليه السلام قومه فى الانجيل بالفار قليط ومعناه قريب من محمد أو أحمد ويصدقه في القرآن قول الله تعالى (واذا قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) وقد وصف المسيح هذا الفارقليط بأوصاف لاتنطبق الا على نبينا فقال انه يوبخ العالم على خطيئته وانه يعلمهم جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل مايسمع وهذا ماورد في القرآن الكريم (وما ينطق عن الهوى انهو الا وحى يوحى) وقد ورد في انجيل برنابا الذى ظهر منذ زمن قريب واخفته حجب الجهالة ذكر اسم الرسول عليه السلام صراحة

حركة الافكار قبل البعثة وهذا يسهل لك فهم الحركة العظيمة من الاحبار والرهبان قبل البعثة فكان اليهود يستفتحون على عرب المدينة برسول منتظر فقد حدث عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا انما دعانا للاسلام مع رحمة الله تعالى لنا ما كنا نسمع من أحبار يهود كنا أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لاتزال بيننا وبينهم

شرور فاذا نلنا منهم بعض مايكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وارم فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله محمداً أجبنا حين دعانا الى الله وعرفنا ما كانوا يتواعدوننا به فبادرناهم اليه فآمنا وكفروا وانما قال لهم اليهود نقتلكم معه قتل عاد وارم لان من صفته عليه السلام في كتبهم ان هذا النبي يستأصل المشركين بالقوة ولم يكونوا يظنون ان الحسد والبغي سيتمكنان فى افئدتهم فينبذون الدين القيم فيحق عليهم العذاب في الدنيا والآخرة وكان أمية ابن أبي الصلت المتنصر العربي كثيراً مايقول انى لاجد فى الكتب صفة نبي يبعث فى بلادنا وحدث سلمان الفارسى رضى الله عنه عن نفسه انه صحب قسيساً فكان يقول له ياسلمان ان الله سوف يبعث رسولاً اسمه أحمد يخرج من جبال تهامة علامته ان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة وهذا الحديث كان من أسباب اسلام سلمان ولما راسل عليه السلام ملوك الارض لم يهن كتابه الا كسرى الذى ليس عنده علم من الكتاب اما جميع ملوك النصارى كالنجاشي ملك الحبشة والمقوقس ملك مصر وقيصر ملك الروم فأكرموا وفادة رسله

ومنهم من آمن كالنجاشى ومنهم من رد رد الطيفا وكاد يسلم لولا غلبة الملك كقيصر ومنهم من هادى كالمقوقس ولم يكن عليه السلام فى قوة يرهب بها هؤلاء الملوك اللهم ماذاك الا لانهم يعلمون ان المسيح عليه السلام بشر برسول يأتى من بعده ووافقت صفات رسولنا ماعندهم فاجابوا بالتى هى أحسن أما ماسمع من الهواتف والكهان قبيل زمنه فهو مالا يدخل تحت حصر وليس بعد ماذكرته لك زيادة لمستكثر ومع ذلك كله فالاعمال التى جاد الله بها على يديه والاقوال التى آتانا بها أعظم مقوٍّ لحجته ومؤيد لدعوته وسيأتى عليك بيان ذلك كله بأجلى بيان فتأمله ترشُد هداك الله الى الصراط السوى

لما بلغ عليه السلام سن الكمال وهو اربعون سنة أرسله الله للعالمين بشيراً ونذيراً ليخرجهم من ظلمات الجهالة الى نور العلم وأول مابدئ به من الوحى الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل نور الصبح وذلك لما جرت به عادة الله فى خلقه من التدريج فى الامور كلها حتى تصل الى درجة الكمال ومن الصعب جداً على البشر تلقى الوحى من الملك لأول مرة ثم حبب اليه عليه السلام الخلاء ليتعبد فى بدء الوحى

ظلمات هـذا العالم وينقطع عن الخلق الى الله فان فى العزلة صفاء السريرة وكان يخلو بغار حراء فيتعبد فيه الليالى ذوات العدد فتارة عشرا وتارة أكثر الى شهر وكانت عبادته على دين أبيه ابراهيم عليه السلام ويأخذ لذلك زاده فاذا فرغ رجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فبينما هو قائم فى بعض الايام على الجبل اذ ظهر له شخص وقال ابشر يا محمد أنا جبريل وانت رسول الله الى هذه الامة ثم قال له اقرأ قال ماأنا بقارئ فانه عليه السلام أمى لم يتعلم القراءة قبلاً فأخذه فغمه بالنمط الذى كان ينام عليه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ فأخذه فغمه ثانية ثم أرسله فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ فأخذه فغمه الثالثة ثم أرسله فقال (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) فرجع بها عليه السلام يرجف فؤاده مما ألم به من الروع الذى استلزمته مقابلة الملك لاول مرة فدخل على خديجة فقال زملونى زملونى لتزول عنه هذه القشعريرة فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر

لقد خشيت على نفسى لان الملك غطه حتى كاد يموت ولم يكن له عليه السلام علم قبل ذلك بجبريل ولا بشكله فقالت كلا والله ما يخزيك الله أبدا فانك موصوف بمكارم الاخلاق مذ عقلت انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم الذى لا مال له مالا يجده عند غيرك وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فلا يسلط الله عليك الشياطين أو الاوهام ولا مراء أن الله اختارك لهداية قومك ولتتأكد خديجة مما ظنته ارادت أن تتثبت ممن لهم علم بحال الرسل ممن اطلعوا على كتب الأقدمين فانطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل ابن عم خديجة وكان امرأ قد تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال يا ابن أخى ماذا ترى فأخبره عليه السلام خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى نزل الله على موسى لانه يعرف أن رسول الله الى انبيائه هو جبريل ثم قال ياليتنى فيها شابا جلدا اذ يخرجك قومك من بلادك التى نشأت بها لمعاداتهم اياك وكراهيتهم لك حينما تطالبهم

بتغيير اعتقادات وجدوا عليها اباءهم فاستغرب عليه السلام ما نسب لقومه مع ما يعلمه من حبهم له لاتصافه بمكارم الاخلاق وصدق القول حتى سمّوه الامين وقال أوَ مُخرجيّ هم قال لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي وقد نطق بذلك القرآن الكريم قال تعالى فى سورة ابراهيم (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودُنّ فى ملتنا) ولتمام تصديق ورقة برسالة الرسول الاكرم عليه السلام قال وان يدركنى يومك أنصرك نصراً معضداً ثم لم

فترة الوحى يلبث ورقة أن تُوُفّى وفتر الوحى مدة لم يتفق عليها المؤرخون وأرجح اقوالهم فيها أربعون يوماً ليشتد شوق الرسول للوحى وقد كان فان الحال اشتدت به عليه السلام حتى صار كلما أتى ذروة جبل بدا له ان يرمى نفسه منها حذراً من قطيعة الله له بعد ان أراه نعمته الكبرى وهى اختياره لان يكون واسطة بينه وبين خلقه فيتبدى له الملك قائلاً انت رسول الله حقا فيطمئن خاطره ويرجع عما عزم عليه حتى أراد الله أن يظهر

عود الوحى للوجود نور الدين الحق فعاد اليه الوحى فبينما هو يمشى اذ سمع صوتاً من السماء فرفع اليه بصره فاذا الملك الذى جاءه بحراء

جالس بين السماء والارض فرُعب منه لتذكر مافعله فى المرة الاولى فرجع وقال دثرونى دثرونى فأنزل الله تعالى عليه (يأيها المدثر قم فأنذر) حذر الناس من عذاب الله ان لم يرجعوا عن غيهم وما كان يعبد آباؤهم (وربك فكبر) خصه بالتعظيم ولاتشرك معه فى ذلك غيره (وثيابك فطهر) لتكون مستعداً للوقوف بين يدى الله اذ لا يليق بالمؤمن ان يكون مستقذراً نجساً (والرُّجز فاهجر) اى اهجر أسباب الرجز وهو العذاب بأن تطيع الله وتنفذ أمره (ولا تَمْنُن تستكثر) ولا تَهَبْ أحداً هبة وأنت تطمع ان تستفيض من الموهوب له أكثر مما وهبك فهذا ليس من شأن الكرام (ولربك فاصبر) على ما سيلحقك من أذى قومك حينما تدعوهم الى الله فقام عليه السلام بالامر ودعا لعبادة الله اقواماً جفاة لادين لهم الا ان يسجدوا لاصنام لاتنفع ولا تضر ولا حجة لهم الا انهم متبعون لما كان يعبد آباؤهم وليس عندهم من مكارم الاخلاق الا ما كان مرتبطاً بالعزة والانفة الذى كثيراً ما كان سبباً فى الغارات والحروب واهراق الدماء فجاءهم رسول الله بما لا يعرفونه فذوو العقول السليمة

الدعوة سراً

بادروا الى التصديق وخلع الاوثان ومن اعمته الرياسة ادبر واستكبر كيلا تسلب منه عظمته وكان اول من سطع عليه نور الاسلام خديجة بنت خويلد زوجه وعلى بن ابى طالب ابن عمه وكان مقيماً عنده يطعمه ويسقيه ويقوم بأمره لان قريشاً كانوا قد أصابهم مجاعة وكان أبو طالب مقلاً كثير الاولاد فقال عليه السلام لعمه العباس بن عبد المطلب ان أخاك أبا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا اليه لنخفف من عياله تأخذ واحداً وانا واحداً فانطلقا وعرضا عليه الامر فاخذ العباس جعفر بن أبى طالب وأخذ عليه السلام عليا فكان فى كفالته كاحد أولاده الى أن جاءت النبوة وقد ناهز الاحتلام فكان تابعاً للنبى فى كل أعماله ولم يتدنس بدنس الجاهلية من عبادة الاوثان واتباع الهوى وأجاب أيضاً زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبى مولاه عليه السلام وكان يقال له زيد ابن محمد لانه لما اشتراه أعتقه وتبناه وكان المتبنى معتبراً كابن حقيقى يرث ويورث وأجابت أيضاً أم أيمن حاضنته التى زوجها لمولاه زيد وأول من اجابه من غير أهل بيته أبو بكر ابن أبى قحافة التيمى القرشى كان صديقاً لرسول

الله قبل النبوة يعلم ما اتصف به من مكارم الاخلاق ولم يعهد عليه كذباً منذ اصطحبا فاول ما أخبره برسالة الله أسرع بالتصديق وقال بأبي أنت وأمي أهل الصدق أنت اشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله كان رضي الله عنه صدرا معظماً في قريش على سعة من المال وكرم الاخلاق وكان من أعف الناس سخيا ببذل المال محببا في قومه حسن المجالسة ولذلك كله كان من رسول الله بمنزلة الوزير فكان يستشيره في أموره كلها وقال في حقه ما دعوت احدا الى الاسلام الا كانت له كبوة غير أبي بكر وكانت الدعوة الى الاسلام سراً حذراً من مفاجأة العرب بامر شديد كهذا فيصعب استسلامهم فكان عليه السلام لا يدعو الا من يثق به ودعا ابو بكر الى الاسلام من يثق به من رجال قريش فأجابه جمع (منهم) عثمان بن عفان الاموي القرشي ولما علم عمه الحكم باسلامه أوثقه كتافا وقال ترغب عن دين آبائك الى دين مستحدث والله لا أحلك حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان والله لا أدعه ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته في الحق تركه وكان شابا لا يتجاوز العشرين من عمره (ومنهم) الزبير بن العوام الاسدي

القرشي وأمه صفية بنت عبد المطلب وكان عم الزبير يرسل الدخان عليه وهو مقيد ليرجع الى دين آبائه فقواه الله بالثبات وكان شاباً لا يتجاوز سن الاحتلام (ومنهم) عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسماه عليه السلام عبد الرحمن (ومنهم) سعد بن أبي وقاص الزهري القرشي ولما علمت أمة حمنة بنت ابي سفيان ابن أمية باسلامه قالت له ياسعد بلغني انك قد صبأت فوالله لا يُظلني سقف من الحر والبرد وان الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد وبقيت كذلك ثلاثة أيام فجاء سعد الى رسول الله وشكا اليه امر أمه فنزل في ذلك تعليماً قول الله تعالى في سورة العنكبوت (ووصينا الانسان بوالديه حسناً وان جاهداك على ان تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون) وصاه جل ذكره بوالديه وأمره بالاحسان اليهما مؤمنين كانا أو كافرين اما اذا دعواه للاشراك فالمعصية متحتمة لان كل حق وان عظم ساقط هنا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم قال الى مرجعكم من آمن منكم واشرك فاجازيكم حق جزائكم وفي ختام هذه الآية فائدتان التنبيه على ان الجزاء

الى الله فلا تحدث نفسك بجفوتهما لاشراكهما والحض على الثبات في الدين لئلا ينال شر جزاء فى الاخرى (ومنهم) طلحة ابن عبيد الله التيمى القرشى وقد كان عرف من الرهبان ذكر الرسول وصفته فلما دعاه أبو بكر وسمع من رسول الله مانفعه الله به ورأى الدين متينا بعيدا عما عليه العرب من المثالب بادر الى الاسلام (وممن) سبقوا الى الاسلام صهيب الرومى وكان من الموالى وعمار بن ياسر العبسى وقد قال رضى الله عنه رأيت رسول الله وما معه الا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر وكذلك أسلم أبوه ياسر وأمه سميه (ومن) السابقين الاولين عبد الله بن مسعود كان يرعى الغنم لبعض مشركى قريش فلما رأى الآيات الباهرة وما يدعو اليه عليه السلام من مكارم الاخلاق ترك عبادة الاوثان ولزم رسول الله وكان رضى الله عنه كثير الدخول على الرسول لايحجب ويمشى أمامه ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس أدخلهما فى ذراعيه (ومن) السابقين الاولين ابو ذر الغفارى وكان من أعراب البادية فصيحاً حلو الحديث ولما بلغه مبعث رسول الله قال لاخيه اركب الى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا

الرجل الذى يزعم انه نبي يأتيه الخبر من السماء واسمع من
قوله ثم ائتني فانطلق الاخ حتى قدم مكة وسمع من قول
الرسول ثم رجع الى أبي ذر فقال رأيته يأمر بمكارم الاخلاق
ويقول كلاما ماهو بالشعر فقال ماشفيتني مما اردت فتزود
وحمل قربة له فيها ماء حتى قدم مكة فاتى المسجد فالتمس النبي
صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه وكره ان يسأل عنه لما يعرفه من
كراهة قريش لكل من يخاطب رسول الله حتى اذا ادركه
الليل رآه علي فعرف انه غريب فاضافه عنده ولم يسأل احد منهما
صاحبه عن شيء على قاعدة الضيافة عند العرب لا يسأل الضيف
عن سبب قدومه الا بعد ثلاث فلما اصبح احتمل قربته وزاده
الى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه الرسول حتى امسى فعاد
الى مضجعه فمر به علي فقال اما نال للرجل ان يعرف منزله الذى
أضيف به بالامس فاقامه فذهب معه لا يسأل واحد منهما
صاحبه عن شيء حتى اذا كان اليوم الثالث عاد على مثل ذلك ثم
قال له علي ألا تحدثني ما الذى أقدمك قال ان أعطيتني عهدا
وميثاقاً لتُرْشِدَنّي فعلت ففعل فاخبره قال فانه حق وهو
رسول الله فاذا أصبحت فاتبعني فاني ان رأيت شيئاً أخافه عليك

قمت كاني أريق الماء فان مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي
ففعل فانطلق يتبع أثره حتى دخل على النبي ودخل معه فسمع
من قوله وأسلم مكانه فقال له النبي ارجع الى قومك فاخبرهم
حتى يأتيك أمري قال والذي نفسي بيده لاصرخن بها بين
ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى باعلى صوته أشهد أن
لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فقام القوم فضربوه حتى
أضجعوه وأتى العباس فاكب عليه وقال ويلكم أولستم تعلمون
أنه من غفار وان طريق تجارتكم الى الشام عليه فانقذه منهم
ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا اليه فاكب العباس عليه
كان رضي الله عنه من أصدق الناس قولا وأزهدهم في الدنيا
(ومن) السابقين سعيد بن زيد العدوي القرشي وزوجته
فاطمة بنت الخطاب أخت عمر وأم الفضل لبابة بنت الحارث
الهلالية زوج العباس بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث
المطلبي القرشي من عشيرة رسول الله الاقربين وأبو سلمة عبد
الله بن عبد الاسد المخزومي القرشي ابن عمة رسول الله وزوجته
أم سلمة وعثمان ابن مظعون الجُمَحي القرشي واخواه قدامة
وعبد الله والارقم بن أبي الارقم المخزومي القرشي (ومن)

السابقين الاولين خالد بن سعيد بن العاص كان أبوه سيد قريش اذا اعتم لم يعتم قرشي اجلالاً له وكان سعيد قد رأى في منامه أنه سيقع في هاوية فادركه رسول الله وخلصه منها فجاء اليه وقال الام تدعو يا محمد قال أدعوك الى الله وحده لاشريك له وأن تخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع والاحسان الى والديك وان لا تقتل ولدك خشية الفقر وأن لا تقرب الفاحشة ماظهر منها ومابطن وأن لا تقتل نفسا حرم الله قتلها الا بالحق وان لا تقرب مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ اشده وان توفي الكيل والميزان بالقسط وأن تعدل في قولك ولو حكمت على ذوى قرباك وان توفي لمن عاهدت فأسلم رضي الله عنه وحينئذ غضب عليه أبوه وآذاه حتى منعه القوت فانصرف الى رسول الله فكان يلزمه ويعيش معه ويغيب عن أبيه في ضواحي مكة وأسلم بعده أخوه عمرو بن سعيد وهكذا دخل هؤلاء الاشراف في دين الاسلام ولم يكن مع رسول الله سيف يضرب به في أعناقهم حتى يطيعوه صاغرين وليس معه ما يرغب فيه حتى يترك هؤلاء العظماء آباءهم وذا الثروة منهم

ويتبعوا الرسول ليأكلوا من فضل ماله بل كان الكثير منهم واسع الثروة أكثر منه عليه السلام كابى بكر وعثمان وخالد ابن سعيد وغيرهم والذين اتبعوه من الموالى اختاروا والاذى والجوع والمشقات مع اتباع الرسول بحيث لو اتبعوا ساداتهم لكانوا في هذه الدنيا أهدأ بالاً وأنعم عيشة الهم ليس ذلك الا من هداية الله وسطوع أنوار الدين عليهم حتى أدركوا ماهم عليه من الضلالة وما عليه الرسول من الهدى

الجهر بالتبليغ

مضت كل هذه المدة والنبي عليه السلام لا يظهر الدعوة فى مجامع قريش العمومية ولم يكن المسلمون يتمكنون من اظهار عبادتهم حذراً من تعصب قريش فكان كل من اراد العبادة ذهب الى شعاب مكة يصلى مستخفياً ولما دخل فى الدين مايربو على الثلاثين وكان من اللازم اجتماع الرسول بهم ليرشدهم ويعلمهم اختار لذلك دار الارقم بن ابى الارقم وهو ممن ذكرنا اسلامهم ومكث عليه السلام يدعو سراً حتى نزل عليه قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) فبدل الدعوة سرا بالدعوة جهراً ممتثلا أمر ربه واثقاً بوعده ونصره فصعد على الصفا فجعل ينادى يا بنى

فهر يابنى عدى لبطون قريش فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر الخبر فجاء ابو لهب وقريشا فقال عليه السلام أرأيتم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم اكنتم مصدقىّ قالوا نعم ماجربنا عليك كذبا قال فانى نذير لكم بين يدىْ عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك ألهذا جمعتنا فانزل الله فى شأنه (تبت يدا ابى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد) والقصد من حمل الحطب المشى بالنميمة لانها كانت تقول على رسول الله الا كاذيب فى نوادى النساء ثم نزل عليه (وانذر عشيرتك الاقربين) وهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو نوفل وبنو عبد شمس اولاد عبد مناف (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك) اى العشيرة الاقربون (فقل انى برىء مما تعملون) فجمعهم عليه السلام وقال لهم ان الرائد لايكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعاً ماغررتكم والله الذى لا اله الا هو انى لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتنّ كما تنامون ولتبعثنّ كما تستيقظون

والتحاسبنّ بما تعملون والتجزونّ بالاحسان احساناً وبالسوء سوءاً وانها لجنة أبداً او لنار أبداً فتكلم القوم كلاما ليناً غير عمه أبى لهب الذى كان خصما لدودا فانه قال خذوا على يديه قبل ان تجتمع عليه العرب فان اسلمتموه اذا ذللتم وان منعتموه قتلتم فقال أبو طالب والله لنمنعنه ما بقينا ثم انصرف الجمع

ولما جهر رسول الله عليه الصلاة والسلام بالدعوة سخرت منه قريش واستهزؤا به في مجالسهم فكان اذا مر عليهم يقولون هذا ابن ابى كبشة يكلم من السماء وهذا غلام عبد المطلب يكلم من السماء لايزيدون على ذلك فلما عاب آلهتهم وسفّه عقولهم وقال لهم والله ياقوم لقد خالفتم دين أبيكم ابراهيم ثارت فى رؤسهم حميّة الجاهلية غيرة على تلك الآلهة التى كان يعبدها آباؤهم فذهبوا الى عمه أبى طالب سيد بنى هاشم الذى أخذ على نفسه حمايته من أيدى أعدائه فطلبوا منه أن يخلّى بينهم وبينه أو يكفه عما يقول فردهم ردا جميلاً فانصرفوا عنه ومضى رسول الله لما يريده لا يصده عن مراده شيء فتزايد الامر واضمرت قريش الحقد

والمداوة لرسول الله وحث بعضهم بعضاً على ذلك ثم مشوا الى ابى طالب مرة أخرى وقالوا له ان لك سناً وشرفاً ومنزلة منا وانا قد طلبنا منك أن تنهى ابن أخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه عقولنا وعيب آلهتنا فانهم كانوا اذا احتجوا في استمرارهم على عدم اتباع الحق بتقليد آبائهم ذمهم لعدم استعمال عقولهم فيما خلقت له قال تعالى فى سورة البقرة (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ ولا يهتدون) وقال فى سورة المائدة (واذا قيل لهم تعالوا الى ماأنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون) وقال فى سورة لقمان (واذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) وقال فى سورة الزخرف فى بيان حجتهم الداحضة (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) ولما شبههم بمن قبلهم من الامم فى هذه المقاله الدالة على التعصب والعناد قال (قل أَوَلَوْ جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا

بما أرسلتم به كافرون) فلما تمسكوا بحجة التقليد لآبائهم جر
ذلك الى وصف آبائهم بعدم العقل وعدم الهداية فهاج ذلك
عواطفهم وقالوا لابى طالب اما ان تكفه او تنازله واياك فى
ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا فعظم على أبى طالب
فراق قومه ولم يطب نفساً بخذلان ابن أخيه فقال له يا ابن أخى
ان القوم جاؤنى فقالوا لى كذا فابق على نفسك ولا تحملنى من
الامر مالا أطيق فظن الرسول ان عمه خاذله فقال والله ياعم
لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان أترك
هذا الامر مافعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه ثم بكى وولى
فقال ابو طالب أقبل يا ابن أخى فاقبل عليه فقال اذهب فقل
ما أحببت والله لا أسلمك ورأى رسول الله من المشركين الايذاء
كثير الأذى وعظيم الشدة خصوصاً اذا ذهب الى الصلاة
عند البيت وكان من أعظمهم أذى لرسول الله جماعة سموا
لكثرة اذاهم بالمستهزئين (فأولهم) وأشدهم أبو جهل عمرو
ابن هشام المخزومى القرشى قال يوماً يا معشر قريش ان محمدا
قد أتى ما ترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه احلامكم
وسب آبائكم انى أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر لا أطيق

حمله فاذا سجد في صلاته رضخت به رأسه فاسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف مابدا لهم فلما اصبح أخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله ينتظره وغدا عليه السلام كما كان يغدو الى صلاته وقريش فى انديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل فلما سجد عليه السلام احتمل ابو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزماً منتقعاً لونه من الفزع ورمى حجره من يده فقام اليه رجال من قريش فقالوا مالك يا أبا الحكم قال قمت اليه لافعل ماقلت لكم فلما دنوت منه عرض لى فحل من الابل والله ما رأيت مثله قط همّ بى أن يأكلنى فلما ذكر ذلك لرسول الله قال ذاك جبريل ولو دنا لاخذه وكان أبو جهل كثيرا ما ينهى الرسول عن صلاته فى البيت فقال له مرة بعد ان رآه يصلى ألم انهك عن هذا فاغلظ له رسول الله القول وهدده فقال أتهددنى وأنا اكثر أهل الوادى نادياً فانزل الله تهديدا له (كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب) ومن أذيته للرسول ما حكاه عبدالله بن مسعود قال كنا مع رسول الله

في المسجد وهو يصلى فقال أبو جهل الا رجل يقوم الى فرث جزور بني فلان فيلقيه على محمد وهو ساجد فقام عقبة بن ابى معيط وجاء بذلك الفرث فالقاه على النبي وهو ساجد فلم يقدر أحد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على القائه عنه لضعفهم عن مقاومة عدوهم ولم يزل عليه السلام ساجداً حتى جاءت فاطمة بنته فاخذت القذر ورمته فلما قام دعا على من صنع هذا الصنع القبيح فقال اللهم عليك الملأ من قريش وسمى أقواما قال ابن مسعود فرأيتهم قتلوا يوم بدر ومما حصل لرسول الله مع أبي جهل أن هـذا ابتاع اجمالا من رجل يقال له الاراشى فمطله باثمانها فجاء الرجل مجمع قريش يريد منهم مساعدة على أخذ ماله فدلوه على رسول الله لينصفه من أبي جهل استهزاء لما يعلمونه من أفعال ذاك الشقي بالرسول فتوجه الرجل اليه وطلب منه المساعدة على أبي جهل فخرج معه حتى ضرب عليه بابه فقال من هذا قال محمد فخرج منتقعا لونه فقال له الرسول أعط هذا حقه فقال أبو جهل لا تبرح حتى تأخذه فلم يبرح الرجل حتى أخذ دينه فقالت قريش ويلك ياأبا الحكم ما رأينا مثل ما صنعت قال ويلكم والله ما هو الا ان ضرب على بابي حتى

سمعت صوتاً ملئت منه رعباوان فوق رأسي فحلا من الابل مارأيت مثله (ومن) جماعة المستهزئين أبولهب بن عبد المطلب عم رسول الله كان أشد عليه من الاباعد فكان يرمى القذر على بابه لانه كان جارا له فكان الرسول يطرحه ويقول يابني عبد مناف أي جوار هذا وكانت تشاركه في قبيح عمله زوجته أم جميل بنت حرب فكانت كثيرا ما تسب رسول الله وتتكلم فيه بالنمائم وخصوصاً بعد ان نزل فيها وفي زوجها سورة أبي لهب (ومن) المستهزئين عقبة بن أبي معيط كان الجار الثاني لرسول الله وكان يعمل معه كابي لهب صنع مرة وليمة ودعا لها كبراء قريش وفيهم رسول الله فقال عليه السلام والله لا آكل طعامك حتى تؤمن بالله فتشهد فبلغ ذلك أُبيّ ابن خلف وكان صديقا له فقال ما شئ بلغني عنك قال لا شئ دخل منزلي رجل شريف فابى ان يأكل طعامى حتى أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له قال أُبيّ وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ عنقه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فلما رأى عقبة رسول الله فعل به ذلك فأنزل الله فيه (ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت

اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا
لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان
خذولا) ومن أشد ما صنعه ذلك الشقى برسول الله ما رواه
البخارى فى صحيحه قال بينما النبي يصلى في حجر الكعبة اذأقبل
عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه في عنق رسول الله فخنقه خنقاً
شديداً فاقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى
الله عليه وسلم وقال (أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد
جاءكم بالبينات من ربكم) (ومن) جماعة المستهزئين العاصى
ابن وائل السهمى القرشى كان شديد العداوة لرسول الله وكان
يقول غرَّ محمد أصحابه ان وعدهم ان يُحيَوا بعد الموت والله ما
يهلكنا الا الدهر فقال الله رداً عليه فى دعواه (وقالوا ماهى
الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر مالهم بذلك
من علم ان هم الا يظنون) وكان عليه دين لخبّاب بن الارت
أحد رجال المسلمين فتقاضاه اياه فقال العاصى أليس يزعم محمد
هذا الذى أنت على دينه ان فى الجنة مايبتغى أهلها من ذهب
أو فضة او ثياب او خدم قال خباب بلى قال فأنظرنى الى
هذا اليوم فسأوتى مالاً وولداً وأقضيك دينك فانزل الله

فيه (أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً كلا سنكتب مايقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه مايقول ويأتينا فردا) (ومن) جماعة المستهزئين الاسود بن عبد يغوث وهو ابن خال رسول الله كان اذا رأى أصحاب النبي مقبلين يقول قدجاءكم ملوك الارض استهزاء بهم لانهم كانوا متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن وكان يقول لرسول الله سخرية أما كلمت اليوم من السماء (ومنهم) الاسود بن المطلب عم عبيدة بن الحارث كان هو وشيعته اذا مر عليهم المسلمون يتغامزون وفيهم نزل (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون) (ومنهم) الوليد بن المغيرة عم أبي جهل كان من عظماء قريش وفى سعة من العيش سمع القرآن مرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقومه بنى مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ

والله الوليد لتصبأن قريش كلها فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فتوجه وقعد اليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يهوس وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر قليلا ثم قال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه فارتج النادى فرحا فانزل الله في شأن الوليد مخاطباً لرسوله (ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً ومهدت له تمهيداً ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيداً سأرهقه صعوداً انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر) وانزل فيه أيضاً (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف وكفى بهذا زاجرا لمن اعتاد الحلف (مهين) حقير واراد به الكذاب لانه حقير في نفسه (هماز) عياب طعان (مشاء بنميم) ينقل الاحاديث للافساد بين الناس (مناع للخير معتد أثيم عتل) غليظ جاف

(بعد ذلك زنيم) دخيل (أن كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين سنسمه على الخرطوم) كناية عن الاذلال والتحقير لان الوجه اكرم عضو والانف أشرف ما فيه ولذلك اشتقوا منه كل مايدل على العظم كالانفة وهي الحمية فالوسم على أشرف عضو دليل الاذلال والاهانة (ومن) المستهزئين النضر بن الحارث كان اذا جلس رسول الله مجلساً للناس يحدثهم ويذكرهم ما اصاب من قبلهم قال النضر هلموا يامعشر قريش فاني أحسن منه حديثاً ثم يحدث عن ملوك فارس وكان يعلم أحاديثهم ويقول ما أحاديث محمد الا أساطير الاولين وفيه نزل (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً اولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كان لم يسمعها كأن في اذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم) وكل هؤلاء انتقم الله منهم كما قال تعالى في التنزيل (انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) وقد وضع الله جل ذكره الوعد في صورة الماضي للتحقق من وقوعه لان الآية مكية وهلاك هذه الفئة كان بعد الهجرة فنهم من قتل يوم

بدر كابي جهل والنضر بن الحارث ومنهم من ابتلاه الله بأمراض شديدة فهلك منها كابي لهب والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة وكان بعض ايذائهم هذا سبباً لاسلام عمه حمزة بن عبد المطلب فقد أدركته الحمية عند ماعيرته بعض الجوارى بايذاء أبى جهل لابن أخيه فتوجه الى ذلك الشقى وغاضبه وسبه وقال كيف تسب محمداوأنا على دينه ثم أنار الله بصيرته بنور اليقين حتى صارمن أحسن الناس اسلاماًوأشدهم غيرة على المسلمين وأقواهم شكيمة على أعداء الدين حتى سُمى أسد الله اسلام حمزة

وكما أوذى الرسول عليه الصلاة والسلام اوذى أصحابه لاتباعهم له وخصوصاً من ليس له عشيرة تحميه وترد كيد عدوه عنه وكل هذا الاذى كان حلوا فى اعينهم ما دام فيه رضا الله فلم يفتنوا عن دينهم بل ثبتهم الله حتى اتم امره على ايديهم وصاروا ملوك الارض بعد أن كانوا مستضعفين فيها كما قال جل ذكره (ونريد ان نمن على الذين استُضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) وقد حقق ما اراد (ومن) الذين اوذوا فى الله بلال بن رباح كان مملوكا لامية

ابن خلف فكان يجعل فى عنقه حبلا ويدفعه الى الصبيان يلعبون به وهو يقول أحد أحد لم يشغله ماهو فيه عن توحيد الله وكان أمية يخرج به فى وقت الظهيرة فى الرّمضاء وهى الرمل الشديد الحرارة لو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول أحد أحد مر به الصديق يوماً فقال يا أمية ألا تتق الله فى هذا المسكين حتى متى تعذبه قال أنت أفسدته فانقذه مما ترى فاشتراه منه واعتقه فانزل الله فيه وفى أمية (فانذرتكم ناراً تلظّى لا يصلاها الا الاشقى) أمية بن خلف (الذي كذب وتولى وسيجنبها الاتقى) صدّيق (الذي يؤتى ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى) بما يعطيه الله فى الاخرى جزاء أعماله وقد نبه الله جل ذكره على ان بذل الصديق ماله فى شراء بلال وعتقه لم يكن الا ابتغاء وجه ربه وكفى بهذا شرفاً وفضلاً للصديق رضى الله عنه وارضاه وقد اعتق غير بلال جماعة من الارقاء اسلموا فعاقبهم مواليهم (منهم) حمامة أم بلال وعامر بن فهيرة

كان يعذب حتى لا يدرى مايقول وأبو فكيهة كان عبد الصفوان ابن أمية (ومنهم) امرأة تسمى زنيرة عذبت فى الله حتى عميت فلم يزدها ذلك الا ايماناً وكان أبو جهل يقول ألا تعجبون لهؤلاء وأتباعهم لو كان ماأتى به محمد خيراً ما سبقونا اليه افتسبقنا زنيرة الى رشد فانزل الله (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم) (وممن) أعتق ابوبكر بعد شرائه أم عنيس كانت امة لبنى زهرة وكان يعذبها الاسود بن عبد يغوث (وممن) عذب فى الله عمار بن ياسر وأخوه وأبوه وأمه كانوا يعذبون بالنار فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صبراً آل ياسر فموعدكم الجنة اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت أما ابو عمار وأمه فماتا تحت العذاب رحمهما الله واما هو فثقل عليه العذاب فقال بلسانه كلمة الكفر فان أبا جهل كان يجعل له دروع الحديد فى اليوم الصائف ويلبسه اياها فقال المسلمون كفر عمار فقال عليه السلام عمار ملئ ايماناً من قرقه الى قدمه وأنزل الله فى شأنه استثناء فى حكم المرتد فقال جل ذكره (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه

مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب
من الله ولهم عذاب عظيم) (ومن) أوذى فى الله خباب
بن الأرت سبي فى الجاهلية فاشترته ام أنمار وكان حدادا
وكان النبي يألفه قبل النبوة فلماشرفه الله بها اسلم خباب فكانت
مولاته تعذبه بالنار فتأتى بالحديدة المحماة فتجعلها على ظهره
ليكفر فلا يزيده ذلك الا ايماناً وجاء خباب مرة الى رسول
الله وهو متوسد برده فى ظل الكعبة فقال يارسول الله الا
تدعو الله لنا فقعد عليه السلام محمرا وجهه فقال انه كان من
قبلكم ليمشط احدهم بامشاط الحديد ما دون عظمه من
لحم وعصب ويوضع المنشار على فرق رأس احدهم فيشق
ما يصرفه ذلك عن دينه وليظهرن الله تعالى هذا الامر حتى
يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخاف الا الله
والذئب على غنمه قال ذلك عليه السلام وهو فى هذه الحال
الشديدة التى لايتصور فيها اعقل العقلاء وأنبل النبلاء قوة
منتظرة او سعادة مستقبلة اللهم الا ان ذلك وحى يوحى
ثم انزل الله تعالى تثبيتاً للمؤمنين (آلم أحسب الناس ان يتركوا
ان يقولوا آمناوهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن

الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)فان علم الله لا يتعلق بشئ
الا بعد وجوده اذ لا يعلم بوجود شئ لاحقيقة له (وممن)
اوذى فى الله أبو بكر الصديق ولما اشتد عليه الاذى أجمع
أمره على الهجرة من مكة الى جهة الحبشة فخرج حتى أتى برك
الغماد فلقيه ابن الدغنة وهو سيد قبيلة عظيمة اسمها القارة فقال
الى أين ياأبا بكر فقال أخرجنى قومى فأريد ان أسيح فى
الارض وأعبد ربى فقال ابن الدغنة مثلك يا أبا بكر لايخرج
انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى
الضيف وتعين على نوائب الحق فانا لك جار ارجع واعبد
ربك ببلدك فرجع وارتحل ابن الدغنة معه وطاف فى أشراف
قريش فقال لهم أبو بكر لا يخرج مثله اتخرجون رجلا يكسب
المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين
على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا له
مُرْ أبابكر فليعبد ربه فى داره فليصل فيها ما شاء وليقرأ ماشاء
ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن فانا نخشى أن يفتن نساءنا وابناءنا
فقال ذلك ابن الدغنة لابى بكر فلبث بذلك يعبد ربه فى داره
ولا يستعلن بصلاته ولا يقرا فى غير داره ثم بدا لابى بكر

فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فافزع ذلك اشراف قريش فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا قد أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فاعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه بفناء داره فعل وان أبى الا أن يعلن ذلك فسله أن يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك ولسنا مقرين لابى بكر الاستعلان فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال قد علمت الذى عاقدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع الى ذمتى فانى لا أحب ان تسمع العرب أنى أخفرت فى رجل عقدت له فقال أبو بكر فانى أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله وكان ذلك سبباً لايصال أذى عظيم الى أبى بكر رضى الله عنه وبالجملة فلم يخل أحد من المسلمين من أذية لحقته ولكن كل ذلك ضاع سدًى تلقاء ثباتهم وعظيم ايمانهم فانهم لم يسلموا لغرض دنيوى يرجون حصوله

فيسهل ارجاعهم ولكن وفقهم الله لادراك حقيقة الايمان فرأوا كل شيء دونه سهلا

ولما رأى كفار قريش ان ذلك الاذى لم يجدهم نفعا بل كلما زادوا المسلمين أذى ازداد يقينهم اجتمعوا اللشورى فيما بينهم فقال لهم عتبة بن ربيعة وكان سيداً مطاعاً فى قومه يا معشر قريش الا أقوم لمحمد فاكلمه واعرض عليه اموراً عله يقبل بعضها فنعطيه اياها ويكف عنا فقالوا يا ابا الوليد فقم اليه فكلمه فذهب الى رسول الله وهو يصلى فى المسجد وقال يا ابن أخى انك منا حيث قد علمت من خيارنا حسبا ونسبا وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت أحلامهم وعبت آلهتهم ودينهم وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك اموراً تنظر فيها العلك تقبل منها بعضها فقال عليه السلام قل يا أبا الوليد أسمع فقال يا ابن أخى ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً وان كنت تريد شرفاً سودناك علينا حتى لانقطع أمراً دونك وان كنت تريد ملكاً ملكناك علينا وان كان هذا الذى يأتيك رئى من الجن لاتستطيع

رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى فقال عليه السلام لقد فرغت ياأبا الوليد قال نعم قال فاسمع منى فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم

(بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم) الى ان بلغ قوله تعالى (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فمسك عتبة بفيه وناشده بالرحم أن يكف عن ذلك فلما رجع عتبة سألوه فقال والله لقد سمعت قولاً ماسمعت مثله قط والله ماهو بالشعر ولا بالكهانة والا بالسحر يامعشر قريش أطيعونى فاجعلوها لى خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لكلامه الذى سمعت نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فعزه عزكم فقالوا لقد سحرك محمد فقال هذا رأيى (ثم) عرضوا عليه بعد ذلك ان يشاركهم فى عبادتهم ويشاركونه فى عبادته فأنزل الله فى ذلك (قل ياأيها الكافرون لاأعبد ماتعبدون ولا أنتم عابدون ماأعبد ولا أنا عابد ماعبدتم ولا أنتم عابدون ماأعبد لكم دينكم ولى دين) فلا تتوهموا انى أجيبكم لطلبكم

من الاشراك بالله فأيسوا منه وطلبوا بعد ذلك ان ينزع من القرآن ما يغيظهم من ذم الاوثان والوعيد الشديد فيأتي بقرآن غيره او يبدله فانزل الله جواباً لهم (قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان أتبع الا مايوحى الى) وقد حصل له مع كفار قريش نادرة تكون لمن استهان بالضعيف كمصباح يستضيء به ان ترك المناد وراء ظهره وهى انه بينما الرسول عليه السلام مع كبراء قريش واشرافهم يتألفهم ويعرض عليهم القرآن وما جاء به من الدين اذ أقبل عليه عبد الله ابن أم مكتوم الاعمى وهو ممن اسلموا قديماً والنبي مشتغل بالقوم وقد لقى منهم مؤانسة حتى طمع في اسلامهم فقال له عبدالله يارسول الله علمنى مما علمك الله واكثر عليه القول فشق ذلك على الرسول وكره قطعه لكلامه وخاف عليه السلام ان يكون التفاته لذلك المسكين ينفر عنه قلب أولئك الاشراف فأعرض عنه فعاتبه الله على ذلك بقوله (عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزّكى او يذّكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فانت له تصدى وما عليك ان لا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى) فما عبس رسول الله صلى الله عليه

وسلم بعدها فى وجه فقير وكان اذا أقبل عليه عبد الله ابن أم مكتوم يقول له مرحباً بمن عاتبنى فيه ربى

ولما رأى المشركون أن هـذه المطالب التى يعرضونها لا تقبل منهم أرادوا أن يدخلوا من باب آخر وهو تعجيز الرسول بطلب الآيات فاجتمعوا وقالوا يا محمد ان كنت صادقاً فارنا آية نطلبها منك وهى أن تشق لنا القمر فرقتين فاعطاه الله هذه المعجزة وانشق القمر فرقتين فقال رسول الله اشهدوا وهذه القصة رواها عبد الله بن مسعود وهو من السابقين الاولين رويت عنه من طرق كثيرة ورواها عبد الله بن عباس وغيره ورواها عنهم جمع غفير حتى صار الحديث متواتراً وقد ذكرها القرآن الكريم فى قوله (اقتربت الساعة وانشق القمر) فحينما رأى المعاندون هذه الآية الكبرى قال بعضهم لقـد سحركم ابن أبى كبشه فانزل الله فيهم (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) ثم سألوا الرسول بعد ذلك آيات لا يقصدون بذلك الا التعنت والعناد فمنها ان قالوا (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيراً او تسقط السماء كما زعمت علينا

كسفاً او تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه) ولم يجبهم الله الا بقوله (قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا) لان الله علم ما تكنه جوانحهم من التعصب والعناد فلا يؤمنون مهما جاءهم من البينات كما قال جل ذكره (وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون) وكيف يرجى الخير ممن قالوا (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم) ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه وهذه سنة من سنن الانبياء اذا رأوا من طلاب الآيات عناداً وانهم يطلبونها تعجيزاً لا يسألون الله انفاذ هذه الآيات كيلا يحل بقومهم الهلاك كما حصل لعاد وثمود وغيرهم وهذا هو المراد من قوله تعالى (وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون) وقد حصل للمسيح عليه السلام انه لما وقف امام هيردوس طلب منه آية فلم يجبه الى طلبه فلما رأى ذلك سخر منه ورده الى عدوه بيلاطس بعد ان كان يأسف عليه ويتمنى لقاءه وذلك مذكور في الانجيل (هذا) ولما رأى المشركون ضعفهم عن

مقاومة المسلمين بالبرهان تحولوا الى سياسة القوة التي اختارها
قوم إبراهيم عند ماعجزوا عنه حيث (قالوا حرقوه وانصروا
آلهتكم) أما هؤلاء فازدادوا بالاذى على كل من أسلم رجاء
صدهم عن اتباع الرسول عليه السلام ولم يتركوا بابا الا
ولجوه فقال عليه السلام لاصحابه تفرقوا فى الارض فان الله
سيجمعكم فسألوه عن الوجهة فأشار الى أرض الحبشة فتجاهز
ناس للخروج عن ديارهم وأموالهم فراراً بدينهم كما أشار
عليه السلام وهذه هى اول هجرة من مكة وعدة أصحابها
عشر رجال وخمس نسوة وهم عثمان بن عفان وزوجه رقية
بنت رسول الله وابو سلمة وزوجه أم سلمة وأخوه أبو سبرة
وزوجه ام كلثوم وعامر بن ربيعة وزوجه ليلى وأبو حذيفة
ابن عتبة بن ربيعة وزوجه سهله بنت سهيل وعبد الرحمن
ابن عوف وعثمان بن مظعون وعبد الله بن مسعود وسهيل
ابن البيضاء والزبير بن العوام فساروا على بركة الله ولما
انتهوا الى البحر استأجروا سفينة اوصلتهم الى مقصدهم
فأقاموا آمنين من أذى يلحق بهم من المشركين ولم يبق مع
النبي عليه السلام الا القليل وفى ذلك الوقت أسلم الشهم

هجرة الحبشة الاولى

اسلام عمر

الهمام عمر بن الخطاب بعدما كان عليه من كراهية المسلمين وشدة اذاهم قالت ليلى احدى المهاجرات لارض الحبشة مع زوجها كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا في اسلامنا فلما ركبت بعيرى أريد أن أتوجه الى أرض الحبشة اذا اتابه فقال لى الى أين يا أم عبد الله فقالت قد آذيتمونا في ديننا نذهب فى أرض الله حيث لا نؤذى فقال صحبكم الله فلما جاء زوجى عامر أخبرته بما رأيت من رقة عمر فقال ترجين أن يسلم والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب وذلك لما كان يراه من قسوته وشدته على المسلمين ولكن حصلت له بركة دعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم فانه قال قبيل اسلامه اللهم أعز الاسلام بعمر وكان اسلامه فى دار الأرقم بن أبى الأرقم التى كان المسلمون يجتمعون فيها وقد حقق الله باسلامه مارجاه عليه السلام فقد قال عبد الله بن مسعود مازلنا أعزة منذ أسلم عمر فانه طلب من رسول الله أن يعلن صلاته فى المسجد ففعل وقد أدرك الكفار كآبة شديدة حينما رأوا عمر أسلم وكانوا قد أرادوا قتله حتى اجتمع جمع منهم حول داره ينتظرونه فجاء العاص بن وائل السهمى وهو من بنى سهم حلفاء بنى عدى قوم عمر وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف

بحرير فقال لعمر ما بالك فقال زعم قومك انهم سيقتلونني أن أسلمت قال لا سبيل اليك فأنا لك جار فأمن عمرو خرج العاص فوجد الناس قد سال بهم الوادي فقال أين تريدون قالوا نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ قال لا سبيل اليه فرجع الناس من حيث أتوا

رجوع مهاجري الحبشة

وبعد ثلاثة أشهر من خروج مهاجري الحبشة رجعوا الى مكة حيث لم تتيسر لهم الاقامة فيها لانهم قليلو العدد وفي الكثرة بعض الانس وأضف الى ذلك انهم أشراف قريش ومعهم نساؤهم وهؤلاء لا يطيب لهم عيش في دار غربة بهذه الحالة

وقد أولع بعض المؤرخين بحكاية يجعلونها سببا في رجوع مهاجري الحبشة وهي أنه بلغهم اسلام قومهم حينما قرأ عليهم الرسول سورة النجم وتكلم فيها كلاماً حسناً عن آلهتهم حيث قال بعد (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) تلك الغرانيق (جمع غرنوق ويراد بها الملائكة) العلى وان شفاعتهن لترتجى فسجدوا اعظاماً لذلك وفرحاً وهذا مما لا تجوز روايته الا على قليلي الادراك الذين ينقلون كل ما وجدوه غير متثبتين في صحته وها نحن نسوق لك أدلة النقل والعقل على بطلان

ما ذكر اما الحديث فسنده ومتنه فاما السند قال فيه القاضي عياض في الشفاء لم يخرجه أحد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم واما المتن فليس أصحاب رسول الله ولا المشركون مجانين حتى يسمعوا مدحاً أثناء ذم ويجوز ذلك عليهم فبعد ذكر الاصنام قال (ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان) فالكلام غير منتظم ولو كان ذلك قد حصل لاتخذه الكفار عليه حجة يحاجونه بها وقت الخصام وهم من نعرفهم من العناد فيما ليس فيه أدنى حجة فكيف بهذه . وليس ذلك القيل اقل بكثير من تحويل القبلة الى الكعبة وهذا قالوا فيه ما قالوا حتى سماهم الله سفهاء وانزل فيهم (سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) ولكن لم يسمع عن اى واحد من رجالاتهم والمتصدرين للعناد منهم ان قال مالك ذممت آلهتنا بعد ان مدحتها وكان ذلك اولى لهم من تجريد السيوف وبذل مهج الرجال على ان المؤرخين الذين ينقلون هذه العبارة ويجعلونها سبباً لرجوع مهاجرى الحبشة يقولون أثناء كلامهم ان الهجرة كانت في رجب والرجوع كان في شوال ونزول سورة والنجم كان في رمضان فالمدة

بين نزول السورة ورجوع المهاجرين شهر واحد والمتأمل
ادنى تأمل يرى ان الشهر كان لايكفى فى ذاك الزمن للذهاب
من مكة الى الحبشة والاياب منها لانه لم يكن اذ ذاك مراكب
بخارية تسهل السير فى البحر ولا تلغراف يوصل خبر اسلام
قريش لمن بالحبشة فلا غرابة بعد ذلك أن قلنا ان هذه الخرافة
من موضوعات أهل الاهواء الذين ابتلى الله بهم هذا الدين
ولكن الحمد لله فقدمن علينا بحفظ كتابنا المجيد الذى يحكم بيننا
وبين كل مفتر كذاب ففى السورة نفسها (وما ينطق عن الهوى)
والذى يلقيه الشيطان من أقبح ما يروى فكيف يقوله عليه
السلام أو يجرى على لسانه مما يثبت الشكوك فى الوحى
الامر الذى يريده السفهاء رد الله كيدهم فى نحرهم والذى
ورد فى الصحيح فى موضوع هذا السجود ما رواه عبد الله
ابن مسعود أن النبي عليه السلام قرأ والنجم فسجد وسجد من
كان معه الا رجلا أخذ كفاً من حصى وضعه على جبهته وقال
يكفينى هذا فرأيته قتل بعد كافراً وليس فى هذا الحديث أدنى
دلالة على أن الذين سجدوا معه هم مشركون بل الذى يفيده
قوله فرأيته قتل بعد كافراً أنه كان مسلماً ثم ارتد وهذا ما

حصل من بعض ضعاف القلوب الذين لم يتحملوا الاذى فكفروا
منهم على بن أمية بن خلف على انك اذا فهمت ما سبق من ان
عبد الله بن مسعود كان أحد المهاجرين الى الحبشة جزمت
بان هذا الحديث لم يكن لما وضعوه له هذا ولما رجع مهاجرو
الحبشة الى مكة لم يتمكن من الدخول اليها الا من وجد له
مجيراً فدخل أبو سلمة فى جوار خاله أبى طالب ودخل عثمان
ابن مظعون فى جوار الوليد بن المغيرة وقد رد عليه جواره
حينما رأى ما يصنع بالمسلمين فلم ير أن يكون مرتاحاً واخوانه
يعذبون

كتابة الصحيفة

ولما ضاقت الحيل بكفار قريش عرضوا على بنى عبد
مناف الذين منهم الرسول عليه السلام دية مضاعفة ويسلمونه
فابوا عليهم ذلك ثم عرضوا على أبى طالب ان يعطوه سيداً
من شبانهم يتبناه ويسلم اليهم ابن أخيه فقال عجباً لكم تعطونى
ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه فلما رأوا ذلك أجمعوا
أمرهم على منابذة بنى هاشم وبنى المطلب ولدى عبد مناف
واخراجهم من مكة والتضييق عليهم بمنع حضور الاسواق
وان لا يناكحوهم وأن لا يقبلوا لهم صلحاً أبداً حتى يسلموا

محمداً للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها فى جوف الكعبة فانحاز بنو هاشم بسبب ذلك فى شعب ابى طالب ودخل معهم بنو المطلب سواء فى ذلك مسلمهم وكافرهم ماعـدا أبا لهب فانه كان مع قريش وانخذل عنهم بنو عميهم عبد شمس ونوفل ابنى عبـد مناف فجهد القوم حتى كانوا يا كلون ورق الشجر وكان أعداؤهم يمنعون التجار من مبايعتهم وفى مقدمة المانعين ابو لهب وبعـد دخول الرسول وقومه الشعب أمر جميع المسلمين ان يهاجروا الحبشة حتى يساعدوا بعضهم على الاغتراب فهاجر معظمهم وكانوا نحو ثلاثة وثمانين رجلاً وثمانى عشرة امرأة وكان من الرجال جعفر بن ابى طالب وزوجته أسماء بنت عميس والمقداد بن الاسود وعبد الله بن مسعود وعبيد الله بن جحش وامرأته أم حبيبة بنت ابى سفيان وتوجه لهم الذين أسلموا من جهة اليمن وهم الاشعريون ابو موسى وبنو عمه ولما رأت قريش ذلك أرسلت فى أثرهم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدايا الى النجاشى ليسلمهم المسلمين فرجعا شر رجعة ولم ينالوا من النجاشى الا اهانة لما خاطبوه به من خفر ذمته فى قوم لاذوا به اما بنو هاشم فمكثوا فى الشعب

هجرة الحبشة الثانية

قريباً من ثلاث سنوات فى شدة الجهد والبلاء لا يصلهم شئ
من الطعام الا خفية حتى قام خمسة من اشراف قريش يطالبون نقض الصحيفة
بنقض هذه الصحيفة الظالمة وهم هشام بن عمرو بن الحارث
وزهير بن امية ابن عمة الرسول عاتكة والمطعم بن عدى وابو
البحترى بن هشام وزمعة بن الاسود واتفقوا على ذلك ليلاً
فلما أصبحوا غدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم أقبل على
الناس فقال ياأهل مكة أنأ كل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم
والمطلب هلكى لا يبيعون ولا يبتاعون والله لا أقعد حتى
تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة فقال أبو جهل كذبت فقال
زمعة لابى جهل أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين
كتبت فقال أبو البحترى صدق زمعة وقال المطعم بن عدى
صدقتما وكذب من قال غير ذلك وصدق على ما قيل هشام بن
عمرو فقام اليها المطعم بن عدى فشقها وكانت الارضة قد
أكلتها فلم يبق فيها الا ما فيه اسم الله وقد أخبر النبي عليه
السلام عمه أبا طالب بذلك قبل أن يفعل ما ذكر فخرج القوم
الى مساكنهم بعد هذه الشدة وقد وفد على الرسول بعد وفود نجران
الخروج من الشعب وفد من نصارى نجران بلغهم خبره من

مهاجرى الحبشة فسارعوا بالقدوم عليه حتى يروا صفاته مع ما ذكر منها فى كتبهم فقرأ عليهم القرآن فآمنوا كلهم فقال لهم أبو جهل مارأينا ركباً أحمق منكم أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل فصبأتم فقالوا سلام عليكم لا نجاهلكم لكم ما أنتم عليه ولنا ما اخترناه فانزل الله فى ذلك (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين) وقد كان اهل مكة حينما عجزوا عن أمر رسول الله ولم يتمكنوا من مقارعة الحجة بالحجة رموه بالسحر مرة وبالكذب أخرى وبالجنون طوراً وبالكهانة مرة كل ذلك لأن العاجز المعاند الذي لا يستحي لمزيد عناده ان يقول (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم)

وفاة خديجة

وبعد خروجه عليه السلام من الشعب بقليل توفيت

خديجة بنت خويلد زوجه رضى الله عنها كان عليه السلام
كثيراً مايذكرها ويترحم عليها ولا غرابة فهى أول نفس زكية
صدقت رسول الله فيما جاء به عن ربه وقد جاء منها باولاده
كلهم عدا ابراهيم فنها زينب وهى أكبر بناته تزوجها في
الجاهلية ابو العاص بن الربيع ومنها رقية وأم كلثوم تزوجهما
عثمان الاولى بمكة قبل الهجرة وهاجر بها الى الحبشة والثانية
بالمدينة بعد ان ماتت أختها ومنها فاطمة وهى أصغر بناته
تزوجها على بن أبى طالب وقد جاءت خديجة باولاد تُوُفُّوا
صغاراً ولم يعش بعد رسول الله من أولاده الافاطمة عاشت
بعده قليلاً ولما توفيت خديجة حزن عليها رسول الله حزناً
شديداً لما كانت عليه من الرقة لرسول الله ومحاجزة الكفار
عنه لما لها من الجاه في عشيرتها بنى زهرة وعقد عليه زواج سودة
السلام فى الشهر الذي ماتت فيه على سودة بنت زمعة بعد
ان توفى عنها زوجها وابن عمها السكران وقد كانت آمنت بالله
وبرسوله وخالفت أقاربها وبني عمها وهاجرت مع زوجها الى
الحبشة فى المرة الثانية خوف الفتنة وعقب رجوعه من هجرته
توفى عنها فلم يكن ثم أجمل مما صنعه الرسول بزوجة رجل

آمن به ولو تركت لقومها مع ما هم عليه من الغلظة وكراهة
الاسلام لفتنوها وكرمُ نسبها فى قومها يمنعها من التزوج
برجل أقل منها نسباً وشرفاً وبعد ذلك بشهر عقد على عائشة زواج عائشة
بنت صديقه ابى بكر وهى لاتتجاوز السادسة من عمرها ولم
يتزوج عليه السلام بكراً غيرها ودخل عليها بالمدينة اما سودة
فدخل عليها بمكة وبعد وفاة خديجة بنحو شهر توفى عمه ابو طالب
الذى كان يمنعه من أذى أعدائه ومع انه كان لا يكذب رسول الله
فيما جاء به بل يعتقد صدقه لم ينطق بالشهادتين حتى آخر
لحظة من حياته وفيه نزل (انك لا تهدى من أحببت ولكن
الله يهدى من يشاء وهو اعلم بالمهتدين) ولكن لاعماله العظيمة
التى عملها مع رسول الله نرجو ان يخفف عنه وعدم اسلامه بل
هو وغالب اقارب الرسول فيه من الحكمة مالا يخفى فانهم
لو بادروا باتباعه لقيل قوم يطلبون سيادة وفخراً ليس لهم
فجاؤا بهذا الامر المفترى ولكن لما رأى المعاندون ان متبعيه هم
الغرباء عنه الذين ليسوا من عشيرته بل من اعدائها أحياناً كعثمان بن
عفان من بني امية لم يكن عندهم ادنى حجة يقيمونها اللهم الا دعاويهم
الكاذبة التى كانوا يتمسكون بها حينما تصدعهم الحجة وهو قولهم

ساحر يفرق بين المرء وزوجه وكاهن يتكهن بالغيب وقد سمى رسول الله هذا العام الذى فقد فيه زوجه وعمه عام الحزن ولما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله مالم يمكنها نواله فى حياة أبى طالب واشتد الامر عليه حتى كانوا ينثرون التراب على رأسه وهو سائر ويضعون أوساخ الشاة عليه فى صلاته وتعلقت به كفار قريش مرة يجاذبونه ويقولون له انت الذى تريد ان تجعل الآلهة الهاً واحداً فما تقدم احد من المسلمين حتى يخلصه منهم لما هم عليه من الضعف الا ابا بكر تقدم وقال اتقتلون رجلاً ان يقول ربى الله فلما رأى عليه السلام استهانة قريش به أراد ان يتوجه الى ثقيف بالطائف يرجو منهم نصرته على قومه ومساعدته حتى يتم أمر ربه لانهم أقرب الناس الى مكة وله فيهم خؤلة فان أم هاشم بن عبد مناف عاتكة السلمية من بني سليم بن منصور وهم حلفاء ثقيف فلما توجه اليهم ومعه مولاه زيد بن حارثة قابل رؤساءهم وكانوا ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب أولاد عمرو بن عمير الثقفى فعرض عليهم نصرته حتى يؤدى دعوته فردوا عليه رداً قبيحاً ولم ير منهم خيراً وحينئذ طلب منهم ان لا يشيعوا ذلك

هجرة الطائف

عنه كيلا تعلم قريش فيشتد أذاهم لانه استعان عليهم باعدائهم فلم تفعل ثقيف مارجاه منهم عليه السلام بل أرسلوا سفهاءهم وغلمانهم يقفون فى وجهه فى الطريق ويرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبه وكان زيد بن حارثة يدرأ عنه الى أن انتهى الى شجرة كرم واستظل بها وكانت بجوار بستان لعتبة وشيبة ابنى ربيعة وهما من أعدائه وكانا فى البستان فكره رسول الله مكانهما فدعا الله قائلاً (اللهم انى اشكو اليك ضعف قوتى وهوانى على الناس يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربى الى من تكلنى ان لم يكن بك غضب على فلا ابالى) فلما رآه ابنا ربيعة رقا له وارسلا اليه بقطف من العنب مع مولى لهما نصرانى اسمه عداس فلما ابتدأ رسول الله يأكل قال بسم الله الرحمن الرحيم فقال عداس هذا الكلام مايقوله اهل هذه البلاد فقال له عليه السلام من أى البلاد انت وما دينك فقال نصرانى من نينوى فقال عليه السلام قرية الرجل الصالح يونس بن متى قال وما علمك بيونس فقرأ له من القرآن مافيه قصة يونس فلما سمع ذلك عداس اسلم وأتى جبريل برسالة الله من جل ذكره وقال ان الله امرنى ان اطيعك فى قومك

لما صنعوه معك فقال عليه السلام اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فقال جبريل صدق من سماك الرؤف الرحيم ولما كان بنخلة وفد عليه نفر من الجن يستمعون القرآن فلما سمعوه أنصتوا له ورجعوا الى قومهم منذرين وأبلغوهم خبر رسول الله وفيهم نزل (واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولّوا الى قومهم منذرين قالوا ياقومنا انا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء أولئك في ضلال مبين) وقد قص الله قصة الجن بعبارة أطول في سورة سميت باسمهم أولها (قل أوحي اليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآناً عجباً يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً) ولما رجع عليه السلام من الطائف هكذا لم يتمكن من دخوله مكة لما علمه كفار قريش من انه توجه الى الطائف يستنصر باهلها عليهم فأرسل عليه السلام الى المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف يخبره انه سيدخل

الاحتماء المطعم ابن عدى

مكة فى جواره فاجاب الى ذلك وتسلح هو وبنوه وتوجهوا مع رسول الله الى الطائف فقال له بعض المشركين أمجير أنت أم تابع فقال بل مجير قالوا اذاً لا تخفر ذمتك

وفد دوس — وقدم على رسول الله وهو بمكة الطفيل بن عمرو الدوسى من قبيلة دوس عشيرة ابى هريرة الصحابى الشهير وكان الطفيل شريفاً فى قومه شاعراً نبيلاً فلما قرأ عليه القرآن أسلم فقال له رسول الله اذهب الى قومك فادعهم الى الاسلام ودعا لهم رسول الله فقال اللهم أهد دوسا فتوجه اليهم الطفيل ودعاهم فآمن بدعوته كثير منهم وستأتى وفادته على الرسول مرة ثانية بقومه فى المدينة

الاسراء والمعراج — وقبل الهجرة أكرمه الله بالاسراء والمعراج اما الاسراء فهو توجهه ليلا الى بيت المقدس ورجوعه من ليلته وأما المعراج فهو صعوده الى العالم العلوى وقد قال جمهور أهل السنة ان ذلك كان بجسمه الشريف وكانت عائشة رضى الله عنها تمنع رؤية رسول الله ربه وتقول من قال ان محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله والاسراء مذكور فى القرآن الكريم قال تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى

المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) أما المعراج فقد ورد فى صحيح السنة وأصح أحاديثه مارواه الشيخان ونقله القاضى عياض فى شفائه عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق وهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقه التى تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فاتانى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابنى الخالة يحيى وعيسى ابن مريم فرحبا بى ودعوا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا واذا أنا بيوسف واذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب بى ودعالى

بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا أنا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير قال تعالى (ورفعناه مكاناً علياً) ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا أنا بابراهيم مسنداً ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا أوراقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر ربي ماغشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الى ما أوحى ففرض عليّ وعلى أمتي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال مافرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل قبلك وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يارب خفف عن أمتي فحط عني خمساً فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمساً قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي

تعالى وبين موسى حتى قال سبحانه يامحمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشراً ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئاً ومن هم بسيئة فعملها كتبت له سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه ثم رجع عليه السلام من ليلته فلما أصبح غدا الى نادى قريش فجلس اليه أبو جهل فحدثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جرى له فقال أبو جهل يابنى كعب بن لؤى هلموا فاقبل عليه كفار قريش فاخبرهم الرسول الخبر فصاروا بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجباً وانكاراً وارتد ناس ممن كان آمن به من ضعاف القلوب وسعى رجال الى أبي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال انى لاصدقه على أبعد من ذلك فسمى من ذلك اليوم صديقاً ثم قام الكفار يمتحنون رسول الله وسألوه نعت بيت المقدس وفيهم رجال رأوه أما رسول الله فلم يكن رآه قبل ذلك فجلاه الله له فصار يصفه لهم باباً باباً

وموضعاً موضعاً فقالوا أما النعت فقد أصاب فاخبرنا عن عيرنا وكانت لهم عير قادمة من الشام فاخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد أشرقت فقال آخر وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد ثم لم يزدهم ذلك الا كفراً وعناداً بل قالوا هذا سحر مبين وفى صبيحة ليلة الاسراء جاء جبريل وعلم رسول الله كيفية الصلاة وأوقاتها فيصلى ركعتين اذا ظهر الفجر وأربع ركعات اذا زالت الشمس ومثلها اذا ضوعف ظل الشئ وثلاث اذا غربت وأربع اذا غاب الشفق الاحمر وكان عليه السلام قبل مشروعية الصلاة يصلى ركعتين صباحاً ومثلهما مساء كما كان يفعل إبراهيم عليه السلام

العرض على القبائل

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يجد من قريش منعه من تأدية الرسالة وتسلط الكبر والعظمة على قلوبهم أراد الله ان يظهر أمر هذا الدين على أيدى غيرهم من العرب فكان عليه السلام يخرج فى المواسم العربية (وهى أسواق كانت العرب تعقدها للتجارة والمفاخرة) ويعرض نفسه

على القبائل ليحموه حتى يؤدى رسالة ربه فكان بعضهم يرد ردا جميلاً وآخرون رداً قبيحاً ومن أقبح القبائل رداً بنو حنيفة رهط مسيلمة الكذاب وطلب منه بنو عامر ان هم آمنوا به ان يجعل لهم أمر الرياسة من بعده فقال لهم الامر لله يضعه حيث يشاء وكان من الذين يحجون البيت عرب يثرب وهى مدينة بين مكة والشام يقطنها قبيلتان احداهما من ولد الاوس والثانية من ولد الخزرج وهما ابنا عم وكان بينهما من العداوة مايجعل الحرب لا تضع أوزارها بين الفريقين فكانوا دائماً فى شقاق ونزاع وكان يجاورهم فى المدينة أقوام من اليهود وهم بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير وكان لهم الغلبة على يثرب اولاً فحاربهم العرب حتى صاروا ذوى النفوذ فيها والقوة وكان اليهود اذا خذلوا يستفتحون على اعدائهم باسم نبي يبعث قد قرب زمانه ولما اختلفت كلمة العرب فيما بينهم وشقت عصا الالفة حالفوا اليهود على انفسهم فحالف الاوس بنى قريظة وحالف الخزرج بنى النضير وبنى قينقاع وقد خطر ببال رؤساء الاوس ان يحالفوا قريشاً على الخزرج فارسلوا اياس بن معاذ وأبا الحَيْسر أنس بن رافع مع جماعة يلتمسون

ذلك الحلف فى قريش فلما جاؤا مكة جاءهم رسول الله وقال هل لكم فى خير مما جئتم له ان تؤمنوا بالله وحده ولا تشركوا به شيئاً وقد أرسلنى الله الى الكافة ثم تلا عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ ياقوم هذا والله خير مما جئنا له فحصبه ابو الحَيْسَر وقال له دعنا منك لقد جئنا لغير هذا فسكت ولما جاء الموسم تعرض رسول الله لنفر منهم يبلغون الستة ودعاهم الى الاسلام والى معاونته فى تبليغ رسالة ربه فقال بعضهم لبعض انه للنبى الذى كانت تعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فآمنوا به وصدقوه وقالوا انا تركنا قومنا بينهم من العداوة ما بينهم فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ووعدوه المقابلة فى الموسم المقبل وهذا هو بدء الاسلام لعرب يثرب فلما كان العام المقبل قدم اثنا عشر رجلاً منهم عشر من الخزرج واثنان من الاوس فاجتمعوا به عند العقبة وأسلموا وبايعوا رسول الله على ان يمنعوه مما يمنعون به نساءهم وابناءهم وذهبوا على ذلك وهذه هى العقبة الاولى فارسل لهم عليه السلام مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم وهو ابن خالة خديجة يقرآنهم القرآن ويفقهانهم فى الدين ونزل مصعب على

بدء اسلام الانصار

العقبة الاولى

أحـد المبايعين أبى أمامة أسعد بن زرارة وصار يدعو بقيـة الاوس والخزرج للاسلام وبينما هو فى بسـتان مع أسـعد ابن زرارة اذ قال سعد بن معاذ رئيس قبيلة الأوس لأسيد ابن حضير ابن عم سعد الا تقوم الى هذين الرجلين اللذين آتيا يسفهان ضعفاءنا لتزجرهما فقام لهما أسـيد بحربته فلما رآه أسعد قال لمصعب هذا سـيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه فلما وقف عليهما قال ماجاءبكما تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كان لكما بأنفسكما حاجة فقال مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمراً قبلته وان كرهته كففنا عنك ماتكره فقرأعليه مصعب القرآن فاستحسن دين الاسلام وهداه الله له فتشهد ورجع الى سـعد فسأله عما فعـل فقال والله مارأيت بالرجلين بأساً فغضب سعد وقام لهما متغيظاًففعل معه مصعب كسابقه فهداه الله للاسـلام ورجع لرجال بنى عبـد الاشهل وهم بطن من الأوس فقال لهم ماتعدوننى فيكم قالوا سيدنا وابن سـيدنا قال كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تسلموا فلم يبق بيت من بيوت بنى عبد الاشهل الا أجابه وقد انتشر الاسلام فى دور يثرب حتى لم يكن بينهم حديث الا أمر الاسـلام ولما

كان وقت الحج فى العام الذى يلى البيعة الاولى قدم مكة كثيرون منهم يريدون الحج وبينهم كثير من مشركيهم ولما قابل وفدهم رسول الله واعدوه المقابلة ليلاً عند العقبة فامرهم أن لا ينبهوا فى ذلك الوقت نائماً ولا ينتظروا غائباً لان كل هذه الاعمال كانت خفية من قريش كيلا يطلعوا على الامر فيسعوا فى نقض ما أبرم شأنهم مع رسول الله فى أول أمره ولما فرغ الانصار من حجهم توجهوا الى موعدهم كاتمين أمرهم عمن معهم من المشركين وكان ذلك بعد مضى ثلث الليل الاول فكانوا يتسللون الرجل والرجلين حتى تم عددهم ثلاثاً وسبعين رجلا معهم امرأتان ووافقهم رسول الله هناك وليس معه الا عمه العباس بن عبد المطلب وهو على دين قومه ولكن أراد أن يحضر أمر ابن أخيه ليكون متوثقاً له فلما اجتمعوا عرفهم العباس بأن ابن أخيه لم يزل فى منعة من قومه حيث لم يمكنوا منه أحداً ممن أظهر له العداوة والبغضاء وتحملوا من ذلك أعظم الشدة ثم قال لهم ان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك والا فدعوه بين عشيرته فانه منهم لبمكان عظيم فقال كبيرهم

والمتكلم عنهم البراء بن معرور والله لو كان لنا فى أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهجنا دون رسول الله وعند ذلك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ لنفسك ولربك ما أحببت فقال اشترط لربى أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً ولنفسى أن تمنعونى مما تمنعون به نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم فقال له الهيثم بن التيهان يارسول الله ان بيننا وبين الرجال عهوداً وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم عليه السلام وقال بل الدم الدم والهدم الهدم فان طالبتم بدم طالبت به وان أهدرتموه أهدرته وحينذاك ابتدأت المبايعة وهى العقبة الثانية فبايعه الرجال على ماطلب ثم تخير منهم اثنى عشر نقيبا لكل عشيرة منهم واحد وهم أبو الهيثم بن التيهان وأسعد بن زرارة وأسيد بن حضير والبراء ابن معرور ورافع بن مالك وسعد بن أبى خيثمة وسعد ابن الربيع وسعد بن عبادة وعبدالله بن رواحة وعبد الله ابن عمرو وعبادة بن الصامت والمنذر بن عمرو ثم قال لهم أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم وأنا كفيل

العقبة الثانية

على قومى ولامر ما اراده الله بلغ خبر هذه البيعة مشركى قريش فجاؤا ودخلوا شعب الانصار وقالوا يامعشر الخزرج بلغنا انكم جئتم لصاحبنا تخرجونه من أرضنا وتبايعونه على حربنا فانكروا ذلك وصار بعض المشركين الذين لم يحضروا المبايعة يحلفون لهم أنهم لم يحصل منهم شئ فى ليلتهم وعبد الله بن أبى أحد المشركين يقول ما كان قومى ليفتاتوا على بشئ من ذلك ولما رجع الانصار الى المدينة ظهر بينهم الاسلام أكثر من المرة الاولى أما رسول الله وأصحابه فازداد عليهم أذى المشركين لما سمعوا انه حالف قوما عليهم فأمر عليه السلام جميع المسلمين بالهجرة الى المدينة فصاروا يتسللون خيفة قريش ان تمنعهم وأول من خرج أبو سلمة المخزومى زوج أم سلمة ومعه زوجه وكان قومها منعوها منه ولكنهم أطلقوها بعد فلحقت به وتتابع المهاجرون فراراً بدينهم ليتمكنوا من عبادة الله الذى امتزج حبه بلحمهم ودمهم حتى صاروا لا يعبأون بمفارقة اوطانهم والابتعاد عن آبائهم وأبنائهم مادام فى ذلك رضى الله ورسوله ولم يبق بمكة منهم الا أبو بكر وعلى وصهيب وزيد بن حارثة وقليلون من المستضعفين الذين لم تمكنهم حالتهم

هجرة المسلمين الى المدينة

من الهجرة وقد أراد أبو بكر الهجرة فقال له عليه السلام على رسلك فانى أرجو أن يؤذن لى فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبى أنت قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر استعداداً لذلك أما قريش فكانوا كأنهم أصيبوا بمس الشيطان حينما بلغ مسامعهم مبايعة الانصار له على الذود عنه حتى الموت فاجتمع رؤساؤهم وقادتهم فى دار الندوة لينظروا فى هذا الامر الذى ظنوا من ورائه شراً لهم فقال قائل منهم نخرجه من أرضنا كى نستريح منه فرفض هذا الرأى لانهم قالوا اذا خرج اجتمعت حوله الجموع لما يرونه من حلاوة منطقه وعذوبة لفظه وقال آخر نوثقه ونحبسه حتى يدركه ما أدرك الشعراء قبله من الموت فرفض هذا الرأى كسابقه لانهم قالوا ان الخبر لا يلبث أن يبلغ أنصاره ونحن أدرى الناس بمن دخل فى دينه حيث يفضلونه على الآباء والابناء فاذا سمعوا ذلك جاؤا لتخليصه وربما جرهذا من الحرب علينا ما نحن فى غنى عنه وقال لهم طاغيتهم بل نقتله ولنمنع بنى أبيه من الاخذ بثاره نأخذ من كل قبيلة شاباً جلداً يجتمعون امام داره فاذا خرج ضربوه ضربة رجل

دار الندوة

واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلهم بل يرضون بالدية فأقروا على هذا الرأى هذا مكرهم ولكن ارادة الله فوق كل ارادة فاعلم نبيه بما دبره الاعداء في سرهم وأمره باللحاق بدار هجرته بدار فيها ينتشر الاسلام ويكون فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم العزة والمنعة وهذا من الحكمة بمكان عظيم فانه لو انتشر الاسلام بمكة لقال المبغضون ان قريشاً أرادوا ملك العرب فعمدوا الى شخص منهم وأوعزوا اليه أن يدعى هذه الدعوى حتى تكون وسيلة لنوال مآربهم ولكنهم كانوا له أعداء الداء آذوه شديد الاذى حتى اختار الله له مفارقة بلادهم والبعد عنهم فتوجه من ساعته الى صديقه أبى بكر وأعلمه ان الله قد أذن له فى الهجرة فسأله أبو بكر الصحبة فقال نعم ثم عرض عليه احدى راحلتيه اللتين كانتا معدتين لذلك فلم يرض عليه السلام الا بالثمن ثم جهزاها أحث الجهاز وصنعت لهما سفرة فى جراب فقطعت أسماء بنت أبى بكر نطاقها وربطت به على فم الجراب واستأجرا رجلاً من بنى الديل وهو من بنى عدى هادياً ماهراً وهو على دين كفار قريش فأمناه ودفعا اليه راحلتيهما وواعداه

غار ثور بعد ثلاث ليال ثم فارق الرسول عليه السلام أبابكر وواعده المقابلة ليلاً خارج مكة وكانت هذه الليلة هى ليلة استعداد القرشيين لتنفيذ ما أقروا عليه فاجتمعوا حول باب الدار ورسول الله داخله فلما جاء ميعاد الخروج أمر ابن عمه علياً بالمبيت مكانه كى لا يقع الشك فى وجوده اثناء الليل فانهم كانوا يرددون النظر من شقوق الباب ليعلموا وجوده ثم سجى علياً ببردته وخرج على القوم وهو يقرأ (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فاغشيناهم فهم لايبصرون) فالقى الله النوم عليهم حتى لم يره منهم أحد ولم يزل عليه السلام سائراً حتى تقابل مع الصديق وسارا حتى بلغا غار ثور فاختفيا فيه أما المشركون فلما علموا بفساد مكرهم وانهم انما باتوا يحرسون على بن أبى طالب لا محمد بن عبد الله هاجت عواطفهم فأرسلوا الطلب من كل جهة وجعلوا الجوائز لمن يأتى بمحمد أو يدل عليه وقد وصلوا فى طلبهم الى ذلك الغار الذى فيه طلبتهم بحيث لو نظر أحدهم تحت قدميه لنظرهما حتى أبكى ذلك أبا بكر فقال له عليه السلام (لاتحزن ان الله معنا) فأعمى الله أبصار المشركين حتى لم يحن لاحد منهم التفاتة الى ذلك الغار بل

هجرة المصطفى

صار أعدى الاعداء أمية بن خلف يبعد لهم اختفاء المطلوبين في مثل هذا الغار فأقاما فيه ثلاث ليال حتى ينقطع الطلب وكان يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر وهو شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت بها فلا يسمع أمرا يكادان به الا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام وكان عامر بن فهيرة يروح عليهما بقطعة من غنم يرعاها حين تذهب ساعة من العشاء ويغدو بها عليهما فاذا خرج من عندهما عبد الله تبع أثره عامر بالغنم كيلا يظهر لقدميه أثر ولما انقطع الطلب خرجا بعد ان جاءهما الدليل بالراحلتين صبح ثلاث وسارا متبعين طريق الساحل وفي الطريق لحقهم طالبا سراقة بن جعشم وكان قد رأى رسل مشركي قريش يجعلون في رسول الله وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أوأسره فبينما هو في مجلس من مجالس قومه بني مدلج اذ أقبل رجل منهم حتى قام عليهم وهم جلوس فقال ياسراقة اني رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه فعرف سراقة أنهم هم ولكنه أراد أن يثني عزم مخبره عن طلبهم فقال انك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة

لهم ثم لبث فى المجلس ساعة وقام وركب فرسه ثم سار حتى دنا من الرسول ومن معه فعثرت به فرسه فخر عنها ثم ركبها ثانياً وسار حتى صار يسمع قراءة المصطفى وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات فساخت قوائم فرس سراقة فى الارض حتى بلغتا الركبتين فخر عنها ثم زجرها حتى نهضت فلم تكد تخرج يديها حتى سطع لأثرها غبار ساطع فى السماء مثل الدخان فعلم سراقة أن عمله ضائع سدى وداخله رعب عظيم فناداهما بالامان فوقف عليه السلام ومن معه حتى جاءهم ويقول سراقة وقع فى نفسى حين لقيت مالقيت أن سيظهر أمر رسول الله فقلت ان قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرهم بما يريد بهم الناس وعرض عليهم الزاد والمتاع فلم يأخذ منه شيئاً بل قالا له اخف عنا فسأله سراقة أن يكتب له كتاب أمن فأمر عامر ابن فهيرة فكتب وبذلك انقضت هذه المشكلة التى أظهر الله فيها مزيد عنايته برسوله وكان أهل المدينة حينما سمعوا بخروج رسول الله وقدومه عليهم يخرجون الى الحرة حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوماً بعد ان أطالوا انتظارهم فلما آووا الى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم

لامر ينظر اليه فبصر برسول الله وأصحابه يزول بهم السراب يظهرهم تارة ويخفيهم أخرى فقال اليهودى بأعلى صوته يا معشر العرب هذا حظكم الذى تنتظرون فثاروا الى السلاح فتلقوا رسول الله بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى

النزول بقباء

نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف بقباء وذلك يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول وهذا أول تاريخ جديد (١) لظهور الاسلام بعد أن مضى عليه ثلاث عشرة سنة وهو مضيق عليه من مشركى قريش ورسول الله ممنوع من الجهر بعبادة ربه أما الآن فقد آواه الله هو وصحابته رضوان الله عليهم بعد أن كانوا قليلاً يتخطفهم الناس وبهذه الهجرة تمت لرسولنا سنة اخوانه من الانبياء قبله فما من نبى منهم الا نبت به بلاد نشأته فهاجر عنها من ابراهيم أبى الانبياء وخليل الله الى عيسى كلمة الله وروحه كلهم على عظيم درجاتهم ورفعة

هجرة الانبياء

(١) لما أراد المسلمون فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وضع التاريخ جعلوا مبدأه من هذه الهجرة الشريفة ولعدم المخالفة بين بدء الهجرة وبدء السنة الهلالية قدموا ميعاد الهجرة شهرين واثنى عشر يوماً وجعلوا بدء الهجرة من محرم سنتها

مقامهم أهينوا من عشائرهم فصبروا ليكونوا مثالاً لمن يأتى بعدهم من متبعيهم فى الثبات والصبر على المكاره مادام ذلك فى طاعة الله فسل مصر وتاريخها تنبئك عن اسرائيل (يعقوب) وبنيه انهم هاجروا اليها حينما رأوا من بنيها ترحيباً بهم وتركهم وما يعبدون اكراماً ليوسف وحكمته ولما مضت سنون نسى فيها المصريون تدبير يوسف وفضله عليهم فاضطهدوا بنى اسرائيل وآذوهم خرج بهم موسى وهارون ليتمكنوا من اعطاء الله حقه فى عبادته وهرب المسيح عليه السلام من اليهود حينما كذبوه فارادوا الفتك به حتى كان من ضمن تعاليمه لتلامذته (طوبى للمطرودين من أجل البر لان لهم ملكوت السموات) ثم قال بعد (افرحوا وتهللوا لان أجركم عظيم فى السموات فانهم هكذا طردوا الانبياء الذين قبلكم) وسل القرى التى حلت بها نقمة الله لكفر أهلها كديار لوط وعاد وثمود تنبئك عن مهاجرة الانبياء منها قبل حلول النقمة فلا غرابة ان هاجر عليه السلام من منعه أهلها بلاده من تميم ما أراده الله (سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً)

هذا ولنبين لك بجمل مادعا اليه الرسول عليه السلام اجمال مكة

بمكة من أصول الدين وذلك أمران (الاول) الاعتقاد بوحدنية الله وأن لا يشرك معه فى العبادة غيره سواء كان ذلك الغير صنما كما يفعل مشركو مكة أو ابنا أو زوجة أو بنتاً كما عليه بعض الطوائف الاخرى كالنصارى ولولا الاعتقاد بوحدانية الاله ما كلف أحد نفسه تكاليف الحياة من آداب الاخلاق بل كان يسير فيما تأمره به نفسه من شهواتها وملذاتها مادام ذلك خافياً عن الناس (الثانى) الاعتقاد بالبعث والنشور وان هنالك يوماً ثانياً للانسان يجازى فيه على ماصنعه فى الدنيا ان خيراً فخيراً وان شراً فشر وعلى هذين الامرين جاء غالب الآى المكية فقلما ترى سورة من سور مكة الا ورأيتها مشحونة بالاستدلال عليهما وتوبيخ من تركهما وكل ذلك بأساليب تأخذ بالعقل وبراهين لاتحتاج لفلسفة الذين يشغلون أنفسهم بما لا طائل تحته مما يضيع الوقت سدى ولما نزل عليه السلام بقباء نزل على شيخ بنى عمرو كلثوم بن الهدم وكان يجلس للناس ويتحدث لهم فى بيت سعد بن خيثمة لانه كان عزبا ونزل أبو بكر بالسنح (محلة بالمدينة) على خارجة بن زيد وأقام رسول الله بقباء بضع عشرة ليلة اسس فيها مسجد قباء مسجد قباء

الذى وصفه الله بأنه مسجد أسس على التقوى من أول يوم وصلى فيه عليه السلام بمن معه من الانصار والمهاجرين وهم آمنون مطمئنون وكانت المساجد على عهد رسول الله في غاية من البساطة ليس فيها شئ مما اعتاده بناة المساجد في القرون الاخيرة لان الرسول وأصحابه لم يكن جل همهم الا منصرفاً لتزيين القلوب وتنظيفها من حظ الشيطان فكان سور المسجد لا يتجاوز القامة وفوقه مظلة يتقى بها حر الشمس (ثم) تحول عليه السلام الى المدينة والانصار محيطون به متقلدين سيوفهم وهنا حدث عن سرور أهل المدينة ولا حرج فكان عليهم يوماً سعيداً لم يروا فرحين بشئ فرحهم برسول الله وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن

الوصول الى المدينة

أشرق البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

وكانت الناس تسير وراء رسول الله ما بين ماش وراكب يتنازعون زمام ناقته كل يريد أن يكون نزيله وأدركته عليه السلام صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فنزل وصلاها

أول جمعة

وهذه أول جمعة له عليه السلام ثم سار وكلما مر على دور من دور الانصار يتضرع اليه أهلها بأن ينزل عندهم ويأخذون بزمام الناقة فيقول دعوها فانها مأمورة ولم تزل سائرة حتى أتت بفناء بنى عدى بن النجار وهم أخواله الذين تزوج منهم هاشم جده فبركت بمحلة من محلاتهم أمام دار أبى أيوب الانصارى واسمه خالد بن زيد وذلك محل مسجده الشريف فقال عليه السلام ههنا المنزل ان شاء الله (رب أنزلنى منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين) فاحتمل أبو أيوب رحله ووضعه فى منزله وجاء أسعد بن زرارة فاخذ بزمام ناقته فكانت عنده وخرجت ولائد بنى النجار يقلن

النزول على ابي أيوب

نحن جوار بنى النجار • ياحبذا محمد من جار

فقال عليه السلام لهن أتحببننى فقلن نعم فقال الله يعلم ان قلبى يحبكن واختار عليه السلام النزول فى الدور الاسفل من دار أبى أيوب ليكون أريح لزائريه ولكن لم يرض رضى الله عنه ذلك كرامة لرسول الله لما يمكن ان يصيبه من التراب الذى يحدثه وطء الاقدام او الماء الذى يهراق فقد حصل ان كسرت من زوجته جرة ماء بالليل فقام هو وهى بقطيفتهما التى ليس لهما غيرها

يمسحان الماء خوفاً على رسول الله ولذلك لم يزل أبو أيوب يستعطفه حتى كان فى العلو وكانت تأتيه الجفان كل ليلة من سراة الانصار كسعد بن عبادة وأسعد بن زرارة وأم زيد بن ثابت فما من ليلة الا وعلى بابه الثلاث او الاربع من جفان الثريد ولما تحول مع رسول الله أغلب المهاجرين تنافس فيهم الانصار فحكموا القرعة بينهم فما نزل مهاجرى على أنصارى الا بقرعة ومن يتأمل الى هذه المحبة التى يستحيل ان تكون بتأثير بشر بل بفضل من الله ورحمته يفهم كيف انتصر هؤلاء الاقوام على معانديهم من المشركين وأهل الكتاب مع قلة العدد والمدة وكان الانصار يؤثرون اخوانهم المهاجرين على انفسهم وهذا أعلى درجات الاخوة حتى عرض سعد بن الربيع على عبد الرحمن بن عوف ان يتنازل له عن احدى زوجتيه وكل ذلك كانوا يرونه قليلاً بالنسبة لما وجب عليهم لاخوانهم فان رسول الله عليه السلام ليمكن بينهم الاخاء آخى بين المهاجرين والانصار فكان كل أنصارى ونزيله أخوين فى الله ومن العبث ان نكلف القلم بأن يوضح للقارئ ان هذه الاخوة كانت أرقى بكثير من الاخوة العصبية بل نحل ذلك

نزول المهاجرين

اخوة الاسلام

للاحساس الاسلامى فانه أفصح منطقاً من القلم وعلى الاجمال
فتلك قلوب ألف الله بينها حتى صارت شيئاً واحداً فى أجسام
متفرقة وعسى أن يوفق الله مسلمى عصرنا الى هذا الاخاء
حتى يسودوا كما ساد المتحدون وكان هذا الاخاء على المواساة
والحق وان يتوارثوا بعد الموت دون ذوى الارحام وكان
عليه السلام يقول لكل اثنين (تآخوا فى الله أخوين أخوين) ودام
هذا الميراث الى ان نسخه الله بقوله (وأولو الارحام بعضهم
اولى ببعض فى كتاب الله)

هجرة أهل البيت

ولما استقر عليه السلام بالمدينة أرسل زيد بن حارثة
وأبا رافع الى مكة ليأتيا بمن تخلف من أهله وأرسل معهما عبد
الله بن أريقط يدلهما على الطريق فقدما بفاطمة وأم كلثوم
بنتيه عليه السلام وسودة زوجه وأم أيمن زوج زيد وابنها
أسامة أما زينب فمنعها زوجها أبو العاص بن الربيع وخرج مع
الجميع عبد الله بن أبى بكر بأم رومان زوج أبيه وعائشة أخته
وأسماء زوج الزبير بن العوام وكانت حاملا بابنها عبد الله وهو
أول مولود للمهاجرين بالمدينة ولم يكن هواء المدينة في البدء

حمى المدينة

موافقاً للمهاجرين من أهل مكة فأصاب كثيراً منهم الحمى وكان

رسول الله يعودهم فلما شكوا اليه الامر قال اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة وأشد وبارك لنا فى مدها وفى صاعها وانقل وباءها الى الجحفة فاستجاب الله جل وعلا دعوته وعاش المهاجرون فى المدينة بسلام

منع المستضعفين

ومنع مشركو مكة بعضاً من المسلمين عن الهجرة وحبسوهم وعذبوهم منهم الوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وهشام بن العاص فكان عليه السلام يدعو لهم فى صلاته وهذا أصل القنوت وقد حصل فى اوقات مختلفة ومحلات فى الصلاة مختلفة فكان فى وتر العشاء وصلاة الصبح بعد الركوع وقبله فروى كل صحابى ما رآه وهذا سبب اختلاف الائمة

السنة الاولى بناء المسجد

ثم شرع عليه السلام فى بناء مسجده فى مبرك ناقته أمام محلة بنى النجار وكان محله مربداً للتمر يملكه غلامان يتيمان فى حجر أسعد بن زرارة فدعا الغلامين وساومهما المربد ليتخذه مسجداً فقالا بل نهبه لك يارسول الله فأبى عليه السلام أن يقبله منهما هبة بل ابتاعه منهما وكان فيه قبور للمشركين وبعض حفر ونخل فامر بالقبور فنبشت وبالحفر فسويت وبالنخل فقطع ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذ وشرعوا فى البناء به وجعلوا

عضادتى اللباب من الحجارة وسقفوه بالجريد وجعلت عمده
من جذوع النخل ولا يزيد ارتفاعه عن القامة الا قليلاً وقد
عمل فيه رسول الله بنفسه ليرغب المسلمين فى العمل وصاروا
يرتجزون وهو يقول معهم * اللهم لاخير الاخير الآخرة
* فارحم الانصار والمهاجرة وجعلت قبلة المسجد الى بيت
المقدس وجعل له ثلاثة أبواب ثم حصبت أرضه لان المطر
كان قد اثر فيه فامر عليه السلام بحصبه ولم يزين المسجد
بفرش حتى ولا بالحصر و بنى بجانبه حجرتان احداهما لسودة
بنت زمعة والاخرى لعائشة ولم يكن عليه السلام متزوجاً غيرهما
اذ ذاك وكانت الحجرتان مجاورتين وملاصقتين للمسجد على
شكل بنائه وصارت الحُجرات تبنى كلما جاءت زوجة

بدء الاذان اوجب الله الصلاة على المسلمين ليكونوا دائماً متذكرين عظمة
العلى الاعلى فيتبعون اوامره ويجتنبون نواهيه ولذلك قال فى
محكم كتابه (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وجعل افضل
الصلاة ما كان جماعة ليذاكر المسلمون بعضهم بعضاً فى شؤنهم
واحتياجاتهم ويقوون روابط الالفة والاتحاد بينهم ومتى حان
وقت الصلاة لابد من عمل ينبه الغافل ويذكر الساهى حتى

يكون الاجتماع عاماً فأتمر النبي عليه الصلاة والسلام مع الصحابة
فيما يفعل لذلك فقال بعضهم نرفع راية اذا حان وقت الصلاة
ليراها الناس فلم يرتضوا ذلك لانها لاتفيد النائم ولا الغافل
وقال آخرون نشعل ناراً على مرتفع من الهضاب فلم يقبل
ايضاً واشار آخرون ببوق وهو ما كانت اليهود تستعمله
لصلواتهم فكرهه رسول الله لانه لم يكن يحب تقليد اليهود
فى عمل ما واشار بعضهم بالناقوس وهو ماتستعمله النصارى
فكرهه الرسول أيضاً واشار بعضهم بالنداء فيقوم بعض
الناس اذا حانت الصلاة وينادى بها فقبل هذا الرأى وكان
أحد المنادين عبد الله بن زيد الانصارى فبينما هو بين النائم
واليقظان اذ عرض له شخص وقال الا اعلمك كلمات تقولها
عند النداء بالصلاة قال بلى فقال له قل الله اكبر الله اكبر مرتين
وتشهد مرتين ثم قل حى على الصلاة مرتين ثم حى على
الفلاح مرتين ثم كبر ربك مرتين ثم قل لااله الا الله فلما
استيقظ توجه الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره خبر رؤياه
فقال انها لرؤيا حق ثم قال له لقن ذلك بلالاً فانه اندى صوتاً
منك وبينما بلال يؤذن اذ جاء عمر يجر رداءه فقال والله لقد

رأيت مثله يارسول الله وكان بلال أحد مؤذنيه بالمدينة والآخر
عبد الله ابن أم مكتوم وكان بلال يقول فى أذان الصبح بعد
حى على الفلاح الصلاة خير من النوم مرتين وأقره الرسول
على ذلك وكان عليه السلام يأمر فى فجر رمضان بأذانين أولهما
يوقظ به الغافلون حتى ينتبهوا للسحور والثانى للصلاة أما
الاقامة وهى الدعوة للصلاة فى المسجد فقد اختلفت الروايات
فى نصها فرواها الامام الشافعي مفردة الا لفظ قد قامت
الصلاة فمثنى ورواها الامام مالك مفردة كلها ورواها الامام
يهود المدينة
أبو حنيفة مثنى كلها (هذا) وكما ابتلى الله المسلمين فى مكة بمشركى
قريش ابتلاهم فى المدينة بيهودها وهم بنو قينقاع وقريظة
والنضير فانهم أظهروا العداوة والبغضاء حسداً من عند أنفسهم
من بعد ما تبين لهم انه الحق وكانوا قبل مجىء الرسول يستفتحون
على المشركين من العرب اذا شبت الحرب بين الفريقين
بنبي يبعث قد قرب زمانه فلما جاءهم ماعرفوا استعظم
رؤساؤهم ان تكون النبوة فى ولد اسماعيل فكفروا بما
أنزل الله بغيا مع انهم يرون ان رسول الله محمداً لم يأت الا
مصدقاً لما بين يديه من كتب الله التى أنزلها على من سبقه

من المرسلين مبيناً ماأفسدد التأويل منها ولكنهم نبذوه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ومما عابوه على الاسلام نسخ الاحكام وما دروا ان القادر العليم يعلم مايحتاجه الانسان أكثر منهم فانه ميال بطبعه للترقى والرسول عليه السلام وجد بادئ بدء بين جماعة من العرب أميين ليسوا على شئ من الاعتقادات الالهية فكانت الحكمة داعية لان يكون التشريع لهم على التدريج لانه لو حرم الله عليهم شرب الخمر وعدم أكل الربا وأمرهم بالصلاة والزكاة وهكذا الى آخر الاوامر والمناهى التى جاء بها الشرع الاسلامى لما أجابه احد من هؤلاء النافرة قلوبهم المختلفة اهواؤهم الذين كانو منغمسين فى كثير من الاضاليل فجاءهم رسول الله عليه الصلاة والسلام بالامر شيئاً فشيئاً حتى روضت عقولهم وهذبت نفوسهم وكانت الاحكام لا ينزلها الله عليه الا عقب الحوادث التى تقتضيها ليكون التأثير على النفوس أشد ولكن اليهود أرادو غلّ يد القدرة عن ان تفعل الا مايشتهون وقد حجهم القرآن الشريف بما يدل على انهم يعلمون من نفسهم البعد عن الحق فقال (قل ان كانت لكم لدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس

فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) ثم ختم جل ذكره عدم
اجابتهم بقوله (ولن يتمنّوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم
بالظالمين) فلو كانوا يعلمون من انفسهم انهم على الحق لما تأخروا
عما طلب منهم مع سهولته وحرصهم على تكذيب الصادق
الامين ولم ينقل لنا عن أحد منهم انه تمنى ذلك ولو نطقاً
باللسان وقد تبين الهدى لاحد رؤساء بنى قينقاع وهو عبد
الله بن سلام فترك هواه وأسلم بعد ان سمع القرآن وبعد ان
كان اليهود يعدونه من رؤسائهم عدوه من سفهائهم حينما
بلغهم اسلامه فبائس مااشتروا لانفسهم ولما استحكمت فى
قلوبهم عداوة الاسلام صاروا يجهدون انفسهم فى اطفاء نوره
(ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) (وكان) يساعدهم المنافقون
على مقاصدهم جماعة من عرب المدينة اعمى الله بصائرهم
فاخفوا كفرهم خوفاً على حياتهم ورأس هذه الجماعة عبد
الله بن أبى بن سلول الخزرجى ولا شك ان ضرر المنافقين
اشد على المسلمين من ضرر الكفار لان اولئك يدخلون بين
المسلمين فيعلمون اسرارهم ويشيعونها بين الاعداء من اليهود
وغيرهم كما حصل ذلك مراراً والاساس الذى كان عليه رسول

الله أن يقبل ما ظهر ويترك لله مابطن ولكنه عليه السلام مع ذلك كان لا يأمنهم فى عمل ما فكثيراً ما كان يتغيب عن المدينة ويولى عليها بعض الانصار ولكن لم يعهد أنه ولى رجلاً ممن عهد عليه النفاق لانه عليه السلام يعلم ما يكون منهم لو وُلُّوا عملاً فانهم بلا شك يتخذون ذلك فرصة لاضرار المسلمين وهذا درس مهم لرؤساء الاسلام يعلمهم أنهم لا يثقون فى الاعمال المهمة الا بمن لم تظهر عليهم شبهة النفاق أو اظهار ما يخالف مافى الفؤاد هذا وقد علمت انه كان يضاد المسلمين فى المدينة فئتان اليهود والمنافقون ولكن الرسول قبل من هؤلاء ظواهرهم وعقد مع أولئك عهداً مقتضاه ترك الحرب والاذى فلا يحاربهم ولا يؤذيهم ولا يعينون عليه أحداً وان دهمه بالمدينة عدو ينصرونه وأقرهم على دينهم

معاهدة اليهود

مشروعية القتال

قد علم مما تقدم أن رسول الله عليه السلام لم يكن يقاتل أحداً على الدخول في الدين بل كان الامر قاصراً على التبشير والانذار وكان الله سبحانه ينزل عليه من الآى ما يقويه على الصبر أمام ما كان يلاقيه من أذى قريش ومن ذلك (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) وكان

كثيراً مايقص الله عليه أنباء اخوانه من المرسلين قبله ليثبت به فؤاده ولما ازداد طغيان أهل مكة ألجؤه الى الخروج من دياره بعد أن ائتمروا على قتله فكانوا هم البادئين بالعداء على المسلمين بأن أخرجوهم من ديارهم بغير حق فبعد الهجرة أذن الله للمهاجرين بقتال مشركي قريش بقوله (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله) ثم أمرهم بذلك فى قوله (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) وبذلك لم يكن الرسول يتعرض الا لقريش دون سائر العرب فلما تمالأ على المسلمين غير أهل مكة من مشركي العرب واتحدوا عليهم مع الاعداء أمر الله بقتال المشركين كافة بقوله (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم

كافة) وبذلك صار الجهاد عاماً لكل من ليس له كتاب من الوثنيين وهـذا مصداق قوله عليه السلام(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لااله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله) ولما وجد المسلمون من اليهود خيانة للعهود حيث انهم ساعدوا المشركين فى حروبهم أمر الله بقتالهم بقوله (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لايحب الخائنين) وقتالهم واجب حتى يدينوا ويعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ليأمن المسلمون جانبهم وصار قتال رسول الله للاعداء على هـذه المبادئ الآتية

(١) اعتبار مشركى قريش محاربين لانهم بدؤا بالعدوان فصار للمسلمين قتالهم ومصادرة تجارتهم حتى يأذن الله بفتح مكة أو تعقد هدنة وقتية بين الطرفين

(٢) متى رؤى من اليهود خيانة وتحيز للمشركين قوتلوا حتى يؤمن جانبهم بالنفى أو القتل

(٣) متى تعدت قبيلة من العرب على المسلمين أوساعدت قريشاً قوتلت حتى تدين بالاسلام

(٤) كل من باداه بعداوة من أهل الكتاب كالنصارى قوتلوا حتى يذعن بالاسلام أو يعطى الجزية عن يد وهو صاغر

(٥) كل من أسلم فقد عصم دمه وماله الا بحسابه والاسلام يقطع ما قبله

وقد أنزل الله فى القرآن الكريم كثيراً من الآى تحريضاً على الاقدام فى قتال الاعداء وتبعيداً عن الفرار من الزحف فقال فى الموضوع الاول (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرُون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) وقال فى الموضوع الثانى (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال او متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)

بدء القتال

تعودت قريش ان تذهب بتجارتها الى الشام لتبيع وتبتاع ويسمى الركب السائر بهذه التجارة عيراً وكان يسير معها لحراستها كثير من أشراف القوم وسراتهم ولا بد لوصولهم الى الشام من المرور على دار الهجرة فرأى رسول

القان يصادر تجارتهم ذاهبة وآيبة ليكون فى ذلك عقاب لمشركى مكة حتى تضعف قوتهم المالية فيكون ذلك أدعى لخذلانهم فى ميدان القتال الذى لابد وان يكون لان قريشاً لم تكن لتسكت عمن سفه أحلامهم وعاب عبادتهم خصوصاً وهم قدوة العرب فى الدين ففى شهر رمضان أرسل عمه حمزة ابن عبد المطلب فى ثلاثين رجلاً من المهاجرين وعقد له لواء أبيض حمله ابو مرثد حليف حمزة ليعترض عيرا لقريش آيبة من الشام فيها ابو جهل وثلاثمائة من أصحابه المشركين فسار حمزة حتي وصل ساحل البحر من ناحية العيص فصادف العير هناك فلما تصافوا للقتال حجز بين الفريقين مجدى بن عمرو الجهنى فأطاعوه وانصرفوا وشكر عليه السلام مجديا على عمله لما كان من قلة عدد المسلمين وكثرة عدوهم

وفى شوال أرسل عبيدة بن الحارث ابن عم حمزة فى ثمانين راكباً من المهاجرين وعقد له لواء أبيض حمله مسطح ابن أثاثة ليعترض عيرا لقريش فيها مائتا رجل فوافوا العير

السرية قطعة من الجيش ويريد بها كل غزاة لم يكن فيها رسول الله والتى كان فيها غزوة

ببطن رابغ فكان بينهم الرمي بالنبل ثم خاف المشركون ان يكون للمسلمين كمين فانهزموا ولم يتبعهم المسلمون وفر من المشركين الى المسلمين المقداد ابن الاسود وعتبة بن غزوان وكانا قد أسلما وخرجا ليلحقا بالمسلمين

وفيات

وفي هذه السنة توفي من المهاجرين عثمان بن مظعون أخو رسول الله من الرضاع اسلم قديماً وهاجر الهجرتين ولما دفن أمر عليه السلام بأن يرش قبره بالماء ووضع على قبره حجراً وقال أتملم به قبر أخي وأدفن اليه من مات من أهلي وهذا كان القصد من وضع الاحجار على المقابر لاما يقصده أهل العصور الاخيرة من تشييد الهياكل على القبور وتصويرها بصور ترى في عين الناظر كالاصنام ليأتي أقارب الميت ويصنعون عندها احتفالات كثيراً ماتشبه ما كان يفعله مشركو مكة عند معابدهم ومن العبث فعل شيء لم يفعله رسول الله مما يتعلق باشياء الآخرة

ومات من الانصار أسعد بن زرارة أحد النقباء الاثني عشر كان رضي الله عنه نقيب بني النجار ولما مات اختار رسول الله نفسه للنقابة عليهم لان ابن أخت القوم منهم ومات ايضاً

البراء بن معرور احد النقباء وهو الذى كان يتكلم عن القوم فى العقبة الثانية ومات من مشركى مكة فى هذه السنة الوليد بن المغيرة ولما احتضر جزع فقال له ابو جهل ما جزعك يا عم فقال والله ما بى من جزع من الموت ولكن اخاف ان يظهر دين ابن ابى كبشة بمكة فقال ابو سفيان لا تخف انى ضامن ان لا يظهر وفيها ايضاً مات العاصى بن وائل السهمى وقد كفى الله المسلمين شر هذين الشقيين

السنة الثانية

ولاثنتى عشرة ليلة خلت من صفر السنة الثانية خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة بعد ان استخلف عليها سعد بن عبادة ليعترض عيرا لقريش فسار حتى بلغ وَدّان وهى قرية بين مكة والمدينة بينها وبين الابواء ستة اميال وكان يحمل لواءه عمه حمزة ولم يلق هناك حرباً لان العير كانت قد سبقته وفى هذه الغزوة صالح بنى ضمرة على انهم آمنون على انفسهم ولهم النصر على من رامهم وان عليهم نصرة المسلمين اذا دُعوا ثم رجع الى المدينة بعد مضى خمس عشرة ليلة

غزوة ودان

غزوة بواط

ولم يمض على رجوعه غير قليل حتى بلغه ان عيرا لقريش آيبة من الشام فيها أمية بن خلف ومائة من قريش وألفان

وخمسمائة بعير فسار اليها فى مائتين من المهاجرين وذلك فى ربيع الاول وكان يحمل لواءه سعد بن ابى وقاص فسار حتى بلغ بُواط وهو جبل ينبع فوجد العير قد فاتته فرجع ولم يلق كيداً وذلك كله لما كان يأخذه المشركون من الحذر على انفسهم والاجتهاد فى تعمية اخبارهم عن اهل المدينة

غزوة العشيرة

وأعقب رجوعه عليه السلام خروج قريش باعظم عيرلها فقد جمعوا فيها اموالهم حتى لم يبق بمكة قرشى أو قرشية لها مثقال فصاعدا الا بعثت به فى تلك العير وكان يرأسها ابو سفيان ابن حرب ومعه بضعة وعشرون رجلاً فخرج لها الرسول فى جمادى الاولى ومعه مائة وخمسون من المهاجرين واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد وحمل لواءه عمه حمزة ولم يزل سائراً حتى بلغ العشيرة وهى موضع بطريق ينبع فوجد العير قد مضت وحالف عليه السلام فى هذه الغزوة بنى مُدْلِج وحلفاءهم ثم رجع عليه السلام الى المدينة ينتظر هذه العير حينما ترجع

غزوة بدر الاولى

وبعد رجوعه عليه السلام بقليل جاء كرز بن جابر الفهرى وأغار على سرح المدينة وهرب فخرج الرسول فى طلبه

واستخلف على المدينة زيد بن حارثة الانصارى وحمل لواءه
على بن أبى طالب فسار حتى بلغ سفوان وهو واد من ناحية
بدر وفاته كرز فلم يلق حرباً وتسمى هذه الغزاة بدرالاولى

وفى رجب من هذه السنة أرسل سرية عدتها ثمانى رجال يرأسها عبد الله بن جحش وأعطاه أمراً مختوماً لا يفضه الا بعد أن يسير يومين ثم ينظر فيه فسار عبد الله يومين ثم فتح الكتاب فاذا فيه (اذا نظرت كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم) وانما لم يخبرهم عليه السلام بمقصدهم وهم بالمدينة حذراً من شيوع الخبر فيدل عليهم أحد الاعداء من المنافقين أو اليهود فترصد لهم قريش ولا يخفى أن عدد السرية قليل لا تمكنه المقاومة ثم سار عبد الله رضى الله عنه وفى أثناء السير تخلف سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان لانهما أضلا بعيرهما الذى كانا يعتقبانه وسار الباقون حتى وصلوا نخلة فمرت بهم عير قرشية تريد مكة فيها عمرو بن الحضرمى وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان فاجمع المسلمون أمرهم على ان يحملوا عليهم ويأخذوا ما معهم فحملوا عليهم فى آخر يوم من رجب سرية

فقتلوا عمرو بن الحضرمى وأسروا عثمان والحكم وهرب نوفل واستاقوا العير وهى أول غنيمة غنمها المسلمون من أعدائهم قريش ثم رجعوا ولم يتمكن المشركون من الالحاق بهم فلما قدموا المدينة وشاع أنهم قاتلوا فى الاشهر الحُرُم وعابهم قريش واليهود بذلك عنفهم المسلمون وقال لهم عليه السلام ماأمرتكم بقتال فى الاشهر الحرم فندموا فأنزل الله (ويسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل) فسرى عنهم وقد طلب المشركون فداء أسيريهما فقال عليه السلام حتى يرجع سعد وعتبة فلما رجعا قبل عليه السلام الفدية فى الاسيرين فاما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن اسلامه وبقى مع المسلمين وأما عثمان فلحق بمكة كافراً

تحويل القبلة

مكث عليه بالمدينة السلام ستة عشر شهراً يستقبل بيت المقدس فى صلاته وكان يحب ان تكون قبلته الكعبة ويقلب وجهه فى السماء داعيا الله بذلك فبينما هو فى صلاته اذ أوحى الله اليه بتحويل القبلة الى الكعبة فتحول وتحول من وراءه وكانت هذه

الحادثة سبباً لافتتان بعض المسلمين الذين ضعفت قلوبهم فارتدوا على أعقابهم وقد أكثر اليهود من التنديد على الاسلام بهذا التحويل وما دروا ان لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

صوم رمضان

وفى شعبان من هذه السنة أوجب الله صوم شهر رمضان على الامة الاسلامية وكان عليه السلام قبل ذلك يصوم ثلاثة أيام من كل شهر والصيام من دعائم هذا الدين والفرائض التى بها يتم النظام فان الانسان مجبول على حب نفسه والسعى فيما يعود عليها بالنفع الخاص تاركاً ماوراء ذلك من حاجات الضعفاء والمساكين فلا بدمن وازع يزعه لحاجات قوم أقعدتهم قواهم عن ادراك حاجاتهم ولا أقوى من ذوق قوارص الجوع والعطش اذ بهما تلين نفسه ويتهذب خلقه فيسهل عليه بذل الصدقات ولذلك أوجب الشارع الحكيم عقب الصوم زكاة الفطر فترى الانسان يبذلها بسخاء نفس ومحبة خالصة

صدقة الفطر

زكاة المال

وفى هذا العام فرضت زكاة الاموال وهذه هى النظام الوحيد الذى به يأكل الفقراء والمساكين من اخوانهم الاغنياء بلا ضرر على هؤلاء فاذا بلغت الدنانير عشرين او الدراهم

أربعمائة وحال عليها الحول وجب عليك ان تؤدى ربع عشرها اى اثنين ونصفا فى كل مائة وما زاد فبحسابه واذا بلغت الشياه أربعين او البقر عشرين او الابل خمساً وحال عليها الحول وجب عليك كذلك ان تؤدى منها جزءاً مخصوصاً حدده الشارع ومثلها عروض التجارة ومحصولات الزراعة كل هذا يقبضه الامام ويوزعه على مستحقيه من الفقراء والمساكين وبقية المذكورين فى آية الصدقة واللبيب العاقل البعيد عن التعصب يحكم لاول نظرة ان هذا النظام مع عدم اضراره بالاغنياء مقاتل لمصائب الفقر التى ألجأت كثيراً من فقراء الامم ان يخالفوا نظام دولهم ويؤسسوا مبادئ تقويض العمران وتداعى الأمن كما يفعله الاشتراكيون وغيرهم

غزوة بدر الكبرى

لم يطل العهد بتلك العير العظيمة التى خرج لها عليه السلام وهى متوجهة الى الشام فلم يدركها ولم يزل مترقباً رجوعها فلما سمع برجوعها ندب اليها اصحابه وقال هذه عير قريش فاخرجوا اليها لعل الله أن يُنَفِّلَكُموها فاجاب قوم وثقل آخرون لظنهم ان الرسول عليه السلام لم يرد حرباً فانه لم يحتفل بها بل قال من كان ظهره حاضراً فليركب معنا ولم

ينتظر من كان ظهره غائباً نخرج لثلاث ليال خلون من رمضان
بعد ان ولى على المدينة عبدالله ابن أم مكتوم وكان معه ثلثمائة
وثلاثة عشر رجلاً مائتان واربعون من الانصار والباقون
من المهاجرين ومعهم فرسان وسبعون بعيرا يعتقبونها والحامل
للواء مصعب بن عمير ولما علم ابو سفيان بخروج الرسول استأجر
راكباً ليأتي قريشا ويخبرهم الخبر فلما علموا بذلك ادركتهم حميتهم
وخافوا على تجارتهم فنفروا سراعاً ولم يتخلف من اشرافهم الا
ابو لهب فانه ارسل بدله العاص بن هشام بن المغيرة واراد
أمية بن خلف ان يتخلف لحديث حدثه اياه سعد بن معاذ حينما
كان معتمراً بعد الهجرة بقليل حيث قال سمعت من رسول
الله يقول انهم قاتلوك قال بمكة قال لا ادرى ففزع لذلك
وحلف ان لا يخرج فعابه ابو جهل ولم يزل به حتى خرج قاصدا
الرجوع بعد قليل ولكن ارادة الله فوق كل ارادة فان منيته ساقته
الى حتفه بالرغم عن انفه وكذلك عزم جماعة من الاشراف
على القعود فعيب عليهم ذلك وبهذا اجمعت رجال قريش على
الخروج فخرجوا على الصعب والذلول امامهم القينات يغنين
بهجاء المسلمين وزين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم

اليوم من الناس وقد ضرب الله عمل الشيطان هذا مثلا يعتبر به ذوو الرأى من بعدهم فقال(كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين) وهكذا كان عمله فى هذه الواقعة فانه لما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم نى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب وكان عدة من خرج من المشركين تسعمائة وخمسين رجلاً معهم مائة فرس وسبعمائة بعير (أما) رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن يعرف شيئاً مما فعله المشركون ولم يكن خروجه الا للعير فعسكر ببيوت السقيا خارج المدينة واستعرض الجيش فرد من ليس له قدرة على الحرب ثم أرسل اثنين يتجسسان الاخبار عن العير ولما بلغ الروحاء وهى على بعد أربعين ميلاً من الجنوب الغربى للمدينة جاءه الخبر بمسير قريش لمنع عيرهم وجاءه مخبراه بأن العير ستصل بدراً غداً أو بعد غد فجمع عليه السلام كبراء الجيش وقال لهم (أيها الناس ن الله قد وعدنى احدى الطائفتين أنها لكم العير أو النفير) فتبين له عليه السلام ان بعضهم يريدون غير ذات الشوكة وهى العير ليستعينوا بما فيها من الاموال

فقد قالوا هلاّ ذكرت لنا القتال فنستعد ثم قام المقداد ابن الاسود رضى الله عنه فقال يارسول الله امض لما أمرك الله فو الله لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون والله لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فدعا له بخير ثم قال عليه السلام أشيروا على أيها الناس وهو يريد الانصار لان بيعة العقبة ربما يفهم منها انه لاتجب عليهم نصرته الا ما دام بين أظهرهم فان فيها يارسول الله انا براء من ذمتك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت اليها فأنت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فقال سعد بن معاذ كانك تريدنا يارسول الله فقال أجل فقال سعد قد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك عهودنا فامض لما أمرك الله فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضته لنخوضنه معك وما نكره ان تكون تلقى العدو بنا غدا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ماتقربه عينك فسر على بركة الله فأشرق وجهه عليه السلام وسر بذلك وقال (ابشروا والله لكأنى أنظر الى

مصارع القوم) فعلم القوم من هذه الجملة ان الحرب لابد حاصلة وحقيقة فان أبا سفيان لما علم بخروج المسلمين له ترك الطريق المسلوكة وسار متبعاً ساحل البحر فنجا وارسل الى قريش يعلمهم بذلك ويشير عليهم بالرجوع فقال أبو جهل لا نرجع حتى نحضر بدراً فنقيم فيه ثلاثاً ننحر الجُزُر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً فقال الأخنس ابن شريق الثقفى لبنى زهرة وكان حليفا لهم ارجعوا ياقوم فقد نجى الله أموالكم فرجعوا ولم يشهد بدرا زهرى ولا عدوى ثم سار الجيش حتى وصلوا وادى بدر فنزلوا عدوته القصوى عن المدينة فى أرض سهلة لينة أما جيش المسلمين فانه لما قارب بدراً أرسل عليه السلام على بن أبى طالب والزبير ابن العوام ليعرفا الاخبار فصادفا سقاة لقريش فيهم غلام لبنى الحجاج وغلام لبنى العاص فأتيا بهما والرسول قائم يصلى ثم سألاهما عن أنفسهما فقالا نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم الماء فضرباهما لانهما ظنا أن الغلامين لابى سفيان ولما أتم الرسول صلاته قال اذا صدقاكم ضربتموهما واذا كذباكم تركتموهما صدقا والله انهما لقريش ثم قال لهما أخبرانى عن

قريش قالا هم وراء هذا الكثيب فقال لهما كم هم فقالا لا ندرى
قال كم ينحرون كل يوم قال يوماً تسعاً ويوماً عشراً قال القوم
ما بين التسعمائة والالف ثم سألهما عمن فى النفير من اشراف
قريش فذكرا له عدداً عظيماً فقال عليه السلام لاصحابه هذه
مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها ثم ساروا حتى نزلوا بعدوة
الوادى الدنيا من المدينة بعيداً عن الماء في أرض سبخة فاصبح
المسلمون عطاشاً بعضهم جنب وبعضهم محدث فحدثهم الشيطان
بوسوسته ولولا فضل الله عليهم ورحمته لثنيت عزائمهم فانه قال لهم
ماينتظر المشركون منكم الا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب
قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤا فأرسل الله لهم الغيث حتى سال
الوادى فشربوا واتخذوا الحياض على عدوة الوادى واغتسلوا
وتوضؤا وملؤا الاسقية وابدت الارض حتى ثبتت عليها الاقدام
على حين ان كان هذا المطر مصيبة على المشركين فانه وحل
الارض حتى لم يعودوا يقدرون على الارتحال وقد أُرى الله
رسوله فى منامه الاعداء كما أراهموه وقت اللقاء قليلى العدة
كيلا يفشل المسلمون وليقضى الله أمراً كان مفعولاً ثم سار
جيش المسلمين حتى نزل أدنى ماء من بدر فقال له الحباب

ابن المنذر الانصارى وكان مشهوراً بجودة الرأى يا رسول الله أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر أم هو الرأى والحرب والمكيدة فقال بل هو الرأى والحرب والمكيدة فقال يارسول الله ليس لك هذا بمنزل فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فانى أعرف غزارة مائه وكثرته فننزله ونغور ماعداه من الآبار ثم نبنى عليه حوضاً فنملوءه ماء فنشرب ولا يشربون فقال الرسول عليه السلام لقد أشرت بالرأى ونهض حتى أتى أدنى ماء من القوم ثم أمر بالآبار التى خلفهم فغورت لينقطع أمل المشركين فى الشرب من وراء المسلمين وبنى حوضاً على القليب الذى نزل عليه ثم قال له سعد بن معاذ سيد الأوس يانبى الله الا نبنى لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله تعالى وأظهرنا على عدونا كان ذلك ماأحببنا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يانبى الله مانحن بأشد لك حبا منهم ولا أطوع لك منهم لهم رغبة فى الجهاد ونية ولو ظنوا انك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك انما ظنوا انها العير يمنعك الله بهم ويناصحونك

ويجاهدون معك فقال عليه السلام أو يقضى الله خيراً من ذلك ثم بنى للرسول عريش فوق تل مشرف على ميدان الحرب ولما اجتمعوا عدّل عليه السلام صفوفهم مناكبهم متلاصقة فصاروا كأنهم بنيان مرصوص ثم نظر لقريش فقال (اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحاذك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى به) وفى هذا الوقت وقع خلف بين رؤساء عسكر المشركين فان عتبة بن ربيعة أراد أن يمنع الناس من الحرب ويحمل دم حليفه عمرو بن الحضرمى الذى قتل فى سرية عبد الله بن جحش ويحمل ما أصيب من عيره ودعا الناس الى ذلك فلما بلغ أبا جهل الخبر وسمه بالجبن وقال والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وقبل ان تقوم الحرب على ساقها خرج من صفوف المشركين الاسود بن عبد الاسد المخزومى وقال أعاهد الله لاشربن من حوضهم ولاهدمنه أولاموتن دونه فخرج اليه حمزة وضربه ضربة قطع بها قدمه بنصف ساقه فوقع على ظهره فزحف على الحوض حتى اقتحم فيه ليبر بقسمه فاتبعه حمزة فقتله ثم وقف عليه السلام يحرض الناس على الثبات والصبر

وكان فيما قال (وان الصبر فى مواطن البأس مما يفرج الله به الهم وينجى به من الغم) ثم ابتدأ القتال بالمبارزة فخرج من صفوف المشركين ثلاثة نفر عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد فطلبوا أكفاءهم فخرج اليهم ثلاث من الانصار فقالوا لا حاجة لنا بكم انما نريد أكفاءنا من بنى عمنا فاخرج لهم عليه السلام عبيدة بن الحارث للاول وحمزة ابن عبد المطلب للثانى وعلى بن أبى طالب للثالث فاما حمزة وعلى فقتلا صاحبيهما وأما عبيدة وعتبة فاختلفا بضربتين كلاهما جرح صاحبه فحمل رفيقا عبيدة على عتبة فأجهزا عليه وحمل عبيدة من بين الصفوف جريحاً يسيل مخ ساقه وأضجعوه الى جانب موقفه صلى الله عليه وسلم فأفرشه رسول الله قدمه الشريف فوضع خده عليها وبشره عليه السلام بالشهادة فقال وددت والله ان أبا طالب كان حياً ليعلم انا أحق منه بقوله

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وبعد انقضاء هذه المبارزة وقف عليه السلام بين الصفوف يعدلها بقضيب فى يده فمر بسواد بن غزية حليف بنى النجار وهو خارج من الصف فضربه بالقضيب فى بطنه وقال استقم

ياسواد فقال اوجعتني يارسول الله وقد بعثت بالعدل فأقدني من نفسك فكشف الرسول عن بطنه وقال استقد ياسواد فاعتنقه سواد وقبل بطنه فقال عليه السلام ماحملك على ذلك فقال يارسول الله قد حضر ماترى فاردت ان يكون آخر العهد أن يمس جلدي جلدك فدعا له بخير ثم ابتدأ عليه السلام يوصي الجيش فقال (لا تحملوا حتى آمركم وان اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم) ثم حضهم على الصبر والثبات ثم رجع الى عريشه ومعه رفيقه أبو بكر وحارسه سعد بن معاذ واقف على باب العريش متوشح سيفه وكان من دعاء الرسول ذلك الوقت (اللهم أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد) فقال أبو بكر حسبك فان الله سينجز لك وعدك فخرج عليه السلام من العريش وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر) ثم قال عليه السلام يحرض الجيش (والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر الا أدخله الله الجنة ومن قتل قتيلاً فله سلبه) فقال عمير بن الحمام وبيده تمرات يأكلها بخ بخ مابيني وبين أن أدخل الجنة الا ان يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده

واخذ سيفه وقاتل حتى قتل ثم اشتد القتال وحمي الوطيس وأيد الله المسلمين بالملائكة بشرى لهم ولتطمئن به قلوبهم فلم تكن الا ساعة حتى هزم الجمع وولوا الدبر وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقتل من المشركين نحو السبعين منهم من قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وقد قتلوا مبارزة أول القتال وأبو البختري بن هشام والجراح والد ابي عبيدة قتله ابنه بعد ان ابتعد عنه فلم يزدجر وقتل أمية بن خلف وابنه على اشترك في قتلهما جماعة من الانصار مع بلال ابن رباح وعمار بن ياسر وقدسميا في ذلك لما كان يفعله بهما أمية في مكة ومن القتلى حنظلة بن أبي سفيان وابو جهل بن هشام اثخنه فتيان صغيران من الانصار لما كانا يسمعانه من انه كان شديد الايذاء لرسول الله واجهز عليه عبد الله بن مسعود وقتل نوفل بن خويلد قتله علي بن ابي طالب وقتل عبيدة والعاصي ولدا ابي احيحة سعيد بن العاص بن أمية وقتل كثيرون غيرهم اما الاسرى فكانوا سبعين ايضاً قتل منهم عليه السلام وهو راجع عقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث اللذين كانا بمكة من أشد المستهزئين

وقد أمر عليه السلام بالقتلى فنقلوا من مصارعهم التى كان الرسول أخبرها قبل حصول الموقعة الى قليب بدر لأنه عليه السلام كان من سنته فى مغازيه اذا مر بجيفة انسان أمر بها فدفنت لا يسأل عنه مؤمناً أو كافراً ولما ألقى عتبة والد أبى حذيفة أحد السابقين الى الاسلام تغير وجه ابنه ففطن الرسول لذلك فقال لعلك دخلك من شأن أبيك شىء فقال لا والله ولكن كنت اعرف من أبى رأياً وحلماً وفضلاً فكنت ارجو ان يهديه الله للاسلام فلما رأيت مامات عليه أحزنى ذلك فدعا له الرسول بخير ثم امر عليه السلام براحلته فشد عليها حتى قام على شفة القليب الذى رمى فيه المشركون فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يافلان ابن فلان ويافلان ابن فلان ايسركم انكم كنتم أطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فقال عمر يارسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها فقال انهم الآن ليعلمون ان ما كنت أقول لهم حق هكذا روت عائشة قالت يعلمون ذلك حينما تبوؤا مقاعدهم من النار ثم أرسل عليه السلام المبشرين فأرسل عبد الله بن رواحة لاهل العالية

وأرسل زيد بن حارثة لاهل السافلة راكباً على ناقة رسول الله وكان المنافقون والكفار من اليهود قد أرجفوا بالرسول والمسلمين عادة الاعداء فى اذاعة الضراء يقصدون بذلك فتنة المسلمين فجاء أولئك المبشرون بما سر أهل المدينة وكان ذلك وقت انصرافهم من دفن رقية بنت رسول الله وزوج عثمان ثم قفل رسول الله راجعاً وهنا وقع خلف بين بعض المسلمين في قسمة الغنائم فالشبان يقولون باشرنا القتال فهى لنا خالصة والشيوخ يقولون كنا ردءاً لكم فنشارككم ولما كان هـذا الاختلاف مما يدعو الى الضعف ويزرع فى القلوب العداوة والبغضاء المؤديين الى تشتت الشمل أنزل الله حسماً لهذا الخلاف (يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) فسطع على افئدتهم نور القرآن فتألفت بعد ان كادت تفترق وتركوا امر الغنائم لرسول الله يضعها كيف شاء كما حكم القرآن فقسمها عليه السلام على السواء الراجل مع الراجل والفارس مع الفارس وادخل فى الاسهام بعض من لم يحضر لامر كلف به وهم أبو لبابة الانصارى لانه كان

مخافاً على اهل المدينة والحارث بن حاطب لان الرسول خلفه على بنى عمرو بن عوف ليحقق امراً بلغه والحارث بن الصمة وخوات بن جبير لانهما كسرا بالروحاء فلم يتمكنا من السير وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد لانهما أرسلا يتجسسان الاخبار فلم يرجعا الا بعد انتهاء الحرب وعثمان بن عفان لان الرسول خلفه على ابنته رقية يمرضها وعاصم بن عدى لانه خلفه على اهل قباء والعالية وكذلك اسهم لمن قتل ببدر وهم أربعة عشر منهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الذى جرح فى المبارزة الاولى فانه رضى الله عنه مات عند رجوع المسلمين من بدر ودفن بالروحاء ولما قارب عليه السلام المدينة تلقته الولائد بالدفوف يقلن

أشرق البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

ولما دخلوا المدينة استشار عليه السلام أصحابه فيما يفعل بالاسرى فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله قد كذبوك وقاتلوك وأخرجوك فأرى أن تمكننى من فلان لنسيب له اسرى بدر

فأضرب عنقه وتمكن حمزة من أخيه العباس وعليا من أخيه عقيل وهكذا حتى يعلم أنه ليس في قلوبنا مودة للمشركين ما أرى أن تكون لك أسرى فاضرب أعناقهم هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم ووافقه على ذلك سعد بن معاذ وعبد الله بن رواحة وقال أبو بكر يا رسول الله هؤلاء أهلك وقومك قد أعطاك الله الظفر والنصر عليهم أرى أن تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى ان الله يهديهم بك فيكونوا لك عضداً فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب أقوام حتى تكون ألين من اللين وان الله ليشدد قلوب أقوام حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال (فمن اتبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم) وان مثلك يا عمر مثل نوح قال (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) ورأى عليه السلام رأى أبي بكر بعد ان مدح كلا من الصاحبين لان الوجهة واحدة وهي اعزاز الدين وخذلان المشركين ثم قال لاصحابه أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد من أسراكم الا بفداء وقد بلغ قريشاً ما عزم عليه الرسول في أمر الاسرى فناحت على القتلى شهراً

ثم أشير عليهم من كبارهم أن لا يفعلوا كيلا يبلغ محمدا وأصحابه جزعهم فيشمتوا بهم فسكتوا وصمموا ان لا يبكوا قتلاهم حتى يأخذوا بثارهم وتواصوا فيما بينهم ان لا يعجلوا فى طلب الفداء لئلا يتغالى المسلمون فيه فلم يلتفت الى ذلك المطلب ابن أبى وداعة السهمى وكان أبوه من الاسرى فخرج خفية حتى أتى المدينة وفدى أباه بأربعة آلاف درهم وعند ذلك بعثت قريش فى فداء أسراها وكان من أربعة آلاف الى ألف درهم ومن لم يكن معه فداء وهو يحسن القراءة والكتابة أعطوه عشرة من غلمان المدينة يعلمهم وكان ذلك فداءه (ومن) الاسرى عمرو بن أبى سفيان ولما طلب من أبيه فداؤه أبى وقال والله لا يجمع محمد بين ابنى ومالى دعوه يمسكوه فى أيديهم مابدا لهم فبينما أبو سفيان بمكة اذ وجد سعد ابن النعمان الانصارى معتمراً فعدا عليه فحبسه بابنه عمرو فمضى قوم سعد الى رسول الله وأخبروه الخبر فأعطاهم عمرا ففكوا به سعدا (ومن) الاسرى أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت الرسول وكان عليه السلام قد أثنى عليه خيراً فى مصاهرته فانه لما استحكمت العداوة بين قريش ورسول الله بمكة

الفداء

طلبوا من أبي العاص ان يطلق زينب كما فعل ابنا أبي لهب بابنتي الرسول فامتنع وقال والله لا أفارق صاحبتي وما أحب ان لي بها امرأة من قريش ولما أسر أرسلت زينب في فدائه قلادة لها كانت حلتها بها أمها خديجة ليلة عرسها فلما رأى عليه السلام تلك القلادة رق لها رقة شديدة وقال لاصحابه ان رأيتم ان تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا فرضي الاصحاب بذلك فاطلقه عليه السلام بشرط ان يترك زينب تهاجر الى المدينة فلما وصل الى مكة أمرها باللحاق بأبيها وكان الرسول أرسل لها من يأتي بها فاحتملوها (هذا) ولما أسلم العاص بن الربيع قبيل الفتح رد عليه امرأته بالنكاح الاول (ومن) الاسرى سهيل بن عمرو وكان من خطباء قريش وفصحائها وطالما آذى المسلمين بلسانه فقال عمر بن الخطاب دعني يارسول الله أنزع ثنيتي سهيل يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً فقال عليه السلام لا أمثل فيمثل الله بي وان كنت نبياً وعسى أن يقوم مقاما لا تذمه وقدم بفدائه مكرز بن حفص ولما ارتضى معهم على مقدار حبس نفسه بدله حتى جاء بالفداء هذا وقد حقق الله خبر الرسول في سهيل فانه لما مات عليه

السلام أراد أهل مكة الارتداد كما فعل غيرهم من الاعراب فقام سهيل هذا خطيباً وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ألم تعلموا ان الله قال (انك ميت وانهم ميتون) وقال (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) ثم قال والله انى اعلم ان هذا الدين سيمتد امتداد الشمس فى طلوعها فلا يغرنكم هذا (يريد أبا سفيان) من أنفسكم فانه ليعلم من هذا الامر ما أعلم لكنه قد ختم على صدره حسد بنى هاشم وتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمته تامة وان الله ناصر من نصره ومقو دينه وقد جمعكم الله على خيركم (يريد أبا بكر) وان ذلك لم يزد الاسلام الا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه فتراجع الناس عما كانوا عزموا عليه وكان هذا الخبر من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم (ومن) الاسرى الوليد بن الوليد افتكه اخواه خالد وهشام فلما افتدى ورجع الى مكة أسلم فقيل له هلا أسلمت قبل الفداء قال خفت ان يعدوا اسلامى خوفاً ولما أراد الهجرة منعه

أخواه فقر الى النبي فى عمرة القضاء (ومن) الاسرى السائب
ابن يزيد وكان صاحب الراية فى تلك الحرب فدى نفسه وهو
الجد الخامس للامام محمد بن ادريس الشافعى (ومنهم) وهب
ابن عمير الجمحى كان أبوه عمير شيطاناً من شياطين قريش
كثير الايذاء لرسول الله جلس يوماً بعد انتهاء هذه الحرب
مع صفوان بن أمية يتذاكران مصاب بدر فقال عمير والله
لولا دين علىّ ليس عندى قضاؤه وعيال أخشى عليهم الفقر
بعدى كنت آتى محمداً فأقتله فان ابنى أسير فى أيديهم فقال له
صفوان دينك علىّ وعيالك مع عيالى فأخذ عمير سيفه وشحذه
وسمه وانطلق حتى قدم المدينة فبينا عمر مع نفر من المسلمين
اذ نظر الى عمير متوشحاً سيفه فقال هذا الكلب عدو الله ما
جاء الا بشر ثم قال للنبي عليه السلام هذا عدو الله عمير قد
جاء متوشحاً سيفه فقال أدخله على فأخذ عمر بحمائل سيفه
وأدخله فلما رآه عليه السلام قال أطلقه ياعمر أدن ياعمير فدنا
وقال انعموا صباحاً فقال عليه السلام قد أبدلنا الله بتحية خير
من تحيتك وهى السلام ثم قال ما جاء بك يا عمير قال جئت
لهذا الاسير الذى فى أيديكم فاحسنوا فيه قال فما بال السيف

قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئاً فقال عليه السلام أصدقني ما الذي جئت له قال ما جئت الا لذلك قال عليه السلام كلا بل قعدت أنت وصفوان في الحجر وقلتما كيت وكيت فاسلم عمير وقال كنا نكذبك بما تأتي به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا أمر لم يحضره الا انا وصفوان فقال عليه السلام فقهوا أخاكم فى دينه وأقرؤه القرآن واطلقوا أسيره فعاد عمير الى مكة وأظهر اسلامه (ومن) الاسرى أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير مر به أخوه فقال للذى أسره شد يدك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك فقال له يا أخي هذه وصايتك بي فبعثت أمه بفدائه أربعة آلاف درهم (ومن) الاسرى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد خرج لهذه الحرب مكرها ولما وقع فى الاسر طلب منه فداء نفسه وابن أخيه عقيل بن أبي طالب فقال علام ندفع وقد استكرهنا على الخروج فقال عليه السلام لقد كنت فى الظاهر علينا فأخذت منه فدية نفسه وابن أخيه ثم قال للرسول لقد تركتنى فقير قريش ما بقيت قال كيف وقد تركت لام الفضل أموالاً

وقات لها ان مت فقد تركتك غنية فقال العباس والله ما اطلع على ذلك أحد وهذا العمل غاية ما يفعل من العدل والمساواة فانه عليه السلام لم يعاف عمه مع علمه بأنه انما خرج مكرها وقد عافى غيره جماعة تحقق له فقرهم فهكذا العدل ولا غرابة فذلك أدب قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم او الوالدين والاقربين) (ومن) الاسرى أبو عزة الجمحى الشاعر كان شديد الايذاء لرسول الله بمكة فلما أسر قال يا محمد انى فقير وذو عيال وذو حاجة قد عرفتها فامنن على فمن عليه فضلاً منه

العتاب في الفداء

ولما تم الفداء أنزل الله فى شأنه (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) نهى سبحانه عن اتخاذ الاسرى قبل الاثخان فى قتل الذين يصدون عن سبيل الله ويمنعون دين الله عن الانتشار وعاب بعض المسلمين على ارادة عرض الدنيا وهو الفدية ولولا حكم سابق من الله أن لا يعاقب مجتهداً على اجتهاده مادام المقصد خيراً لكان العذاب ثم أباح

لهم الاكل من تلك الفدية المبنى أخذها على النظر الصحيح وهذا من أقوى الادلة على صدق نبينا عليه السلام فيما جاءبه لانه لو كان من عنده ما كان يعاتب نفسه على عمل عمله بناء على رأى كثير من الصحابة وقد وعد الله الاسرى الذين يعلم فى قلوبهم خيراً بأن يؤتيهم خيراً مما أخذ منهم ويغفر لهم فقال (يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم) وهذه الغزوة هى التى أعز الله بها الاسلام وقوّى أهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله مع قلة المسلمين وكثرة عدوهم فهى آية ظاهرة على عناية الله تعالى بالاسلام وأهله مع ما كان عليه العدو من القوة بسوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيل المسوّمة والخيلاء الزائدة ولذلك قال الله ممتنا على عباده بهذا النصر (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) أى قليل عددكم لتعلموا أن النصر انما هو من عند الله فهى أعظم غزوات الاسلام اذ بها كان ظهوره وبعد وقوعها أشرق على الآفاق نوره فقد قتل فيها من صناديد قريش من كانوا الاعداء الالداء للاسلام ودخل الرعب فى قلوب العرب الآخرين فكانت

للمسلمين هيبة بها يكسرون الجيوش ويهزمون الرجال فلا جرم ان شكرنا العلى الاعلى على هذه العناية واتخذنا يوم النصر فى بدر وهو السابع عشر من رمضان عيداً نتذكر فيه نعمة الله على رسوله وعلى المسلمين

غزوة قينقاع

هذا واذا كان للشخص عدوان فانتصر على أحدهما حرك ذلك شجو الآخر وهاج فؤاده فتبدو بغضاؤه غير مكترث بعاقبة عدائه وهذا ماحصل من يهود بنى قينقاع عند تمام الظفر فى بدر فانهم نبذوا ماعاهدوا المسلمين عليه وأظهروا مكنون ضمائرهم فبدت البغضاء من أفواههم وانتهكوا حرمة سيدة من نساء الانصار وهذا مما يدعو المسلمين للتحرز منهم وعدم ائتمانهم فى المستقبل فنشبت الحرب فى المدينة بين المسلمين وغيرهم فانزل الله (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ(١) اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين) فدعا عليه السلام رؤساءهم وحذرهم عاقبة البغى ونكث العهد فقالوا يامحمد

---

(١) أى فاطرح اليهم العهد على طريق مستو قصد بأن تظهر لهم نبذ العهود ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد لان ذلك خيانة ولذا قال (ان الله لايحب الخائنين)

لا يغرنك مالقيت من قومك فانهم لا علم لهم بالحرب ولو
لقيتنا لتعلمن انا نحن الناس وكانوا أشجع يهود فانزل الله (قل
للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد
كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى
كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء
ان في ذلك لعبرة لأولى الابصار) وعند ذلك تبرأ من
حلفهم عبادة بن الصامت أحد رؤساء الخزرج وتشبث بالحلف
عبد الله بن أبى وقال انى رجل أخشى الدوائر فانزل الله (يا أيها
الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء
بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم
الظالمين فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون
نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من
عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين) وعند ما
تظاهر يهود قينقاع بالعداوة وتحصنوا بحصونهم سار اليهم
عليه السلام فى نصف شوال من هذه السنة يحمل لواءه
عمه حمزة وخلف على المدينة أبا لبابة الانصارى فحاصرهم
خمس عشرة ليلة ولما رأوا من أنفسهم العجز عن مقاومة المسلمين

وأدركهم الرعب سألوا رسول الله أن يخلى سبيلهم فيخرجوا

جلاء قينقاع من المدينة ولهم النساء والذرية وللمسلمين الاموال فقبل ذلك عليه السلام ووكل بجلائهم عبادة بن الصامت وأمهلهم ثلاث ليال فذهبوا الى أذرعات ولم يحل عليهم الحول حتى هلكوا كلهم وخمس عليه السلام أموالهم وأعطى سهم ذوى القربى لبنى هاشم ولبنى المطلب دون بنى أخويهما عبدشمس ونوفل ولما سئل عن ذلك قال انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد فى الجاهلية والاسلام هكذا وشبك بين أصابعه

غزوة السويق كان أبو سفيان متهيجاً لانه لم يشاهد بدرا التي قتل فيها ابنه وذوو قرباه فحلف ان لا يمس رأسه الماء حتى يغزو محمداً وليبر بقسمه خرج بمائتين من أصحابه يريد المدينة ولما قاربها أراد أن يقابل اليهود من بنى النضير ليهيجهم ويستعين بهم على حرب المسلمين فأتى سيدهم حيي بن أخطب فلم يرض مقابلته فأتى سلام بن مشكم فاذن له واجتمع به ثم خرج من عنده وأرسل رجالا من قريش الى المدينة فحرقوا بعض نخلها ووجدوا انصاريا فقتلوه ولما علم بذلك رسول الله خرج اثرهم في مائتين من أصحابه لخمس خلون من ذى الحجة بعد

ان ولى على المدينة بشير بن عبد المنذر ولكن لم يلحقهم لانهم هربوا وجعلوا يخففون ما يحملونه ليكونوا أقدر على الاسراع فالقوا ما معهم من جرب السويق فأخذه المسلمون ولذلك سميت هذه الغزوة بغزوة السويق

صلاة العيد

وفي هذا العام سن الله للعالم الاسلامى سنة عظيمة بها يتمكن أبناء البلدة الواحدة من المسلمين ان يجددوا عهود الاخاء ويقووا عروة الدين الوثقى وهى الاجتماع فى يومى عيد الفطر وعيد الاضحى وكان عليه السلام يجمع المسلمين فى صعيد واحد ويصلى بهم ركعتين تضرعاً الى الله ان لا يفصم عروتهم وان ينصرهم على عدوهم ثم يخطبهم حاضاً لهم على الائتلاف ومذكراً لهم ما يجب عليهم لانفسهم ثم يصافح المسلمون بعضهم بعضاً وبعد ذلك يخرجون لأداء الصدقات للفقراء والمساكين حتى يكون السرور عاماً لجميع المسلمين فبعد الفطر زكاته وبعد الاضحى تضحيته نسأله تعالى ان يؤلف قلوبنا ويوفقنا لاعمال سلفنا

زواج على بفاطمة

وفى هذه السنة تزوج على بن أبى طالب وعمره احدى وعشرون سنة بفاطمة بنت رسول الله وسنها خمس عشرة سنة

وكان منها عقب رسول الله بنو الحسن والحسين وزينب (وفيها) دخل عليه السلام بعائشة بنت أبي بكر وسنها اذ ذاك تسع سنوات

السنة الثانية

يا لله يقضي على الشقي بالشقاوة حتى لا يسمع ولا يبصر فيتخذ الغدر رداء والخيانة شعاراً فلا ينجح معه الا اراحة العالم من شره هذا كعب بن الاشرف اليهودي عظيم بني النضير أعمته عداوة المسلمين حتى خلع برقع الحياء وصار يحرض قريشاً على حرب رسول الله ويهجوه بالشعر ويجتهد في اثارة الشحناء بين المسلمين فكلما جبر عليه السلام كسراً هاضه هذا الشقي بما ينفثه من سموم لسانه ولما انتصر المسلمون ببدر ورأى الاسرى مقرنين في الحبال خرج الى قريش يبكي قتلاهم ويحرضهم على حرب المسلمين فقال عليه السلام من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله فقال محمد بن مسلمة الانصاري الاوسي أتحب ان أقتله قال نعم قال أنا لك به وائذن لي ان اقول شيئاً أتمكن به فاذن له ثم خرج ومعه أربعة من قومه حتى أتى كعباً فقال له ان هذا الرجل (يريد رسول الله) قد سألنا صدقة وانه قد عنانا واني قد أتيتك

قتل كعب بن الاشرف

استسلفك قال ايضاً والله لتملنه قال انا قد اتبعناه فلا نحب ان ندعه حتى ننظر الى اى شئ يصير شأنه وقد أردنا ان تسلفنا وسقاً او وسقين قال نعم ولكن ارهنونى قالوا اى شئ تريد قال ارهنونى نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت اجمل العرب قال فارهنونى ابناءكم قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب احدهم فيقال رهن بوسق أووسقين هذا عار علينا ولكن نرهنك السلاح فرضى فواعده ليلاً ان يأتيه فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة اخو كعب من الرضاع وعباد بن بشر والحارث بن أوس وابو عبس بن جبر وكلهم أوسيون فناداه محمد بن مسلمة فاراد أن ينزل فقالت له امرأته اين تخرج الساعة وانك امرؤ تحارب فقال انما هو اخى محمد بن مسلمة ورضيعى أبو نائلة ان الكريم لو دعى الى طعنة بليل لأجاب ثم قال محمد لمن معه اذا جاءنى فانى آخذ بشعره فاشمه فاذا رأيتمونى تمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه فنزل اليهم كعب متوشحا سيفه وهو ينفح منه ريح المسك فقال محمد ما رأيت كاليوم ريحاً اطيب أتأذن لى ان اشم رأسك قال نعم فشمه فلما استمكن منه قال دونكم فاقتلوه ففعلوا وأراح الله المسلمين من شر اعماله التى

كان يقصدها بهم ثم أتوا النبي فأخبروه وكان قتل هذا الشقي في ربيع الاول من هذا العام وكان عليه السلام اذا رأى من رئيس غدراً ومقاصد سوء ومحبة لاثارة الحرب أرسل له من يريحه من شره وقد فعل كذلك مع ابي عفك اليهودي وكان مثل كعب في الشر

غزوة غطفان بلغ رسول الله ان بني ثعلبة ومحارب من غطفان تجمعوا برياسة رئيس منهم اسمه دعثور يريدون الغارة على المدينة فاراد عليه السلام ان يفل ايديهم كيلا يتمكنوا من هذا الاعتداء فخرج اليهم من المدينة في اربعمائة وخمسين رجلاً اثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول وخلف على المدينة عثمان بن عفان ولما سمعوا بسير رسول الله هربوا الى رؤس الجبال ولم يزل المسلمون سائرين حتى وصلوا ماء يسمى ذى أمر فعسكروا به وحدث انه عليه السلام نزع ثوبه يجففه من مطر بله وارتاح تحت شجرة والمسلمون متفرقون فابصره دعثور فاقبل اليه بسيفه حتى وقف على رأسه وقال من يمنعك مني يا محمد فقال الله فادركت الرجل هيبة ورعب اسقطا السيف من يده فتناوله عليه السلام وقال لدعثور من يمنعك مني قال لا احد

فعفا عنه فأسلم الرجل ودعا قومه للاسلام وحول الله قلبه من عداوة رسول الله وجمع الناس لحربه الى محبته وجمع الناس له ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا ما تنتجه حسن المعاملة والبعد عن الفظاظة وغلظ القلب (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر)

غزوة بحران بلغه عليه السلام أن جمعاً من بنى سليم يريدون الغارة على المدينة فسار اليهم فى ثلاثمائة من أصحابه لست خلون من جمادى الاولى وخلف على المدينه ابن أم مكتوم ولما وصل الى بحران وهو ماء من مياههم تفرقوا ولم يلق كيداً فرجع

سرية لما تيقنت قريش أن طريق الشام من جهة المدينة أقفل فى وجه تجارتهم ولا يمكنهم الصبر عنها لان بها حياتهم أرسلوا عيراً الى الشام من طريق العراق وكان فيها جمع من قريش منهم ابو سفيان بن حرب وصفوان بن امية وحويطب بن عبد العزى فجاءت أخبارهم لرسول الله فارسل لهم زيد بن حارثة فى مائة راكب يترقبونهم وكان ذلك فى جمادى الآخرة فسارت السرية حتى لقيت العير على ماء اسمه القردة بناحية

نجد فاخذت العير وما فيها وهرب الرجال وقد خمس الرسول

غزوة أحد

عليه السلام هذه العير حينما وصلت له

لما اصاب قريشاً ما أصابها ببدر واقفلت في وجوههم طرق التجارة
اجتمع من بقي من اشرافهم الى أبي سفيان رئيس تلك العير التي
جلبت عليهم المصايب ولم تكن سامت لاصحابها بعد فقالوا ان محمداً
قد وترنا وانا رضينا ان نترك ربح أموالنا فيها استعداداً لحرب
محمد واصحابه وقد رضى بذلك كل من له فيها نصيب وكان
ربحها نحواً من خمسين الف دينار فجمعوا لذلك الرجال فاجتمع
من قريش ثلاثة آلاف رجل ومعهم الاحابيش وهم حلفاؤهم
من بني المصطلق وبني الهون بن خزيمة ومعهم ابو عامر
الراهب الاوسي وكان قد فارق المدينة كراهية في رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعه عدد ممن هم على شاكلته وخرج معهم
جماعات من اعراب كنانة وتهامة وقال صفوان بن امية لابي
عزة الشاعر الذي لا ينسى القارئ ان الرسول منّ عليه ببدر
واطلقه من غير فداء انك رجل شاعر فاعنا بلسانك فقال اني
عاهدت محمداً أن لا أعين عليه واخاف ان وقعت في يده مرة ثانية
لا انجو فلم يزل به صفوان حتى أطاعه وذهب يثير الناس

لحرب المسلمين ودعا جبير بن مطعم غلاماً حبشياً له اسمه وحشي وكان رامياً قلما يخطئ فقال له اخرج مع الناس فان انت قتلت حمزة بعمي طعيمة فانت حر ثم خرج الجيش ومعهم القيان والدفوف والمعازف والخمور واصطحب الاشراف منهم نساءهم كيلا ينهزموا ولم يزالوا سائرين حتى نزلوا مقابل المدينة بذي الحليفة أما رسول الله عليه السلام فكان قد بلغه الخبر من كتاب بعث به اليه عمه العباس بن عبد المطلب الذي لم يخرج مع المشركين في هذه الحرب محتجاً بما اصابه يوم بدر ولما وصلت الاخبار باقتراب المشركين جمع عليه السلام اصحابه واخبرهم الخبر وقال ان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان هم أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فكان من رأيه شيوخ المهاجرين والانصار ورأى ذلك أيضاً عبد الله بن أبي أما الاحداث وخصوصاً من لم يشهد بدراً منهم فأشاروا عليه بالخروج وكان من رأيهم حمزة بن عبد المطلب وما زال هؤلاء بالرسول حتى تبع رأيهم لانهم الاكثر عدداً والاقوى جلداً فصلى الجمعة بالناس في يومها لعشر خلون من شوال وحضهم في خطبتها على الثبات

والصبر وقال لهم (لكم النصر ما صبرتم) ثم دخل حجرته ولبس عدته فظاهر بين درعين وتقلد السيف وألقى الترس وراء ظهره ولما رأى ذوو الرأى من الانصار أن الاحداث استكرهوا الرسول على الخروج لاموهم وقالوا ردوا الامر لرسول الله فما أمر ائتمرنا فلما خرج عليه السلام قالوا يا رسول الله نتبع رأيك فقال ما كان لنبي لبس سلاحه أن يضعه حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ثم عقد الالوية فاعطى لواء المهاجرين لمصعب ابن عمير ولواء الخزرج للحباب بن المنذر وخرج من المدينة بألف رجل فلما وصلوا رأس الثنية نظر عليه السلام كتيبة كبيرة فسأل عنها فقيل هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبى من اليهود فقال انا لا نستعين بكافر على مشرك وأمر بردهم لانه لا يأمن جانبهم من حيث لهم اليد الطولى فى الخيانة ثم استعرض الجيش فرد من استصغر وكان فيمن رد رافع بن خديج وسمرة ابن جندب ثم أجاز رافعاً لما قيل له انه رام فبكى سمرة وقال لزوج أمه أجاز رسول الله رافعاً وردنى مع انى أصرعه فبلغ رسول الله الخبر فامرهما بالمصارعة فكان الغالب سمرة فاجازه ثم بات عليه السلام محله ليلة السبت واستعمل على

حرس الجيش محمد بن مسلمة وعلى حرسه الخاص ذكوان ابن قيس وفى السحر سار الجيش حتى اذا كان بالشوط وهو بستان بين أحد والمدينة رجع عبد الله بن أبي بثلاثمائة من أصحابه وقال عصانى وأطاع الولدان فعلامَ نقتل أنفسنا فتبعهم عبد الله بن عمرو والد جابر وقال يا قوم اذكركم الله ان تخذلوا قومكم ونبيكم قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم فقال لهم أبعدكم الله فسيغنى الله عنكم نبيه ولما فعل ذلك عبد الله ابن أبي همت طائفتان من المؤمنين ان تفشلا بنو حارثة من الخزرج وبنو سلمة من الاوس فعصمهما الله وقد افترق المسلمون فرقتين فيما يفعلون بالمتخذلين فقوم يقولون نقاتلهم وقوم يقولون نتركهم فأنزل الله (فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) ثم نزل الجيش حتى نزل الشعب من أحد وجعل ظهره للجبل ووجهه للمدينة أما المشركون فنزلوا ببطن الوادى من قبل أحد وكان على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل وعلى المشاة صفوان بن أمية فجعل عليه السلام الزبير

ابن العوام بازاء خالد وجعل آخرين أمام الباقين واستحضر الرماة وكانوا خمسين رجلا رأسهم عبدالله بن جبير الانصارى فأوقفهم خلف الجيش على ظهر الجبل وقال لا تبرحوا ان رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وان رأيتموهم ظهروا علينا فلا تبرحوا ثم عدل عليه السلام الصفوف وخطب المسلمين وكان فيما قال (ألقى فى قلبي الروح الامين أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شئ وان أبطأ عنها فاتقوا ربكم واجملوا في طلب الرزق لايحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد اذا اشتكى تداعى له سائر جسده) ثم ابتدأ القتال بالمبارزة فخرج رجل من صفوف المشركين فبرز له الزبير فقتله ثم حمل على صاحب اللواء طلحة بن أبي طلحة فقتله فحمل اللواء اخوه عثمان فقتله حمزة فحمله أخ لهما اسمه أبو سعيد فاصابه سعد بن أبي وقاص بسهم قضى عليه فتناوب اللواء بعده أربعة من أولاد طلحة ابن أبي طلحة وكلهم يقتلون وخرج من صفوف المشركين عبد الرحمن بن أبي بكر يطلب البراز فاراد أبوه أن يبرز له فقال له عليه السلام متعنا بنفسك يا أبا بكر ثم حملت خيالة

المشركين على المسلمين ثلاث مرات وفى كلها ينضحهم المسلمون بالنبل فيتقهقرون ولما التقت الصفوف وحميت الحرب ابتدأ نساء المشركين يضربن بالدفوف وينشدون الاشعار تهييجاً لعواطف الرجال وكان عليه السلام كلما سمع نشيد النساء يقول (اللهم بك أحول وبك أصول وبك اقاتل حسبي الله ونعم الوكيل) وفى هذه المعمعة قتل حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله سيد الشهداء غافله وحشي وهو يجول فى الصفوف وضربه بحربة لم تخطئ ثنايا بطنه (هذا) ولما قتل حملة اللواء من المشركين ولم يقدر أحد على الدنو منه ولوا الادبار ونساؤهم يبكين ويولولن وتبعهم المسلمون يجمعون الغنائم والاسلاب فلما رأى ذلك الرماة الذين يحمون ظهور المسلمين فوق الجبل قالوا ما لنا فى الوقوف من حاجة ونسوا أمر السيد الحكيم صلى الله عليه وسلم فذكرهم رئيسهم به فلم يلتفتوا وانطلقوا ينتهبون اما رئيسهم فثبت فلما رأى خالد بن الوليد أحد رؤساء المشركين خلو الجبل من الرماة انطلق ببعض الجيش فقتل من ثبت من الرماة وأتى المسلمين من ورائهم وهم مشتغلون بدنياهم فلما رأوا ذلك البلاء دهشوا وتركوا

ما بأيديهم وانتقضت صفوفهم واختلطوا من غير شعور حتى صار يضرب بعضهم بعضاً ورفعت احدى نساء المشركين اللواء فاجتمعوا حوله وكان من المشركين رجل يقال له ابن قمئة قتل مصعب بن عمير صاحب اللواء وأشاع أن محمداً قد قتل فدخل الفشل فى المسلمين حتى قال بعضهم علام نقاتل اذا كان محمد قد قتل فارجعوا الى قومكم يؤمنوكم وقال جماعة اذا كان محمد قد قتل فقاتلوا عن دينكم وكان من نتيجة هذا الفشل ان انهزم جماعة من المسلمين من بينهم الوليد بن عقبة وخارجة بن زيد ورفاعة بن المعلى وعثمان بن عفان وتوجهوا الى المدينة ولكنهم استحيوا أن يدخلوها فرجعوا بعد ثلاث وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة منهم أبو طلحة الانصارى استمر بين يديه يمنع عنه بجحفته وكان رامياً شديد الرمى فنثر كنانته بين يدى رسول الله وصار يقول وجهى لوجهك فداء وكل من كان يمر ومعه كنانة يقول عليه السلام انثرها لابى طلحة وكان ينظر الى القوم ليرى ماذا يفعلون فيقول له أبو طلحة يا نبي الله بأبى أنت وأمى لا تنظر يصيبك سهم من سهام القوم نحرى دون نحرك (وممن)

ثبت سعد بن أبي وقاص فكان عليه السلام يقول له ارم سعد فداك أبي وأمي (ومنهم) سهل بن حنيف وكان من مشاهير الرماة نضح عن رسول الله بالنبل حتى انفرج عنه الناس (ومنهم) أبو دجانة الانصارى تترس على رسول الله فصار النبل يقع فى ظهره وهو منحن حتى كثر فيه (وكان) يقاتل عن الرسول زيادة بن الحارث حتى أصابت الجراح مقاتله فأمر به فأدنى منه ووسده قدمه حتى مات (وقد) أصابه عليه السلام شدائد عظيمة تحملها بما أعطاه الله من الثبات فقد أقبل أبي ابن خلف يريد قتله فأخذ عليه السلام الحربة ممن كانوا معه وقال خلوا طريقه فلما قرب منه ضربه ضربة كانت سبب هلاكه وهو راجع ولم يقتل رسول الله غيره (وكان) أبو عامر الراهب قد حفر حفراً وغطاها ليقع فيها المسلمون فوقع الرسول فى حفرة منها فأغمى عليه وخدشت ركبتاه فأخذه على بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله وهما ممن ثبت معه حتى استوى قائماً فرماه عتبة ابن أبي وقاص بحجر كسر رباعيته فتبعه حاطب بن أبي بلتعة فقتله وشج وجهه عليه السلام عبد الله بن شهاب الزهرى وجرحت وجنتاه بسبب دخول حلقتى المغفر فيهما من ضربة

ضربه بها ابن قمئة غضب الله عليه فجاء أبو عبيدة وعالج الحلقتين حتى نزعهما فكسرت فى ذلك ثنيتاه وقال حينئذ عليه السلام كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فأنزل الله (ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) وكان أول من عرف رسول الله بعد هذه الدهشة كعب بن مالك الانصارى فنادى يامعشر المسلمين ابشروا فأشار اليه الرسول ان انصت ثم سار بين سعد بن أبى وقاص وسعد بن عباده يريد الشعب ومعه جمع منهم ابو بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير والحارث بن الصمة وأقبل عليه اذ ذاك عثمان بن عبد الله بن المغيرة يقول اين محمد لا نجوت ان نجا فعثر به فرسه ووقع فى حفرة فمشى اليه الحارث بن الصمة وقتله ولما وصل الشعب جاءت فاطمة فغسلت عنه الدم وكان على يسكب الماء ثم أخذت قطعة من حصير فاحرقتها ووضعتها على الجرح فاستمسك الدم ثم اراد عليه السلام ان يعلو الصخرة التى فى الشعب فلم يمكنه القيام لكثرة ما نزل من دمه فحمله طلحة بن عبيد الله حتى أصعده فنظر الى جماعة من المشركين على ظهر الجبل فقال لا ينبغى لهم ان يعلونا اللهم لا قوة لنا الا بك ثم

ارسل اليهم عمر بن الخطاب فى جماعة فانزلوهم (وقد) أصاب المسلمين الذين كانوا يحوطون رسول الله كثير من الجراحات لان الشخص منهم كان يتلقى السهم خوفاً ان يصل الرسول فوجد بطلحة نيف وسبعون جراحة وشلت يده واصاب كعب بن مالك سبع عشرة جراحة اما القتلى فكانوا نيفاً وسبعين منهم ستة من المهاجرين والباقون من الانصار (ومن) المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير ومن الانصار حنظلة ابن أبى عامر وعمرو بن الجموح وابنه خلاد بن عمرو واخو زوجته والد جابر بن عبدالله فاتت زوجة عمرو هند بنت حرام وحملتهم زوجها وابنها واخاها على بعير لتدفنهم بالمدينة فنهى عليه السلام عن الدفن خارج أحد فأرجعوا (وقتل) سعد بن الربيع وارسل عليه السلام من يأتيه بخبره فوجده بين القتلى وبه رمق فقيل له ان رسول الله يسأل عنك فقال لمبلغه قل لقومى يقول لكم سعد بن الربيع الله الله وما عاهدتم عليه رسوله ليلة العقبة فوالله ما لكم عندى عذر (وقتل) أنس بن النضر عم مالك بن أنس لما سمع بقتل رسول الله قال يا قوم ما تصنعون بالبقاء بعده موتوا على ما مات عليه اخوانكم فلم يزل يقاتل

حتى قتل رضى الله عنه ومثلت قريش بقتلى أحد حتى ان هندا زوجة ابى سفيان بقرت بطن حمزة وأخذت كبده تأكلها فلاكتها ثم ارسلتها وفعلوا قريباً من ذلك باخوانه الشهداء (ثم) ان ابا سفيان صعد الجبل ونادى باعلى صوته انعمت فعال ان الحرب سجال يوم بيوم بدر وموعدكم بدر العام المقبل ثم قال انكم ستجدون فى قتلاكم مثلة لم آمر بها ولم تسرنى ثم ان المشركين رجعوا الى مكة ولم يعرجوا على المدينة وهذا مما يدل على ان المسلمين لم ينهزموا فى ذلك اليوم والا لم يكن بد من تعقب المشركين لهم حتى يغيروا على مدينتهم ثم تفقد عليه السلام القتلى وحزن على حمزة حزناً شديداً ودفن الشهداء كلهم باحد كل شهيد بثوبه الذى قتل فيه وكان يدفن الرجلين والثلاث فى لحد واحد لما كان عليه المسلمون من التعب فكان يشق عليهم ان يحفروا لكل شهيد حفرة (ولما) رجع المسلمون الى المدينة سخر بهم اليهود والمنافقون واظهروا ما فى قلوبهم من البغضاء وقالوا لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا

وهذا الذى ابتلى به المسلمون درس مهم لهم يذكرهم بأمرين عظيمين تركهما المسلمون فأصيبوا أولهما طاعة الرسول

فى أمره فقد قال للرماة لاتبرحوامن مكانكم ان نحن نصرنا او قهرنا فعصوا أمره ونزلوا الثانى ان تكون الاعمال كلها لله غير منظور فيها لهذه الدنيا التى كثيراً ماتكون سبباً فى مصايب عظيمة وهؤلاء أرادوا عرض الدنيا والتهوا بالغنائم حتى عوقبوا وفى ذلك أنزل الله (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعدما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) فسبب هذا الابتلاء التنازع فينبغى الاتفاق والفشل فينبغى الثبات والعصيان فينبغى طاعة الرئيس نسأل الله التوفيق

غزوة حمراء الاسد

لما رجع عليه السلام الى المدينة أصبح حذراً من رجوع المشركين الى المدينة ليتمموا انتصارهم فنادى فى أصحابه بالخروج خلف العدو وان لايخرج الامن كان معه بالامس فاستجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح فكمدوا جراحاتهم وخرجوا واللواء معقود لم يحل فأعطاه على بن أبى طالب وولى على المدينة ابن أم مكتوم ثم سار الجيش حتى وصلوا حمراء الأسد وهو محل على ثمانية أميال من المدينة فى طريق مكة

وقد كان ماظنه الرسول حقاً فان المشركين تلاوموا على ترك المسلمين من غير شن الغارة على المدينة حتى يتم لهم النصر فأصروا على الرجوع ولكن لما بلغهم خروج الرسول فى أثرهم ظنوا انه قد حضر معه من لم يحضر بالامس وألقى الله الرعب فى قلوبهم فتمادوا فى سيرهم الى مكة وظفر عليه السلام وهم فى حمراء الاسد بأبى عزة الشاعر الذى منّ عليه ببدر بعد ان تعهد ان لا يكون ضد المسلمين فأمر بقتله فقال يا محمد أقلنى وامنن علىّ ودعنى لبناتى وأعطيك عهداً أن لا أعود لمثل ما فعلت فقال عليه السلام لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً مرتين (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) اضرب عنقه يا زيد فضرب عنقه وفى هذا تأديب عظيم من صاحب الشرع الشريف فان الرجل الذى لا يحترز مما أصيب منه ليس بعاقل فلا بد من الحزم لاقامة دعائم الملك

حوادث في هذه السنة زوج عليه السلام بنته أم كلثوم لعثمان بن عفان بعد ان ماتت رقية عنده ولذلك كان يسمى ذا النورين (وفيها) تزوج عليه السلام حفصة بنت عمر بن الخطاب وأمها أخت عثمان بن مظعون وكانت قبله تحت

خنيس بن حذافة رضى الله عنها فتوفى عنها بجراحة أصابته ببدر (وفيها) تزوج عليه السلام زينب بنت خزيمة كانت تدعى فى الجاهلية أم المساكين لرأفتها واحسانها اليهم وكانت قبله تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها بأحد وهى أخت ميمونة بنت الحارث لامها (وفيها) ولد الحسن بن على رضى الله عنهما (وفيها) حرمت الخمر وكان تحريمها بالتدريج لما كان عليه العرب من المحبة الشديدة لها فيصعب اذاً تحريمها دفعة واحدة وكان ذلك التحريم تابعاً لحوادث تنفر عنها لان المنكر اذا أسند تحريمه لحادثة أقر الجميع على تقبيحها كان ذلك أشد تأثيراً على النفس فاول مابين فيها (يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس) فمنفعة الميسر التصدق بربحه على الفقراء كما كانت عادة العرب ومنفعة الخمر تقوية الجسم ولما شربها بعض المسلمين وخلط فى القراءة حرمت الصلاة على السكران فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون) ولما حدث من شربها اعتداء بعض المسلمين على اخوانهم حرمت قطعياً بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب

(١) والأزلام (٢) رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون) وقد أجاب المسلمون على ذلك بقولهم انتهينا فليجب المسلمون الآن

السنة الرابعة في بدء السنة الرابعة بلغ رسول الله ان طليحة وسلمة ابنى خويلد الاسديين يدعوان قومهما بنى أسد لحربه عليه السلام فدعا أبا سلمة بن عبد الاسد المخزومى وعقد له لواء وقال سر حتى تنزل أرض بنى أسد بن خزيمة فأغر عليهم وارسل معه رجالاً فسار فى هلال المحرم حتى بلغ قطنا وهو جبل بناحية فيد ماء لبنى أسد فاغار عليهم فهربوا عن منازلهم ووجد ابو سلمة ابلا وشاء فاخذها ولم يلق حرباً ورجع بعد عشرة أيام من خروجه (وفى) بدئها أيضاً بلغه عليه السلام ان سفيان بن خالد بن نبيح الهذلى المقيم بعرنة وهو موضع قريب من عرفة يجمع الجموع لحربه فارسل له عبدالله بن أنيس الجهنى وحده

(١) هى حجارة تصب عليها دماء الذبائح وتعبد

(٢) هى القداح التى كانوا يستقسمون بها وفى قرن الخمر والميسر بالانصاب والازلام نهاية التنفير ولذلك قال عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن اه

ليقتله فاستأذن رسول الله ان يقول حتى يتمكن فاذن له وقال انتسب لخزاعـة فخرج لخمس خلون من المحرم ولما وصل اليه قال له سفيان ممن الرجل قال من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئت لاكون معك فقال له أجل انى فى الجمع له فمشى عبدالله معه وحدثه وسفيان يستحلى حديثه فلما انتهى الى خبائه تفرق الناس عنه فجلس معه عبدالله حتى نام فقام وقتله ثم ارتحل حتى أتى المدينة ولم يلحقه الطلب وكفى الله المؤمنين القتال

وفى صفر أرسل عليه السلام عشرة رجال عيونا على قريش وأمر عليهم عاصم بن ثابت الانصارى فخرجوا يسيرون الليل ويكمنون النهار حتى اذا كانوا بالرجيع وهو ماء لهذيل بين مكة وعسفان أحس بهم قوم سفيان بن خالد الهذلى الذى قتله عبد الله بن أنيس فنفروا اليهم فيما يقرب من مائة رام واقتفوا آثارهم حتى قربوا منهم فلما أحس بهم رجال السرية لجؤا الى جبل هناك فقال لهم الاعداء انزلوا ولكم العهد ان لا نقتلكم فنزل اليهم ثلاثة اغتروا بعهدهم وقاتلهم الباقون ومعهم عاصم غير راضين بالنزول فى ذمة مشرك ولما رأى الثلاثة الذين سلموا عين الغدر امتنع أحدهم فقتلوه وأما الاثنان سرية

فباعوهما بمكة ممن كان له ثار عند المسلمين وهناك قتلا وقد
قال أحدهما وهو خبيب بن عدى حين أرادوا قتله

ولست أبالى حين أقتل مسلماً * على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

سرية

فى صفر وفد على رسول الله أبو عامر بن مالك ملاعب
الأسنة وهو من رؤس بنى عامر فدعاه عليه السلام الى الاسلام
فلم يسلم ولم يبعد بل قال انى أرى أمرك هذا حسناً شريفاً
ولو بعثت معى رجالاً من أصحابك الى أهل نجد فدعوهم الى
أمرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال عليه السلام انى أخشى
عليهم أهل نجد فقال أبو عامر أنا لهم جار فأرسل معه المنذر بن
عمرو فى سبعين من أصحابه كانوا يسمون القراء لكثرة ما كانوا
يحفظون من القرآن فساروا حتى نزلوا بئر معونه وهى بين
أرض بنى عامر وحرة بنى سليم فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب
الى عامر بن الطفيل سيد بنى عامر فلما وصل اليه لم يلتفت
الى الكتاب بل عدا على حرام فقتله ثم استصرخ على بقية البعثة
أصحابه من بنى عامر فلم يرضوا ان يخفروا جوار ملاعب الأسنة
فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم وهم رعل وذكوان وعصية

فأجابوه وذهبوا معه حتى اذا التقوا بالقراء أحاطوا بهم وقاتلوهم حتى قتلوهم عن آخرهم بعد دفاع شديد لم يجدهم نفعاً لقلة عددهم وكثرة عدوهم ولم ينج الا كعب بن زيد وقع بين القتلى حتى ظن انه منهم وعمرو بن أميـة كان فى سرح القوم وأبلغ عليـه السـلام خبر القراء فخطب فى أصحابه وكان فيما قال (ان اخوانكم قد لقوا المشركين وقتلوهم وانهم قالوا ربنا بلغ قومنا انا قد لقينا ربنا فرضينا عنه ورضى عنا) وكان وصول خبر هذه السرية وسرية الرجيع فى يوم واحد فحزن عليهم صلى الله عليه وسلم حزناً شديداً وأقام يدعو على الغادرين بهم شهراً فى الصلاة

غزوة بنى النضير

يا لله ما أسوأ عاقبـة الطيش فقد تكون الامة مرتاحة البال هادئة الخواطر حتى تقوم جماعة من رؤسائها بعمل غدر يظنون من ورائه النجاح فيجلب عليهم الشرور ويشتتهم من ديارهم وهذا ما حصل ليهود بنى النضير حلفاء الخزرج الذين كانوا يجاورون المدينة فقد كان بينهم وبين المسلمين عهود يأمن بها كل منهم الآخر ولكن بنو النضير لم يوفوا بهذه العهود حسـداً منهم وبغياً فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض

من أصحابه فى ديار بنى النضير اذ ائتمر جماعة منهم على قتله
بأن يأخذ أحد منهم صخرة ويلقيها عليه من علو فاطلع عليه
السلام على قصدهم فرجع وتبعه أصحابه ثم أرسل لهم محمد بن
مسلمة يقول لهم اخرجوا من بلادى فقد هممتم بما هممتم
من الغدر اذ الحزم كل الحزم أن لا يتهاون الانسان مع من عرف
منه الغدر فتهيأ القوم للرحيل فأرسل لهم اخوانهم المنافقون
يقولون لا تخرجوا من دياركم ونحن معكم فلئن أخرجتم لنخرجن
معكم ولئن قوتلتم لننصرنكم فطمع اليهود بهذه النصرة وعصوا
عن الجلاء فأمر عليه السلام بالتهيؤ لقتالهم فلما اجتمع الناس
خرج بهم واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم واعطى
رايته عليا أما بنو النضير فتحصنوا في حصونهم وظنوا انها
مانعتهم من الله فحاصرهم عليه السلام ست ليال ثم أمر بقطع
نخيلهم ليكون أدعى الى تسليمهم فقذف الله في قلوبهم الرعب
ولم يروا من عبد الله بن أبى مساعدة بل خذلهم كما خذل
بنى قينقاع من قبلهم فسألوا رسول الله ان يجليهم ويكف عن
دمائهم وان لهم ما حملت الابل من أموالهم الا آلة
الحرب ففعل وصار اليهود يخربون بيوتهم بأيديهم

كيلا يسكنها المسلمون ولما سار اليهود نزل بعضهم بخيبر ومنهم اكابرهم حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق ومنهم من سار الى اذرعات بالشام وأسلم منهم اثنان يامين بن عمرو وأبو سعد بن وهب ولم يخمس رسول الله ما أخذ من بني النضير فانه فئ لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ومثل هذا يكون لمعدات الحرب وللرسول يطعم منه أهله ولذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فاعطى عليه السلام من هذا الفئ فقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم وردوا لاخوانهم من الانصار ما كانوا قد أخذوه منهم أيام هجرتهم وأخذ عليه السلام أرضاً يزرعها ويدخر منها قوت أهله عاماً

غزوة ذات الرقاع

وفي ربيع الآخر بلغه عليه السلام أن قبائل من نجد يتهيؤن لحربه وهم بنو محارب وبنو ثعلبة فتجهز لهم وخرج في سبعمائة مقاتل وولى على المدينة عثمان بن عفان ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا ديار القوم فلم يجدوا بها أحداً غير نسوة فاخذوهم فبلغ الخبر رجالهم فخافوا وتفرقوا في رؤس الجبال ثم اجتمع جمع منهم وجاؤا للحرب فتقارب الناس وأخاف بعضهم بعضاً ولما حانت صلاة العصر وخاف عليه السلام أن يغدرهم

الاعداء وهم يصلون صلى بالمسلمين صلاة الخوف فالقى الله الرعب في قلوب الاعداء وتفرقت جموعهم خائفين منه صلى الله عليه وسلم

ومال الامام البخارى الى أن هذه الغزوة كانت في السنة السابعة وأجمع أهل السير على خلافه

غزوة بدر الآخرة

لما أهل شعبان هذا العام كان موعد أبي سفيان فانه بعد انقضاء غزوة أحد قال للمسلمين موعدنا بدر العام المقبل فاجابه الرسول الى ذلك وكان بدر محل سوق يعقد كل عام للتجارة في شعبان يقيم التجار فيه ثمانياً فلما حل الاجل وقريش مجدبون لم يتمكن أبو سفيان من الايفاء بوعده فاراد أن يخذل المسلمين عن الخروج كيلا يوسم بخلف الوعد فاستأجر نعيم ابن مسعود الاشجعي ليأتي المدينة ويرجف بما جمعه أبو سفيان من الجموع العظيمة فقدم نعيم المدينة وقال للمسلمين ان أهل مكة قد جمعوا لكم فاخشوهم فما زادهم ذلك الا ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ولم يلتفت عليه السلام لهذا الارجاف اتكالاً على ربه بل خرج بالف وخمسمائة من اصحابه واستخلف على المدينة عبدالله بن عبدالله بن أبي ولم يزالوا سائرين حتى

أتوا بدراً فلم يجدوا بها أحداً لان ابا سفيان أشار على قريش بالخروج على نية الرجوع بعد مسير ليلة او ليلتين ظاناً ان ارجاف نعيم يفيد فيكون المخالف هم المسلمون فسار حتى أتى مجنة وهى سوق معروف من ناحية مر الظهران فقال لقومه ان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام عشب فارجعوا أما المسلمون فاقاموا ببدر لا يشاركهم فى تجارته احد (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) ولما سمع بذلك صفوان بن أميه قال لابى سفيان قد والله نهيتك أن تمد القوم وقد اجترؤا علينا ورأوا انا أخلفناهم

وفى هذا العام ولد الحسين بن على (وفيه) توفيت زينب بنت خزيمة أم المؤمنين (وفيه) توفى أبو سلمة رضى الله عنه ابن عمة رسول الله وأخوه من الرضاعة وأول من هاجر الى الحبشة (وفيه) تزوج عليه السلام أم سلمة هنداً زوج أبى سلمة بعد وفاته حوادث

السنة الخامسة

غزوة دومة الجندل

فى ربيع الاول من هذا العام بلغ النبى صلى الله عليه وسلم ان جمعا من الاعراب بدومة الجندل (وهى مدينة بينها

وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين طيبة خمس عشرة ليلة) يظلمون من مر بهم وانهم يريدون الدنو من المدينة فتجهز لغزوهم وخرج فى ألف من أصحابه بعد ان ولى على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى ولم يزل يسير الليل ويكمن النهار حتى قرب منهم فلما بلغهم الخبر تفرقوا فهجم المسلمون على ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب ثم نزل بساحتهم فلم يلق أحداً وبث السرايا فلم تجد منهم أحداً فرجع عليه السلام غانماً وصالح وهو عائد عيينة بن حصن الفزارى وهو الذى كان يسميه عليه السلام الاحمق المطاع لانه كان يتبعه ألف قناة وأقطعه عليه السلام أرضاً يرعى فيها بهمه على بعد ستة وثلاثين ميلا من المدينة لان أرضه كانت قد أجدبت

غزوة بنى المصطلق

فى شعبان بلغه عليه السلام أن الحارث بن ضرار سيد بنى المصطلق الذين ساعدوا قريشاً على حرب المسلمين فى أحد يجمع الجموع لحربه فخرج له عليه السلام فى جمع كثير وولى على المدينة زيد بن حارثة وخرج معه من نسائه عائشة وأم سلمة وخرج معه ناس من المنافقين لم يخرجوا قط فى غزوة قبلها

يرجون أن يصيبوا من عرض الدنيا وفى أثناء مسيره عليه السلام التقى بعين بنى المصطلق فسأله عن أحوال العدو فلم يجب فأمر بقتله ولما بلغ الحارث رئيس الجيش مجئ المسلمين لحربه وأنهم قتلوا جاسوسه خاف هو وجيشه خوفاً شديداً حتى تفرق عنه بعضهم ولما وصل المسلمون الى المريسيع وهو ماء من مياههم تصاف الفريقان للقتال بعد أن عرض عليهم الاسلام فلم يقبلوا فتراموا بالنبل ساعة ثم حمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد فلم يتركوا لرجل من عدوهم مجالاً للهرب بل قتلوا عشرة منهم وأسروا باقيهم مع النساء والذرية واستاقوا الابل والشياه وكانت الابل ألفى بعير والشياه خمسة آلاف استعمل الرسول على ضبطها مولاه شقران وعلى الاسرى بريدة وكان فى نساء المشركين برة بنت الحارث سيد القوم وقد أخذ من قومها مائتا بيت أسرى وزعت على المسلمين وهنا يظهر حسن السياسة ومنتهى الكرم فان بنى المصطلق من أعز العرب داراً فاسر نسائهم بهذه الحال صعب جداً فاراد عليه السلام أن يجعل المسلمين يمنون على النساء بالحرية من تلقاء أنفسهم فتزوج برة بنت الحارث التى سماها جويرية

فقال المسلمون أصهار رسول الله لا ينبغى أسرهم فى أيدينا فمنوا عليهم بالعتق وكانت جويرية أيمن امرأة على قومها كما قالت عائشة رضى الله عنها وتسبب عن هذا الكرم العظيم وهذه المعاملة الجليلة أن أسلم بنو المصطلق عن بكرة أبيهم وكانوا للمسلمين بعد ان كانوا عليهم (وقد) حصل فى هذه الغزاة نادرتان لولا أن صاحبتهما حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعادتا بالتفريق على المسلمين فاولاهما أن أجيرا لعمر بن الخطاب اختصم مع حليف للخزرج فضرب الاجير الحليف حتى سال دمه فاستصرخ بقومه الخزرج واستصرخ الاجير بالمهاجرين فأقبل الذعر من الفريقين وكادوا يقتتلون لولا أن خرج عليهم رسول الله فقال ما بال دعوى الجاهلية وهى مايقال فى الاستغاثة يالفلان فاخبر بالخبر فقال دعوا هذه الكلمة فانها منتنة ثم كلم المضروب حتى أسقط حقه وبذلك سكنت الفتنة فلما بلغ عبد الله بن أبى هذا الخصام غضب وكان عنده رهط من الخزرج فقال ما رأيت كاليوم مذلة أوقد فعلوها نافرونا فى ديارنا والله ما نحن والمهاجرون الا كما قال الاول سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم

التفت الى من معه وقال هـذا مافعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم بأيديكم لتحولوا الى غير داركم ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم غرضاً للمنايادون محمد فايتمتم اموالكم وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عنده وكان فى مجلسه شاب حديث السن قوى الاسلام اسمه زيد بن ارقم فاخبر رسول الله الخبر فتغير وجهه وقال يا غلام لعلك غضبت عليه فقلت ما قلت فقال والله يا رسول الله لقد سمعته قال لعله أخطأ سمعك فاستأذن عمر الرسول فى قتل ابن ابى أو أن يأمر أحداً غيره بقتله فنهاه عن ذلك وقال كيف يا عمر اذا تحدث الناس أن محمداً يقتل اصحابه ثم أذن بالرحيل فى وقت لم يكن يرتحل فيه حين اشتد الحر يقصد بذلك عليه السلام اشغال الناس عن التكلم فى هذا الموضوع فجاءه أسيد بن حضير وسأله عن سبب الارتحال فى هذا الوقت فقال أو ما بلغك ماقال صاحبكم زعم انه ان رجع الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال أنت والله يارسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وانت العزيز ثم سار عليه السلام بالناس سيراً حثيثاً حتى آذتهم الشمس فنزل

بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الارض حتى وقعوا نياماً
وكلم رجال من الانصار عبدالله بن أبي فى أن يطلب من الرسول
الاستغفار فلوى رأسه واستكبر وهنا نزل على الرسول سورة
المنافقين التى فضحت عبدالله بن أبي واخوانه وصدقت زيد بن
أرقم ولما بلغ ذلك عبد الله بن عبد الله بن أبي استأذن رسول
الله فى قتل أبيه حذراً من أن يكلف بذلك غيره فيكون عنده
من ذلك أضغان وأحقاد فأمره عليه السلام بالاحسان
إلى أبيه (النادرة الثانية) وهى أفظع من الاولى وأجلب حديث الافك
منها للمصايب وهى رمى عائشة الصديقة زوج رسول الله
بالافك فاتهموها بصفوان بن المعطل السلمي وذلك انهم لما دنوا
من المدينة آذن عليه السلام ليلة بالرحيل وكانت السيدة قد مضت
لقضاء حاجتها حتى جاوزت الجيش فلما قضت شأنها أقبلت الى رحلها
فلمست صدرها فاذا عقد لها من جزع ظفار قد انقطع
فرجعت تلتمس عقدها فحبسها ابتغاؤه فأقبل الرهط الذين
كانوا يرحلونها فاحتملوا هودجها ظانين انها فيه لان النساء
كن اذ ذاك خفافاً لم يغشهن اللحم فلم يستنكر القوم خفة
الهودج وكانت عائشة جارية حديثة السن فجاءت منزل

الجيش بعد ان وجدت عقدها وليس بالمنزل داع ولا مجيب فغلبتها عيناها فنامت وكان الذى يسير وراء الجيش يتفقد ضائعه صفوان بن المعطل فأصبح عند منزلها فعرفها لانه كان رآها قبل الحجاب فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه وسترت وجهها بجلبابها فأناخ راحلته وأركبها من غير أن يتكلما بكلمة ثم انطلق يقود بها الراحلة حتى وصل الجيش وهو نازل للراحة فقامت قيامة أهل الافك وقالوا ما قالوا فى عائشة وصفوان والذى تولى كبر الافك عبد الله بن أبى ولما قدموا المدينة مرضت عائشة شهراً والناس يفيضون فى قول أهل الافك وهى لا تشعر بشئ وكانت تعرف فى رسول الله رقة اذا مرضت فلم يعطها نصيباً منها فى هذا المرض بل كان يمر على باب الحجرة لا يزيد على قوله كيف حالكم مما جعلها فى ريب عظيم فلما نقهت خرجت هى وأم مسطح بن اثاثة أحد أهل الافك للتبرز خارج البيوت فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقالت عائشة بئس ما قلت أتسبين رجلاً شهد بدراً فقالت يا هنتاه أولم تسمعى ما قالوا فسألتها عائشة عن ذلك فأخبرتها الخبر فازدادت مرضاً

على مرضها ولما جاءها عليه السلام كعادته استأذنته أن تمرض
فى بيت أبيها فاذن لها فسألت أمها عما يقول الناس فقالت
يابنية هونى عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند
رجل يحبها لها ضرائر الا أكثرن عليها فقالت عائشة سبحان
الله أو لقد تحدث الناس بهذا وبكت تلك الليلة حتى أصبحت
لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم وفى خلال ذلك كان عليه
السلام يستشير كبار أهل بيته فيما يفعل فقال له اسامة بن
زيد لما يعلمه من براءة عائشة أهلك أهلك ولا نعلم عليهم
الا خيراً وقال على بن أبى طالب لم يضيق الله عليك والنساء
سواها كثير وسل الجارية تصدقك فدعا عليه السلام بريرة
جارية عائشة وقال لها هل رأيت من شئ يريبك فقالت
والذى بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمصه غير انها
جارية حديثة السن تنام عن عجينها فتأتى الداجن فتأ كله فقام
عليه السلام من يومه وصعد المنبر والمسلمون مجتمعون وقال
من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهلى والله ما علمت
على أهلى الا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه الا
خيراً وما يدخل على اهلى الا معى فقال سعد بن معاذ أنا

يارسول الله أعذرك منه فان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن عبادة الخزرجي وقال كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت انه يقتل فقام أسيد بن حضير وقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين وكادت تكون فتنة بين الأوس والخزرج لولا أن رسول الله نزل من فوق المنبر وخفضهم حتى سكتوا أما عائشة فبقيت ليلتين لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم . وبينما هي مع أبويها اذ دخل عليه السلام فسلم ثم جلس فقال أما بعد يا عائشة انه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف وتاب تاب الله عليه فتقلص دمع عائشة وقالت لابويها أجيبا رسول الله فقالا والله ما ندري ما نقول فقالت اني والله لقد علمت انكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر في انفسكم وصدقتم به . فلئن قلت لكم اني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم اني منه بريئة لتصدقني فوالله لا أجد لي ولكم

مثلاً الا أبا يوسف قال (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) ثم تحولت واضطجعت على فراشها ولم يزاول رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى نزلت عليه الآيات من سورة النور ببراءة السيدة المطهرة عائشة الصديقية واولها (ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم) فسرى عن رسول الله وهو يضحك وبشر عائشة بالبراءة فقالت لها امها قومى فاشكرى رسول الله فقالت لا والله لا أشكر الا الله الذى برأنى وبعد ذلك أمر عليه السلام بان يجلد من صرح بالافك ثمانين جلده وهى حدالقاذف وكانوا ثلاثة حمنة بنت جحش ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وكان أبو بكر ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه فلما تكلم بالافك قطع عنه النفقة فأنزل الله (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى واليتامى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فقال ابو بكر بلى نحب ذلك يا رسول الله وأعاد النفقة على مسطح فهذه

مضار المنافقين الذين يدخلون بين الامم مظهرين لهم المحبة وقلوبهم مملوءة حقداً يتربصون الفتن فتى رأوا باباً لها ولجوه فنعوذ بالله منهم

غزوة الخندق

لم يقر لعظماء بنى النضير قرار بعد جلائهم عن ديارهم وارث المسلمين لها بل كان فى نفوسهم دائماً أن يأخذوا ثارهم ويستردوا بلادهم فذهب جمع منهم الى مكة وقابلوا رؤساء قريش وحرضوهم على حرب رسول الله ومنَّوهم بالمساعدة فوجدوا منهم قبولاً لما طلبوه ثم جاؤا الى قبيلة غطفان وحرضوا رجالها كذلك وأخبروهم بمبايعة قريش لهم على الحرب فوجدوا منهم ارتياحاً فتجهزت قريش وأتباعها يرأسهم أبو سفيان ويحمل لواءهم عثمان بن طلحة بن ابى طلحة وعددهم اربعة آلاف معهم ثلاثمائة فرس وألف بعير وتجهزت غطفان يرأسهم عيينة ابن حصن الذى جازى احسان رسول الله كفراً فانه كما قدمنا أقطعه أرضاً يرعى فيها سوائمه حتى اذا سمن خفه وحافره قام يقود الجيوش لحرب من أنعم عليه وكان معه ألف فارس وتجهزت بنو مرة يرأسهم الحارث بن عوف المرى وهم اربعمائة وتجهزت بنو أشجع يرأسهم أبو مسعود بن رخيله وتجهزت بنو سليم

يرأسهم سفيان بن عبد شمس وهم سبعمائة وتجهزت بنو أسد يرأسهم طليحة بن خويلد الاسدى وعدة الجميع عشرة آلاف محارب قائدهم العام أبو سفيان ولما بلغه عليه السلام أخبار هاته التجهيزات استشار أصحابه فيما يصنع أيمكث بالمدينة أم يخرج للقاء هذا الجيش الجرار فأشار عليه سلمان الفارسى بعمل الخندق وهو عمل لم تكن العرب تعرفه فأمر عليه السلام المسلمين بعمله وشرعوا فى حفره شمالى المدينة من الحرة الشرقية الى الحرة الغربية وهذه هى الجهة التى كانت عورة تؤتى المدينة من قبلها أما بقية حدودها فمشتبكة بالبيوت والنخيل لا يتمكن العدو من الحرب جهتها وقد قاسى المسلمون صعوبات جسيمة فى حفر الخندق لانهم لم يكونوا فى سعة من العيش حتى يتيسر لهم العمل وعمل معهم عليه السلام فكان ينقل التراب متمثلاً بشعر ابن أبى رواحة

اللهم لو لا انت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا * وان أرادوا فتنة أبينا

وأقام الجيش فى الجهة الشرقية مسنداً ظهره الى سلع

وهو جبل مطل على المدينة وعدتهم ثلاثة آلاف وكان لواء المهاجرين مع زيد بن حارثة ولواء الانصار مع سعد بن عبادة أما قريش فنزلت بمجمع الاسيال وأما غطفان فنزلت جهة أحد وكان المشركون معجبين بمكيدة الخندق التي لم تكن العرب تعرفها فصاروا يترامون مع المسلمين بالنبل ولما طال المطال عليهم أكره جماعة منهم أفراسهم على اقتحام الخندق منهم عكرمة بن أبي جهل وعمرو بن ود وآخرون وقد برز علي ابن أبي طالب لعمرو بن ود فقتله وهرب اخوانه وهوى في الخندق نوفل بن عبد الله فاندقت عنقه (ورمى) سعد بن معاذ رضي الله عنه بسهم قطع أكحله وهو شريان الذراع واستمرت المناوشة والمراماة بالنبل يوماً كاملاً حتى فاتت المسلمين صلاة ذلك اليوم وقضوها بعد وجعل عليه السلام على الخندق حراساً حتى لا يقتحمه المشركون بالليل وكان يحرس بنفسه ثلمة فيه مع شدة البرد وكان عليه السلام يبشر أصحابه بالنصر والظفر ويعدهم الخير أما المنافقون فقد أظهروا في هذه الشدة ما تكنه ضمائرهم حتى قالوا ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً وانسحبوا قائلين ان بيوتنا عورة نخاف أن يغير

عليها العدو وما هي بعورة ان يريدون الا فراراً واشتد الحال بالمسلمين فان هـذا الحصار صاحبه ضيق على فقراء المدينـة والذى زاد الشدة عليهم مابلغهم من أن يهود بنى قريظة الذين يسا كنونهم فى المدينة قد انتهزوا هذه الفرصة لنقض العهود وسبب ذلك أن حيى بن أخطب سيـد بنى النضير المجلين توجـه الى كعب بن أسد القرظى سـيد بنى قريظـة وكان له كالشيطان اذ قال للانسان اكفر فحسن له نقض العهـد ولم يزل به حتى أجابه لقتال المسلمين ولما بلغت هـذه الاخبار رسول الله أرسل مسلمة بن أسلم فى مائتين وزيد بن حارثة فى ثلاثمائة لحراسة المدينة خوفاً على النساء والذرارى وأرسل الزبير بن العوام يستجلى له الخبر فلما وصلهم وجدهم حانقين يظهر على وجوههم الشر ونالوا من رسول الله والمسلمين أمامه فرجع وأخبر الرسول بذلك وهنالك اشتد وجل المسلمين وزلزلوا زلزالاً شديداً لان العدو جاءهم من فوقهم ومن أسفل منهم وزاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وظنوا بالله الظنون وتكلم المنافقون بما بدا لهم فاراد عليه السلام أن يرسل لعيينة بن حصن ويصالحه على ثلث ثمار المدينة لينسحب

بغطفان فأبى الانصار ذلك قائلين انهم لم يكونوا ينالون منا قليلا من ثمرنا ونحن كفار أفبعد الاسلام يشاركوننا فيها واذا اراد الله العناية بقوم هيأ لهم أسباب الظفر من حيث لا يعلمون فانظر الى هذه العناية من الله بالمتمسكين بدينه القويم جاء نعيم بن مسعود الاشجعى وهو صديق قريش واليهود ومن غطفان فقال يا رسول الله انى قد اسلمت وقومى لا يعلمون باسلامى فرنى بأمرك حتى أساعدك فقال أنت رجل واحد وماذا عسى أن تفعل ولكن خذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة فخرج من عنده وتوجه الى بنى قريظة الذين نقضوا عهود المسلمين فلما رأوه اكرموه لصداقته معهم فقال يا بنى قريظة تعرفون ودى لكم وخوفى عليكم وانى محدثكم حديثاً فاكتموه عنى قالوا نعم فقال لقد رأيتم ما وقع لبنى قينقاع والنضير من اجلائهم وأخذ أموالهم وديارهم وان قريشاً وغطفان ليسوا امثالكم فهم اذا رأوا فرصة انتهزوها والا انصرفوا لبلادهم وأما انتم فتساكنون الرجل (يريد الرسول) ولا طاقة لكم بحربه وحدكم فارى أن لا تدخلوا فى هذه الحرب حتى تستيقنوا من قريش وغطفان أنهم لن يتركوكم ويذهبوا

الخدعة فى الحرب

الى بلادهم بأن تأخذوا منهم رهائن سبعين شريفاً منهم فاستحسنوا رأيه وأجابوه الى ذلك ثم قام من عندهم وتوجه الى قريش فاجتمع برؤسائهم وقال أنتم تعرفون ودي لكم ومحبتي اياكم وانى محدثكم حديثاً فاكتموه عنى قالوا نفعل فقال لهم ان بنى قريظة قد ندموا على ما فعلوه مع محمد وخافوا منكم أن ترجعوا وتتركوهم معه فقالوا له أيرضيك ان نأخذ جمعاً من أشرافهم ونعطيهم لك وترد جناحنا الذى كسرت (يريد بنى النضير) فرضى بذلك منهم وها هم مرسلون اليكم فاحذروهم ولا تذكروا مما قلت لكم حرفاً ثم أتى غطفان فأخبرهم بمثل ماأخبر به قريشاً فأرسل ابو سفيان وفدا لقريظة يدعوهم للقتال فاجابوا انا لا يمكننا أن نقاتل فى السبت (وكان ارساله لهم ليلة سبت) ولم يصبنا ما اصابنا الا من التعدى فيه ومع ذلك فلا نقاتل حتى تعطونا رهائن منكم حتى لا تتركونا وتذهبوا الى بلادكم فتحققت قريش وغطفان كلام نعيم بن مسعود وتفرقت القلوب فخاف بعضهم بعضاً وكان عليه السلام قد ابتهل الى الله الذى لا ملجأ الا اليه ودعاه بقوله (اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم) وقد أجاب الله دعاءه عليه السلام

فارسل على الاعداء ريحاً باردة فى ليلة مظلمة تخاف العرب
أن تتفق اليهود مع المسلمين ويهجموا عليهم فى الليلة المدلهمة
فاجمعوا أمرهم على الرحيل قبل أن يصبح الصباح ولما سمع
عليه السلام الغوغاء فى جيش العدو قال لاصحابه لابد من حادث
فمن منكم ينظر لنا خبر القوم فسكتوا حتى كرر ذلك ثلاثاً
وكان فيهم حذيفة بن اليمان فقال له عليه السلام تسمع صوتى
منذ الليلة ولا تجيب فقال يارسول الله البرد شديد فقال اذهب
فى حاجة رسول الله واكشف لنا خبر القوم فخاطر رضى الله
عنه بنفسه فى خدمة نبيه حتى اطلع على جلية الخبر وان الاعداء
عازمون على الرحلة وقد بلغ من خوفهم ان كان رئيسهم أبو
سفيان يقول لهم ليتعرف كل منكم أخاه وليمسك بيده حذراً
من ان يدخل بينكم عدو وقد حل عقال بعيره يريد ان يبدأ
الرحيل فقال له صفوان بن أمية انك رئيس القوم فلا تتركهم هزيمة
وتمضى فنزل أبو سفيان وأذن بالرحيل وترك خالد بن الوليد الاحزاب
فى جماعة ليحموا ظهور المرتحلين حتى لا يدهموا من ورائهم
وأزاح الله عن المسلمين هذه الغمة التى تحزب فيها الاحزاب
من عرب ويهود ضد المسلمين ولولا لطف الله وعنايته بهذا

الدين منة منه وفضلاً لساءت الحال وكان جلاء الاحزاب في ذي القعدة وكان حقاً على الله ان يسميه نعمة بقوله في سورة الاحزاب (ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذجاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً اذجاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذزاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديدا)

غزوة بني قريظة

ولما رجع عليه السلام بأصحابه وأراد أن يخلع لباس الحرب أمره الله باللحوق ببني قريظة حتى يطهر أرضه من قوم لم تعد تنفع معهم العهود ولا تربطهم المواثيق ولا يأمن المسلمون جانبهم في شدة فقال لاصحابه لا يصلين أحد منكم العصر الا في بني قريظة فساروا مسرعين وتبعهم عليه السلام راكباً على حماره ولواؤه بيد علي بن أبي طالب وخليفته على المدينة عبد الله بن أم مكتوم وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف وقد أدرك جماعة من الاصحاب صلاة العصر في الطريق فصلاها بعضهم حاملين أمر الرسول بعدم صلاتها على قصد السرعة ولم يصلها الآخرون الا في بني قريظة بعد مضي وقتها حاملين

الامر على حقيقته فلم يعنف فريقاً منهم (ولما) راى بنو قريظة جيش المسلمين ألقى الله الرعب فى قلوبهم وأرادوا التنصل من فعلتهم القبيحة وهى الغدر بمن عاهدوهم وقت الانشغال بعدو آخر ولكن أنى لهم وقد ثبت للمسلمين غدرهم فلما رأوا ذلك تحصنوا بحصونهم وحاصرهم المسلمون خمساً وعشرين ليلة فلما رأوا ان لا مناص من الحرب وانهم ان استمروا على ذلك ماتوا جوعاً طلبوا من المسلمين ان ينزلوا على ما نزل عليه بنو النضير من الجلاء بالاموال وترك السلاح فلم يقبل الرسول صلى الله عليه وسلم فطلبوا ان يجلوا بأنفسهم من غير سلاح فلم يرض أيضاً بل قال لابد من النزول والرضا بما يحكم عليهم خيراً كان أوشراً فقالوا له أرسل لنا أبا لبابة نستشيره وكان أوسيا من حلفاء قريظة له بينهم أولاد وأموال فلما توجه اليهم استشاروه فى النزول على حكم الرسول فقال لهم انزلوا وأومأ بيده على حلقه يريد أن الحكم الذبح ويقول ابو لبابة لم ابارح موقفى حتى علمت انى خنت الله ورسوله فنزل من عندهم قاصداً المدينة خجلاً من مقابلة رسول الله وربط نفسه فى سارية من سوارى المسجد

حتى يقضى الله فيه أمره ولما سأل عنه عليه السلام أخبر بما
فعل فقال اما انه لوجاءنى لاستغفرت له اما وقد فعل ما فعل
فنتركه حتى يقضى الله فيه ثم ان بنى قريظة لما لم يروا بدآمن
النزول على حكم رسول الله فعلوا فأمر برجالهم فكتفوا
فجاءه رجال من الاوس وسألوه ان يعاملهم كما عامل بنى قينقاع
حلفاء اخوانهم الخزرج فقال لهم الا يرضيكم ان يحكم فيهم
رجل منكم فقالوا نعم واختاروا سيدهم سعد بن معاذ الذى
كان جريحاً من السهم الذى أصيب به فى الخندق وكان مقيماً
بخيمة فى المسجد معدة لمعالجة الجرحى فارسل عليه السلام من
يأتى به فحملوه على حماره والتف عليه جماعة من الاوس
يقولون له احسن فى مواليك الا ترى ما فعل ابن أبى
فى مواليه فقال رضى الله عنه لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى
الله لومة لائم ولما أقبل على الرسول واصحابه وهم جلوس
قال عليه السلام قوموا الى سيدكم فانزلوه ففعلوا وقالوا له ان
رسول الله قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم وقال له الرسول
احكم فيهم يا سعد فالتفت سعد للناحية التى ليس فيها رسول
الله وقال عليكم عهد الله وميثاقه ان الحكم كما حكمت فقالوا

نعم فالتفت الى الجهة التي فيها الرسول وقال وعلى من هنا كذلك وهو غاض طرفه اجلالا فقالوا نعم قال فانى أحكم أن تقتل الرجال وتسبي النساء والذرية فقال عليه السلام لقد حكمت فيهم بحكم الله يا سعد لان هذا جزاء الخائن الغادر ثم أمر بتنفيذ الحكم فنفذ عليهم وجمعت غنائمهم فكانت ألفا وخمسمائة سيف وثلثمائة درع وألفى رمح وخمسمائة ترس وجحفة ووجد أثاثاً كثيراً وآنية واجمالا نواضح وشياها فخمس ذلك كله مع النخل والسبي للراجل ثلث الفارس وأعطى النساء اللاتى كن يمرضن الجرحى ووجد فى الغنيمة جرار خمر فأريقت وبعد تمام هذا الامر انفجر جرح سعد بن معاذ فمات منه رضى الله عنه وأرضاه كان فى الانصار كأبي بكر فى المهاجرين وقد كان له العزم الثابت فى جميع المشاهد التي تقدمت الخندق وكان عليه السلام يحبه كثيراً وبشره بالجنة على عظيم اعماله (وعقب) رجوع المسلمين الى المدينة تاب الله على أبى لبابة بقوله (والذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) وقد عاهد الله أن يهجر ديار قريظة التي حصلت له فيها

هذه الزلة وبتمام هذه الغزوة أراح المسلمين من شر مجاورة اليهود الذين عودوهم الغدر والخيانة ولم تبق الا بقية من كبارهم بخيبر مع اهلها وهم الذين كانوا السبب فى اثارة الاحزاب وسيأتى للقارئ قريباً اليوم الذى يعاقبون فيه

حوادث زواج زينب

وفى هذا العام تزوج عليه السلام زينب بنت جحش وأمها أميمة عمته بعد أن طلقها مولاه زيد بن حارثة وكان من أمر زواجها لزيد أن الرسول خطبها له فتأفف أهلها من ذلك لمكانها فى الشرف العظيم فهى من قريش الذين يكرهون تزويج بناتهم من غيرهم يعتقدون أن لا كفء من سواهم لبناتهم وزيد وان كان الرسول تبناه ولكن هذا لا يلحقه بالاشراف فلما نزل قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً) لم يروا بدا من القبول فلما دخل عليها زيد رأته من كبريائها وعظمتها مالم يحتمله فاشتكاها لرسول الله فامره باحتمالها والصبر عليها الى أن ضاقت نفسه فاخبره بالعزم على طلاقها وكرر ذلك ولما كانت العشرة بين مثل هذين الزوجين ضرب من العبث أمر الله نبيه أن

يتزوج زينب بعد طلاقها حسماً لهذا الشقاق من جهة وحفظاً لشرفها أن يضيع بعد زواجها بمولى من جهة أخرى ولكن رسول الله خشى من لوم اليهود والعرب عليه فى زواجه بزوج ابنه فقال لزيد أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى فى نفسه ما أبداه الله فبت الله حكمه بابطال هذه القاعدة وهى تحريم زوج المتبنى على المتبنى بقوله (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً) ثم ان الله حرم التبنى على المسلمين لما فيه من الاضرار وأنزل فيه (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليماً) ومن هذا الحين صار اسم زيد (زيد بن حارثة) بدل (زيد بن محمد) وأبدل بذلك أن ذكر اسمه فى قرآن يتلى على مر الدهور والاعوام ويقول جهال المؤرخين وذوو المقاصد السافلة منهم فى هذه القصة أقوالاً لا تجوز الا على من ضاع رشده ولم يفقه حقيقة مايقول فانهم يذكرون أن الرسول توجه يوماً لزيارة زيد فرأى زوجته بالصدفة لان الريح رفعت الستر عنها فوقعت فى قلبه فقال

سبحان الله فلما جاء زوجها ذكرت له ذلك فرأى من الواجب
عليه فراقها فتوجه وأخبر الرسول بعزمه فنهاه عن ذلك الخ
وهذا مما يكذبه أن نساء العرب لم تكن تعرف ستر الوجوه
وزينب هي بنت عمته وأسلمت قديماً ورسول الله بمكة فكيف
لم يرها وقد مضى على اسلامها نحو عشر سنوات وهي بنت
عمته الا حينما رفعت الريح الستر بالصدفة ورسول الله هو
الذي زوجها زيداً فلو كان له فيها رغبة حب أو عشق لتزوجها
هو ولا مانع يمنعه من ذلك ومن منا يتصور ان السيد الاكرم
يقول لقومه انه مرسل من ربه ويتلو عليهم صباح مساء أمر
الله له بقوله في سورة الحجر المكية (ولا تمدن عينيك الى
ما متعنا به أزواجاً منهم) وفي سورة طه المكية أيضاً (ولا
تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا)
ثم هو بعد ذلك يدخل بيت رجل من متبعيه وينظر الى زوجته
بالصدفة ثم يشتهي زواجها ان هذا لامر عظيم تشمئز بذلك
صدورنا ولو حدث أمر مثله من أقل الناس لعيب عليه فكيف
بمن أجمعت كلمة المؤرخين على أنه أحسن الناس خلقاً وأبعدهم
عن الدنايا وأشدهم ذكاء وفراسة حتى مدحه الله بقوله (وانك

لعلى خلق عظيم) لا شك أن هذه الخرافة مما يلتحق بخرافة الغرانيق وضعها أعداء الدين ليصلوا بها الى أغراضهم والحمد لله قد ناقضت النقل والعقل فلم تبق شبهة فى أن الحقيقة ما نقلناه لك أولا وهو الذى يستفاد من القرآن الشريف (واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا)

(وفيه) نزلت آية الحجاب وهو خاص بنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر بن الخطاب قبل نزول آيته يحبه ويذكره كثيراً ويود أن ينزل فيه قرآن وكان يقول لو أطاع فيكن ما رأتكن عين فنزل (واذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) فقال بعضهم أننهى أن نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن عائشة فنزل (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم كان عند الله

عظيماً) أما غير أزواجه عليه السلام من المؤمنات فأمرن بغض الابصار وحفظ الفروج كما أمر بذلك الرجال وأمرن أن لا يبدين زينتهن للاجانب الا ماظهر منها كالخاتم فى الاصبع والخضاب فى اليد والكحل فى العين اما ما خفى منها فلا يحل ابداؤه كالسوار للذراع والدملج للعضد والخلخال للرجل والقلادة للعنق والاكليل للرأس والوشاح للصدر والقرط للاذن والمراد بالزينة الظاهرة والخفية مواضعها وأمرن أيضاً بأن يضربن بخمرهن على الجيوب كيلا تبقى صدورهن مكشوفة فان النساء اذ ذاك كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن ونهين عن أن يضربن بأرجلهن ليعلم أنهن ذوات خلخال واذا كان النهى عن اظهار صوت الحلى بعد ما نهين عن اظهار الحلى علم بذلك أن النهى عن اظهار مواضع الحلى أبلغ وأبلغ (وكان) النساء فى أول الاسلام كما كن فى الجاهلية متبذلات تبرز المرأة فى درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان وأهل الشطارة يتعرضون للاماء اذا خرجن بالليل الى مقاضى حوائجهن فى النخيل والغيطان وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون

حسبناها أمـة فامرن أن يخالفن بزيهن عن زى الاماء بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ليغطى الوجه والأعطاف ليحتشمن ويهـبن فلا يطمع فيهن طامع (أما) حجب المرأة عمن يريد خطبتها فهو أمر لم يكن يفعل فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا فى عهد السلف الصالح فان الشارع الحكيم سن ذلك ليكون الرجل على علم مما يقدم عليه حتى يتم الوفاق والوئام بين الزوجين وهـذا أمر أجمع عليه أئمة الدين قال حجة الاسلام الغزالى فى الاحياء(وقد ندب الشرع الى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر فقال اذا أوقع الله فى نفس أحدكم من امرأة فلينظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينهما أى يؤلف بينهما من وقوع الأدمة على الأدمة وهى الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة وانما ذكر ذلك للمبالغة فى الائتلاف وقال عليه السلام ان فى أعين الانصار شيئاً فاذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر اليهن قيل كان فى أعينهن عمش وقيل صغر وكان بعض الصالحين لا ينكحون كرائمهم الا بعد النظر احترازاً من الغرور وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم) ولا يبعد أن يكون فساد الزمن

والابتعاد عن التربية الدينية التي تسوق الى مكارم الاخلاق قد حسنا عند عامة المسلمين فى العصور الأولى حجب المرأة مطلقاً حسماً للمفاسد ودرءا للفتنة

فرض الحج

(وفى هذا العام) على ما عليه الأكثرون فرض الله على الأمة الاسلامية حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ليجتمع المسلمون من جميع الاقطار فيتوجهون الى الله ويبتهلون اليه أن يؤيدهم بنصره ويعينهم على اتباع دينه القويم وفى ذلك من تقوية الرابطة واتحاد القلوب ما فيه للمسلمين الفائدة العظمى

السنة السادسة سرية

ولعشر خلون من محرم السنة السادسة أرسل عليه السلام محمد بن مسلمة فى ثلاثين راكباً لشن الغارة على بنى بكر بن كلاب الذين كانوا نازلين بناحية ضرية على بعد سبع ليال من المدينة فى طريق البصرة فسار اليهم يكمن النهار ويسير الليل حتى دهمهم فقتل منهم عشرة وهرب باقيهم فاستاقت السرية النعم والشياه وعادوا راجعين الى المدينة وقد التقوا وهم عائدون بثمامة بن أثال الحنفى سيد بنى حنيفة فاسروه وهم لا يعرفونه فلما أتو به رسول الله عرفه وعامله

بمنتهى مكارم الاخلاق فانه أطلق أساره بعد ثلاث أبى فيها
الانقياد للاسلام بعد أن عرض عليه ولما رأى ثمامة هذه المعاملة
وهذه المكارم رأى من العبث أن يتبع هواه ويترك دينا
عماده المحامد فرجع الى رسول الله وأسلم غير مكره وخاطب
الرسول بقوله يا محمد والله ما كان على الارض من وجه أبغض
الىّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها الىّ والله
ما كان على الارض من دين أبغض الىّ من دينك فقد أصبح
أحب الدين كله الىّ والله ما كان من بلد أبغض الىّ من
بلدك فقد أصبح أحب البلاد الىّ فسر عليه السلام كثيراً باسلامه
لان من ورائه قوماً يطيعونه ولما رجع ثمامة الى بلاده مر
بمكة معتمراً وأظهر فيها اسلامه فأرادت قريش ايذاءه فذكروا
احتياجهم لحبوب اليمامة التى منها ثمامة فتركوه ومع ذلك
فقد حلف هو ان لا يرسل اليهم من اليمامة حبوباً حتى يؤمنوا
فجهدوا جداً ولم يروا بدا من الاستغاثة برسول الله فعاملهم
عليه السلام بما جبل عليه من الشفقة والمرحمة وأرسل لثمامة
ان يعيد عليهم ما كان يأتيهم من أقوات اليمامة ففعل وقد كان
لهذا الرجل الكريم الأصل قدم راسخ فى الاسلام عقب وفاة

الرسول حينما ارتد أكثر أهل بلاده فكان ينهى قومه عن اتباع مسيلمة ويقول لهم اياكم وأمراً مظلماً لا نور فيه وانه اشقاء كتبه الله على من اتبعه فثبت معه كثير من قومه رضى الله عنه

غزوة بنى لحيان

بنو لحيان هم الذين قتلوا عاصم بن ثابت واخوانه ولم يزل رسول الله حزيناً عليهم متشوقاً للقصاص من عدوهم حتى ربيع الاول من هذه السنة فأمر أصحابه بالتجهز ولم يظهر لهم مقصده كما هى عادته عليه السلام فى غالب الغزوات لتعمى الاخبار عن الأعداء وولى على المدينة ابن أم مكتوم وسار فى مائتى راكب معهم عشرون فرسا ولم يزل سائراً حتى مقتل أصحاب الرجيع فترحم عليهم ودعا لهم ولما سمع به بنو لحيان تفرقوا فى الجبال فأقام عليه السلام بديارهم يومين يبعث السرايا فلا يجدون أحداً ثم أرسل بعضاً من أصحابه ليأتوا عسفان حتى يعلم بهم أهل مكة فيداخلهم الرعب فذهبوا الى كراع الغميم وهو جبل جنوب عسفان بثمانية أميال ثم رجع عليه السلام الى المدينة وهو يقول (آيبون تائبون لربنا حامدون أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الاهل والمال)

غزوة الغابة

كان للنبي عليه السلام عشرون لقحة ترعى بالغابة وهى موضع على بريد من المدينة جهة غطفان فأغار عليها عيينة بن حصن فى أربعين راكباً واستلبها من راعيها فجاءت الاخبار رسول الله عليه الصلاة والسلام والذى بلغه هو سلمة بن الأكوع أحد رماة الانصار وكان عدّاء فأمره الرسول بأن يخرج فى آثر القوم ليشغلهم بالنبل حتى يدركهم المسلمون فخرج يشتد فى أثرهم حتى لحقهم وجعل يرميهم بالنبل فاذا وجهت الخيل نحوه رجع هارباً فلا يلحق فاذا دخلت الخيل بعض المضايق علا الجبل فرمى عليهم الحجارة حتى ألقوا كثيراً مما بأيديهم من الرماح والأبراد ليخففوا عن أنفسهم حتى لا يلحقهم الجيش ولم يزل سلمة على ذلك حتى تلاحق به الجيش فان الرسول دعا أصحابه فأجابوه وأول من انتهى اليه المقداد بن الاسود فقال له اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك وأعطاه اللواء فخرج وتبعته الفرسان حتى أدركوا أواخر العدو فحصلت بينهم مناوشات قتل فيها مسلم ومشركان واستنقذ المسلمون غالب اللقاح وهرب أوائل القوم بالبقية وطلب سلمة بن الأكوع من رسول الله أن يرسله مع جماعة

فى أثر القوم ليأخذهم على غرة وهم نازلون على أحد مياههم فقال له عليه السلام (ملكت فأسجح) ثم رجع بعد خمس ليال

سرية كان بنو أسد الذين مر ذكرهم كثيراً يؤذون من يمر بهم من المسلمين فأرسل لهم عليه السلام عكاشة بن محصن فى أربعين راكباً ليغير عليهم ولما قارب بلادهم علموا به فهربوا وهناك وجدوا رجلا نائماً فأمنوه ليدلهم على نعم القوم فدلهم عليها فاستاقوها وكانت مائة بعير ثم قدموا المدينة ولم يلقوا كيداً

سرية وفى ربيع الاول بلغه عليه السلام ان من بذى القصة (موضع على أربعة وعشرين ميلاً من المدينة فى طريق الربذه) يريدون الاغارة على نعم المسلمين التى ترعى بالهيفاء فأرسل لهم محمد بن مسلمة فى عشرة من المسلمين فبلغ ديارهم ليلا وقد كمن لهم المشركون حينما علموا بهم فنام المسلمون ولم يشعروا الا والنبل قد خالطهم فتواثبوا الى أسلحتهم ولكن تغلب عليهم الأعداء فقتلوهم غير محمد بن مسلمة تركوه لظنهم انه قتل فعاد الى المدينة وأخبر الرسول عليه السلام فارسل أبا عبيدة عامر بن الجراح فى ربيع الآخر ليقتص من الأعداء فلما

وصل ديارهم وجدهم تشتتوا هاربين فاستاق نعمهم ورجع

سرية
بنو سليم الذين كانوا من المتحزبين في غزوة الخندق عاكسوا المسلمين في سيرهم فأرسل عليه السلام زيد بن حارثة في ربيع الآخر ليغير عليهم في الجموم وهو ناحية من بطن نخل فلما بلغوا ديارهم وجدوهم تفرقوا ووجدوا هنالك امرأة من مزينة دلتهم على منازل بني سليم فاصابوا بها نعما وشاء ووجدوا رجالا أسروهم وفيهم زوج تلك المرأة فرجعوا بذلك الى المدينة فوهب الرسول لهذه المرأة نفسها وزوجها

سرية
بلغ الرسول أن عيرا لقريش أقبلت من الشام تريد مكة فأرسل لها زيد بن حارثة في مائة وسبعين راكباً ليعترضها فأخذها وما فيها وأسر من معها من الرجال وفيهم أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله وكان من رجال مكة المعدودين تجارة ومالاً وأمانة فاستجار بزوجته زينب فأجارته ونادت بذلك في مجمع قريش فقال عليه السلام (المسلمون يد واحدة يجير عليهم أدناهم وقد أجرنا من أجرت) وهذا أبلغ ما قيل في المساواة بين أفراد المسلمين ورد عليه الرسول ماله بأسره لا يفقد منه شيئاً فذهب الى مكة فأدى لكل ذى حق حقه

ورجع الى المدينة مسلما فرد عليه رسول الله زوجته

سرية وفى جمادى الآخرة أرسل عليه السلام زيد بن حارثة في خمسة عشر رجلاً للاغارة على بنى ثعلبة الذين قتلوا أصحاب محمد بن مسلمة وهم مقيمون بالطرف وهو ماء على ستة وثلاثين ميلا من المدينة فى طريق العراق فتوجهت السرية لذلك ولما رآهم الاعداء ظنوهم طليعة لجيش رسول الله فهربوا وتركوا نعمهم وشاءهم فاستاقها المسلمون ورجعوا الى المدينة بعد أربع ليال

سرية وفى رجب أرسل عليه السلام زيد بن حارثة ليغير على بنى فزارة لانهم تعرضوا لزيد وهو راجع بتجارة الى الشام فسلبوا ما معه وكادوا يقتلونه فلما جاء المدينة واخبر الرسول الخبر أرسله مع رجاله للقصاص من فزارة المقيمين فى وادى القرى فساروا حتى دهموا العدو وأحاطوا بهم وقتلوا منهم جمعاً كثيراً وأخذوا امرأة من كبارهم أسيرة فاستوهبها عليه السلام ممن أسرها وفدى بها أسيراً كان بمكة

سرية وفى شعبان أرسل عليه السلام عبد الرحمن بن عوف مع سبعمائة من الصحابة لغزو بنى كلب فى دومة الجندل وهى حصن

وقرى بينها وبين دمشق خمس ليال وبين المدينة خمس عشرة ليلة وقد وصاهم عليه السلام قبل السفر بقوله (اغزوا جميعاً في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم) ثم أعطاه اللواء فساروا على بركة الله حتى حلوا بديار العدو فدعوهم الى الاسلام ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع أسلم رئيس القوم الاصبغ بن عمرو النصراني وأسلم معه جمع من قومه وبقي آخرون راضين باعطاء الجزية فتزوج عبد الرحمن بنت رئيسهم كما أمره بذلك عليه السلام وهذه أقرب طريق لتمكين صلات الود بين الامراء بحيث يهم كلاً مايهم الآخر فنعماهي سياسة السلم والمحبة

سرية — وفي شعبان أرسل عليه السلام علي بن أبي طالب في مائة رجل لغزو بني سعد بن بكر بفدك وهي قرية بينها وبين المدينة ست ليال من جهة خيبر لانه بلغه انهم يجمعون الجيوش لمساعدة يهود خيبر على حرب المسلمين مقابل تمر يعطونه من تمر خيبر فسارت السرية وبينما هم سائرون التقوا بجاسوس العدو أرسلوه الى خيبر ليعقد المعاهدة مع يهودها فطلبوا منه أن يدلهم على القوم وهو آمن فدلهم على موضعهم فاستاق منه

المسلمون تم القوم وهرب الرعاء فحذروا اقوامهم فداخلهم الرعب وتفرقوا فرجع المسلمون ومعهم خمسمائة بعير والفا شاة ورد الله كيد المشركين فلم يمدوا اليهود بشئ

قتل أبي رافع

وكان المحرك لأهل خيبر على حرب المسلمين هو سيدهم أبو رافع سلام بن أبي الحقيق الملقب بتاجر أهل الحجاز لما كان له من المهارة فى التجارة وكان ذا ثروة طائلة يقلب بها قلوب اليهود كما يريد فانتدب له عليه السلام من يقتله فأجاب لذلك خمسة رجال من الخزرج رئيسهم عبد الله بن عتيك ليكون لهم مثل أجر اخوانهم من الاوس الذين قتلوا كعب بن الاشرف فان من نعم الله على رسوله أن كان الأوس والخزرج يتفاخرون بما يفعلونه من تنفيذ رغبات رسول الله فلا تفعل الأوس عملاً الا اجتهد الخزرج فى مثله فأمرهم الرسول بذلك بعد أن وصاهم أن لا يقتلوا وليدا ولا امرأة فساروا حتى أتوا خيبر فقال عبد الله لاصحابه مكانكم فانى منطلق للبواب ومتلطف له لعلى أدخل فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوب كأنه يقضى حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب أدخل ياعبد الله ان كنت تريد الدخول فانى أريد ان أغلق الباب فدخل

وكمن حتى نام البواب فأخذ المفاتيح وفتح ليسهل له الهرب ثم
توجه الى بيت أبى رافع وصار يفتح الأبواب التى توصل اليه
وكلما فتح باباً أغلقه من داخل حتى انتهى اليه فاذا هو فى بيت
مظلم وسط عياله فلم يمكنه تمييزه فنادى ياأبا رافع قال من
فأهوى بالسيف نحو الصوت فلم يغن شيئاً وعند ذلك قالت
امرأته هذا صوت ابن أبى عتيك فقال لها ثكلتك أمك
وأين ابن أبى عتيك الآن فعاد عبدالله للنداء مغيراً صوته قائلا
ماهذا الصوت الذى نسمعه ياأبا رافع قال لأمك الويل ان
رجلاً فى البيت ضربنى بالسيف فعمد اليه فضربه
أخرى لم تغن شيئاً فتوارى ثم جاءه كالمغيث وغير صوته
فوجده مستلقيا على ظهره فوضع السيف فى بطنه وتحامل
عليه حتى سمع صوت العظام ثم خرج من البيت وكان نظره
ضعيفاً فوقع من فوق السلم فانكسرت رجله فعصبها بعمامته
ثم انطلق الى أصحابه وقال النجاة قتل والله أبو رافع فانتهوا الى
الرسول فحدثوه ثم قال لعبدالله ابسط رجلك فمسحها عليه السلام
فكانها لم يشتكها قط وعادت أحسن ما كانت فانظر رعاك
الله الى ما كان عليه المسلمون من استسهال المصاعب ما دامت

فى ارضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضى الله عنهم وأرضاهم

سرية

(ولما) قتل كعب ولى اليهود مكانه أسير بن رزام فارسل عليه السلام من يستعلم له خبره فجاءته الاخبار بأنه قال لقومه سأصنع بمحمد مالم يصنعه أحد قبلى أسير الى غطفان فاجمعهم لحربه وسعى فى ذلك فأرسل له عليه السلام عبدالله بن رواحة الخزرجى فى ثلاثين من الأنصار لاستمالته فخرجوا حتى قدموا خيبر وقالوا لأسير نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئناله قال نعم ولى مثل ذلك فأجابوه ثم عرضوا عليه أن يقدم على رسول الله ويترك ماعزم عليه من الحرب فيوليه الرسول على خيبر فيعيش أهلها بسلام فأجاب الى ذلك وخرج فى ثلاثين يهودياً كل يهودى رديف لمسلم وبيناهم فى الطريق ندم أسير على مجيئه وأراد التخلص مما فعل بالغدر بمن آمنوه فاهوى بيده الى سيف عبد الله بن رواحة فقال له أغدراً ياعدو الله ثم نزل وضربه بالسيف فاطاح عامة فخذه ولم يلبث أن هلك فقام المسلمون على من معه من اليهود فقتلوهم عن آخرهم وهذا عاقبة الغدر

قصة عكل وعرينة

قدم على رسول الله فى شوال جماعة من عُكل وعُرَينة

فأظهروا الاسلام وبايعوا رسول الله وكانوا سقاماً مصفرة ألوانهم عظيمة بطونهم فلم يوافقهم هواء المدينة فأمر لهم عليه السلام بذود من الابل معها راع وأمرهم باللحوق بها فى مرعاها ليشربوا من ألبانها وأبوالها ففعلوا ولما تم شفاؤهم جازوا الاحسان كفراً فقتلوا الراعى ومثلوا به واستاقوا الابل فلما بلغ ذلك رسول الله أرسل وراءهم كرز بن جابر الفهرى فى عشرين فارساً فلحقوا بهم وقبضوا على جميعهم ولما جىء بهم المدينة أمر عليه السلام بأن يمثل بهم كما مثلوا بالراعى فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم وألقوا بالحرة حتى ماتوا فهكذا يكون جزاء الخائن الذى لا ينتظر منه صلاح وعمل هؤلاء الشريرين مما يدل على فساد الأصل ولؤم العشيرة

جلس أبو سفيان بن حرب يوماً فى نادى قومه فقال ألا رجل يذهب لمحمد فيقتله غدراً فانه يمشى بالاسواق لنستريح منه فتقدم له رجل وتعهد بما أراد فأعطاه راحلة ونفقة وجهزه لذلك فخرج الرجل حتى وصل الى المدينة صبح سادسة من خروجه فسأل عن رسول الله فدل عليه وهو بمسجد بنى عبد الاشهل فلما رآه عليه السلام قال ان هذا سرية

الرجل ليريد غدراً وان الله مانعى منه فذهب لينحنى على الرسول فجذبه أسيد بن حضير من ازاره وهنالك سقط الخنجر فندم الرجل على فعلته ثم سأله عليه السلام عن سبب عمله فأصدقه بعد ان توثق من حفظ دمه فخلى عليه السلام سبيله فقال الرجل والله يا محمد ما كنت أخاف الرجال فما هو الا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت نفسى ثم انك اطلعت على ما هممت به مما لم يعلمه أحد فعرفت انك ممنوع وانك على حق وان حزب أبي سفيان حزب الشيطان ثم أسلم وعند ذلك أرسل عليه السلام عمرو بن أمية الضمرى وكان رجلا جريًا فاتكاً فى الجاهلية وأصحبه برفيق ليقتلا أبا سفيان غيلة جزاء اعتدائه فلما قدما مكة توجها ليطوفا بالبيت قبل أن يؤديا ما أرسلا له فعرف عمراً أحد رجال مكة فقال هذا عمرو بن أمية ما جاء الا بشر فلما رآهم علموا به لم يجد مناصا من الهرب فاصطحب معه رفيقه ورجعا الى المدينة وكأن الله سبحانه أراد ان يعيش أبو سفيان حتى يسلم بيده مفاتيح مكة للمسلمين ويعتنق الدين الحنيف القويم

غزوة الحديبية

رأى عليه السلام فى نومه أنه دخل هو وأصحابه المسجد

الحرام آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين فأخبر المسلمين أنه
يريد العمرة واستنفر الأعراب الذين حول المدينة ليكونوا معه
حذراً من أن تردهم قريش عن عمرتهم ولكن هؤلاء الأعراب
أبطؤا عليه لأنهم ظنوا أن لا ينقلب الرسول والمؤمنون الى
أهليهم أبداً وتخلصوا بأن قالوا شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر
لنا فخرج عليه السلام بمن معه من المهاجرين والأنصار تبلغ
عدتهم ألفا وخمسمائة وولى على المدينة ابن أم مكتوم وأخرج
معه زوجته أم سلمة وأخرج الهدى ليعلم الناس انه لم يأت محاربا
ولم يكن مع أصحابه شئ من السلاح الا السيوف في القرب لأن
الرسول لم يرض ان يحملوا السيوف وهم معتمرون ثم سار
الجيش حتى وصل عسفان فجاءه عينه يخبره أن قريشا أجمعت
رأيها أن يصدوا المسلمين عن مكة ولا يدخلها عليهم عنوة أبدا
وتجهزوا للحرب وأعدوا خالد بن الوليد في مائتي فارس طليعة
لهم ليصدوا المسلمين من التقدم فقال عليه السلام هل من
رجل يأخذ بنا على غير طريقهم فقال رجل من أسلم أنا يا رسول
الله فسار بهم في طريق وعرة ثم خرج بهم الى ممتد سهل
[illegible] فلما رأى خالد ما فعل المسلمون رجع الى

قريش وأخبرهم الخبر ولما كان عليه السلام بثنية المرار بركت ناقته فزجروها فلم تقم فقالوا خلأت القصواء فقال عليه السلام ماخلأت وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل والذى نفس محمد بيده لاتدعونى قريش لخصلة فيها تعظيم حرمات الله الا أجبتهم اليها مع أن المسلمين لو قاتلوا أعداءهم فى مثل هذا الوقت لظفروا بهم ولكن كف الله أيدى المسلمين عن قريش وكف أيدى قريش عن المسلمين كيلا تنتهك حرمات البيت الذى أراد الله ان يكون حرماً آمناً يوطد فيه المسلمون من جميع الاقطار دعائم اخوتهم فيه ثم أمرهم عليه السلام بالنزول فى أقصى الحديبية وهناك جاءه بديل بن ورقاء الخزاعى رسولا من قريش يسأل عن سبب مجئ المسلمين فأخبره عليه السلام بمقصده فلما رجع بديل الى قريش وأخبرهم ذلك لم يثقوا به لأنه من خزاعة الموالية لرسول الله كما كانت كذلك لأجداده وقالوا أيريد محمد أن يدخل علينا فى جنوده معتمراً تسمع العرب انه قد دخل علينا عنوة وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا والله لا كان هذا أبداً ومنا عين تطرف ثم أرسلوا الحليس بن علقمة سيد الأحابيش وهم حلفاء قريش فلما رآه

عليه السلام قال هذا من قوم يعظمون الهدى ابعثوه فى وجهه حتى يراه ففعلوا واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك الحليس رجع وقال سبحان الله ماينبغى لهؤلاء ان يصدوا أتحج لخم وجذام وحمير ويمنع عن البيت ابن عبد المطلب هلكت قريش ورب البيت ان القوم أتوا معتمرين فلما سمعت قريش منه ذلك قالوا له اجلس انما أنت أعرابى لاعلم لك بالمكايد ثم أرسلوا عروة بن مسعود الثقفى سيد أهل الطائف فتوجه الى رسول الله وقال يامحمد قد جمعت أوباش الناس ثم جئت بهم الى أصلك وعشيرتك لتفضها بهم انها قريش قد خرجت تعاهد الله ان لاتدخلها عليهم عنوة أبداً وايم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك فنال منه أبو بكر وقال أنحن ننكشف عنه ويحك وكان عروة يتكلم وهو يمس لحية رسول الله فكان المغيرة بن شعبة يقرع يده اذا أراد ذلك ثم رجع عروة وقد رأى مايصنع بالرسول أصحابه لايتوضأ وضوءاً الا كادوا يقتتلون على فضل وضوئه ولا يبصق بصاقاً الا كادوا يقتتلون عليه يتمسحون به واذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ولا يحدون النظر اليه فقال والله يامعشر قريش جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى

عظمته فما رأيت ملكاً فى قومه مثل محمد فى أصحابه ولقد
رأيت قوماً لا يسلمونه لشئ أبداً فانظروا رأيكم فانه عرض
عليكم رشداً فاقبلوا ماعرض عليكم فانى لكم ناصح مع أنى
أخاف أن لا تنصروا عليه فقالت قريش لا تتكلم بهذا ولكن
نرده عامنا ويرجع الى قابل ثم ان الرسول اختار عثمان بن
عفان رسولاً من عنده الى قريش حتى يعلمهم مقصده
فتوجه وتوجه معه عشرة استأذنوا الرسول فى زيارة أقاربهم
وكلف عليه السلام عثمان أن يأتى المستضعفين من المؤمنين
بمكة فيبشرهم بقرب الفتح وان الله مظهر دينه فدخل عثمان
مكة فى جوار أبان بن سعيد الاموى ثم بلغ ما حل فقالوا ان
محمداً لا يدخلها علينا عنوة أبداً ثم طلبوا منه أن يطوف بالبيت فقال
لا أطوف ورسول الله ممنوع ثم انهم حبسوه فشاع عند
المسلمين أن عثمان قتل فقال عليه السلام حينما سمع ذلك
بيعة الرضوان لا نبرح حتى نناجزهم الحرب ودعا الناس للبيعة على القتال
فبايعوه تحت شجرة هنالك (سميت بعد بشجرة الرضوان) على
الموت فشاع أمر هذه البيعة فى قريش فداخلهم منها رعب
عظيم وكانوا قد أرسلوا خمسين رجلاً عليهم مكرز بن

حفص ليطوفوا بعسكر المسلمين علهم يصيبوا منهم غرة فأسرهم حارس الجيش محمد بن مسلمة وهرب رئيسهم ولما علمت بذلك قريش جاء جمع منهم وابتدؤا يناوشون المسلمين حتى أسر منهم اثنا عشر رجلا وقتل من المسلمين واحد وعند ذلك خافت قريش وأرسلت سهيل بن عمرو للمكالمة فى الصلح فلما جاء قال يا محمد ان الذى حصل ليس من رأى عقلائنا بل شئ قام به السفهاء منا فابعث الينا بمن أسرت فقال حتى ترسلوا من عندكم وعندئذ أرسلوا عثمان والعشرة الذين معه ثم عرض سهيل الشروط التى تريدها قريش وهى (١) وضع الحرب بين المسلمين وقريش أربع سنوات (٢) من جاء المسلمين من قريش يردونه ومن جاء قريشاً من المسلمين لا يلزمون رده (٣) أن يرجع النبى من غير عمرة هذا العام ثم يأتى العام المقبل فيدخلها بأصحابه بعد أن تخرج منها قريش فيقيم بها ثلاثة أيام ليس مع اصحابه من السلاح الا السيف فى القراب والقوس (٤) من أراد أن يدخل فى عهد محمد من غير قريش دخل فيه ومن أراد أن يدخل فى عهد قريش دخل فيه فقبل عليه السلام كل هذه الشروط أما

صلح الحديبية

المسلمون فداخلهم منها أمر عظيم وقالوا سبحان الله كيف نرد اليهم من جاءنا مسلماً ولا يردون من جاءهم مرتداً فقال عليه السلام انه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً أما الأمر الثالث وهو صد المسلمين عن الطواف بالبيت فكان أشد تأثيراً على قلوبهم لان الرسول أخبرهم انه رأى فى منامه انهم دخلوا البيت آمنين وقد سأل عمر أبا بكر فى ذلك فقال رضى الله عنه وهل ذكر انه فى هذا العام ثم كتبت شروط الصلح بين الطرفين وكان الكاتب على بن أبى طالب فأملاه عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اكتب باسمك اللهم فأمره الرسول بذلك ثم قال هـذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو نعلم أنك رسول الله ما خالفناك اكتب محمد بن عبد الله فأمر عليه السلام علياً بمحو ذلك وكتابة محمد بن عبد الله فامتنع فمحاها النبي بيده وكتبت نسختان نسخة لقريش ونسخة للمسلمين وبعد كتابة الشروط جاءهم أبو جندل بن سهيل يحجل فى قيوده وكان من المسلمين الممنوعين من الهجرة فهرب للمسلمين هذه المرة ليحموه فقال له عليه السلام اصبر واحتسب فان الله

جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بين القوم صلحاً وأعطيناهم وأعطونا على ذلك عهداً فلا نغدر بهم هذا وقد دخلت قبيلة خزاعة فى عهد رسول الله ودخل بنو بكر فى عهد قريش

ولما انتهى الأمر أمر عليه السلام أصحابه أن يحلقوا رءوسهم وينحروا الهدى ليتحللوا من عمرتهم فاحتمل المسلمون من ذلك هماً عظيماً حتى انهم لم يبادروا بالامتثال فدخل عليه السلام على أم المؤمنين أم سلمة وقال لها هلك المسلمون أمرتهم فلم يمتثلوا فقالت يا رسول الله اعذرهم فقد حملت نفسك أمراً عظيماً فى الصلح ورجع المسلمون من غير فتح فهم لذلك مكروبون ولكن اخرج يارسول الله وابدأهم بما تريد فاذا رأوك فعلت تبعوك فقام عليه السلام الى هديه فنحرها ودعا بالحلاق فحلق رأسه فلما رآه المسلمون توائبوا الى الهدى فنحروه وحلقوا ثم رجع المسلمون الى المدينة وقد أمن كل فريق الآخر ولما قر قرارهم جاءتهم مهاجرة أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط أخت عثمان لامه فطلبها المشركون فقالت يا رسول الله انى امرأة وان أرجعت اليهم فتنونى فى دينى فانزل الله (ياأيها

الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) فكانت المرأة المهاجرة تستحلف أنها ما خرجت رغبة بأرض عن أرض ولا من بغض زوج ولا لالتماس دنيا ولا لرجل من المسلمين وما خرجت الا حبا لله ولرسوله ومتى حلفت لا ترد بل يعطى لزوجها المشرك ما أنفقه عليها ويجوز للمسلم تزوجها وفى الآية تحريم امساك الزوجة الكافرة بل ترد الى أهلها بعد أن يعطوا ما أنفق عليها (وقد) تمكن أبو بصير رضى الله عنه من الفرار الى رسول الله فأرسلت قريش فى أثره رجلين يطلبان تسليمه فأمره عليه السلام بالرجوع معهما فقال يارسول الله أتردنى الى الكفار يفتنونى فى دينى بعد أن خلصنى الله منهم فقال ان الله جاعل لك ولاخوانك فرجا فلم يجد بدا من اتباعه فرجع مع صاحبيه ولما قارب ذا الحليفة عدا على أحدهما فقتله وهرب منه الآخر فرجع الى المدينة وقال يارسول

الله وفت ذمتك أما أنا فنجوت فقال له اذهب حيث شئت ولا
تقم بالمدينة فذهب الى محل بطريق الشام تمر به تجارة قريش
فأقام به واجتمع معه جمع ممن كانوا مسلمين بمكة ونجوا وسار
اليه أبو جندل بن سهيل واجتمع اليه جمع من الأعراب وقطعوا
الطريق على تجارة قريش حتى قطعوا عنهم الامداد فأرسل
رجال قريش لرسول الله يستغيثون به فى ابطال هـذا الشرط
ويعطونه الحق فى امساك من جاءه مسلماً فقبل منهم ذلك وازاح
الله عن المسلمين هذه الغمة التى لم يتمكنوا من تحملها فى الحديبية
حينما امرهم عليه السلام برد أبى جندل وعلموا ان رأى رسول
الله أفضل وأحسن من رأيهم حيث كان فيه أمن تسبب عنه
اختلاط الكفار بالمسلمين فخالطت بشاشة الاسلام قلوبهم حتى
قال أبو بكر رضى الله عنه ما كان فتح فى الاسلام أعظم من
فتح الحديبية ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه
والعباد يعجلون والله لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما
أراد وفى رجوعه عليه السلام من الحديبية نزلت عليه سورة
الفتح وقال سبحانه فى أولها (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً) وفى تسمية
هذه الغزوة بالفتح المبين تصديق لما قدمناه لك عن الصديق

مكاتبة الملوك وبعد رجوع المسلمين من الحديبية فى أواخر سنة ست وأمن الطرق من قريش راسل عليه السلام ملوك الارض يدعوهم الى الاسلام واتخذ اذ ذاك خاتماً من فضة يختم به خطاباته وكان نقشه (محمد رسول الله) فوجه دحية الكلبي

كتاب قيصر بكتاب الى قيصر ملك الروم وأمره ان يدفعه الى عظيم بصرى ليوصله الى الملك وكان فى الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الأريسيين وياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) ولما وصل هذا الكتاب

حديث أبى سفيان قيصر قال انظروا لنا من قومه أحداً نسأله عنه وكان أبو سفيان ابن حرب بالشام مع رجال من قريش فى تجارة فجاءت رسل قيصر لأبى سفيان ودعوه لمقابلة الملك فأجاب ولما قدموا عليه فى القدس قال لترجمانه سلهم أيهم أقرب نسباً بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبي فقال أبو سفيان أنا لانه لم يكن فى الركب من

بنى عبد مناف غيره فقال قيصر ادنوه منى ثم أمر بأصحابه فجعلوا
خلف ظهره ثم قال لترجمانه قل لاصحابه انما قدمت هذا امامكم
لأسأله عن هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى وقد جعلتكم خلفه
كيلا تخجلوا من رد كذبه عليه اذا كذب ثم سأله كيف نسب
هذا الرجل فيكم قال هو منا ذو نسب قال هل تكلم بهذا
القول أحد منكم قبله قال لا قال هل كنتم تتهمونه بالكذب
قبل ان يقول ماقال قال لا قال فهل كان من آبائه من ملك
قال لا قال فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم قال بل
ضعفاؤهم قال فهل يزيدون أم ينقصون قال بل يزيدون
قال هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه قال لا قال هل يغدر
اذا عاهد قال لا ونحن الآن منه فى ذمة لا ندرى ما
هو فاعل فيها قال فهل قاتلتموه قال نعم قال فكيف حربكم
وحربه قال الحرب بيننا وبينه سجال مرة لنا ومرة علينا قال
فبم يأمركم قال يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً
وينهى عما كان يعبد آباؤنا ويأمر بالصلاة والصدق والعفاف
والوفاء بالعهد وأداء الامانة فقال الملك انى سألتك عن نسبه
فزعمت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث فى

نسب قومها وسألتك هل قال أحد منكم هـذا القول قبله
فزعمت أن لا فلو كان أحد قال هـذا القول قبله لقلت رجل
يأتم بقول قيل قبله وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل
أن يقول ما قال فزعمت أن لا فقلت ما كان ليـدع الكذب
على الناس ويكذب على الله وسألتك هل كان من آبائه من
ملك فقلت لا فلو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك
أبيـه وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضـعفاؤهم فقلت
ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل وسألتك هل يزيدون أم ينقصون
فقلت بل يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم وسألتـك
هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه فقلت لا وكذلك الايمان
حـين تخالط بشاشـته القلوب وسألتك هـل قاتلتموه
فقلت نعم وان الحرب بينكم وبينه سجال وكذلك الرسـل
تبتلى ثم تكون لهم العاقبة وسألتك بماذا يأمر فزعمت أنه يأمر
بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وسألتك
هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر فعلمت انه نبي
وقد علمت انه مبعوث ولم أظن انه فيكم وان كان ما كلمتني به حقاً
فسيملك موضع قدميّ هاتين ولو أعلم انى أخلص اليه لتكلفت ذلك

قال أبو سفيان فعلت أصوات الذين عنده وكثر لغطهم فلا أدرى ما قالوا وأمر بنا فأخرجنا فلما خرج أبو سفيان مع أصحابه قال لقد بلغ أمر ابن أبى كبشة أن يخافه ملك بنى الاصفر ولما سار قيصر الى حمص أذن لعظماء الروم فى دسكرة له ثم أمر بأبوابها فأغلقت ثم قال يا معشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبى فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الأبواب فوجدوها مغلقة فلما رأى قيصر نفرتهم قال ردوهم علىّ فقال لهم انى قلت مقالتى أختبر بها شدتكم على دينكم فسجدوا له ورضوا عنه فغلبه حب ملكه على الاسلام فذهب بإثمه وإثم رعيته كما قال عليه الصلاة والسلام ولكنه رد دحية رداً جميلا

كتاب أمير بصرى

وأرسل عليه السلام الحارث بن عمير الازدى بكتاب الى أمير بصرى فلما بلغ مؤتة وهى قرية من عمل البلقاء بالشام تعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فقال له أين تريد قال الشام قال لعلك من رسل محمد قال نعم فأمر به فضربت عنقه ولم يقتل لرسول الله عليه السلام رسول غيره وقد وجد لذلك وجداً شديداً

كتاب الحارث ووجه عليه السلام شجاع بن وهب الى أمير دمشق من قبل هرقل الحارث بن أبي شمر وكان يقيم بغوطتها وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق وانى أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبق ملكك) فلما قرأ الكتاب رمى به وقال من ينزع ملكي مني وأستعد ليرسل جيشاً لحرب المسلمين وقال لشجاع أخبر صاحبك بما ترى ثم أرسل الى قيصر يستأذنه في ذلك وصادف ان كان عنده دحية فكتب قيصر اليه يثنيه عن هذا العزم ويأمره بأن يهيئ بايليا ما يلزم لزيارته فانه بعد أن قهر الفرس نذر زيارتها فلما رأى الحارث كتاب قيصر صرف شجاع بن وهب بالحسنى ووصله بنفقة وكسوة

كتاب المقوقس ووجه عليه السلام حاطب بن أبي بلتعة بكتاب الى المقوقس أمير مصر من جهة قيصر وكان فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان توليت فانما عليك

أثم القبط ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة الآية) فأوصله له حاطب بسكندرية فلما قرأه قال ما منعه ان كان نبياً ان يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده فقال حاطب ألست تشهد ان عيسى بن مريم رسول الله فماله حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله حتى رفعه الله اليه قال أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم ثم قال انى قد نظرت فى أمر هذا النبي فوجدت انه لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب ووجدت معه آلة النبوة اخراج الغائب المستور والاخبار بالنجوى وسأنظر ثم كتب رد الجواب يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت أن نبياً قد بقي وكنت أظن انه يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم فى القبط وبثياب وأهديت اليك بغلة تركبها والسلام) واحدى الجاريتين مارية التى تسرى بها عليه السلام وجاء منها بولده براهيم والأخرى أعطاها لحسان بن

ثابت ولم يسلم المقوقس

كتاب النجاشي

ووجه عليه السلام عمرو بن أمية الضمرى بكتاب الى النجاشى ملك الحبشة وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشى عظيم الحبشة سلم أما بعد فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وانى أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وان تتبعنى وتوقن بالذى جاءنى فانى رسول الله وانى أدعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى والسلام على من اتبع الهدى) ولما وصله الكتاب احترمه غاية الاحترام وقال لعمرو انى أعلم والله أن عيسى بشر به ولكن اعوانى بالحبشة قليل فانظرنى حتى اكثر الاعوان والين القلوب وقد عرض عمرو على من بقى من مهاجرى الحبشة الرجوع الى رسول الله بالمدينة وكان من المهاجرين أم حبيبة بنت أبى سفيان زوج عبيد الله بن جحش الذى كان أسلم وهاجر بها ولكن قد غلبت عليه الشقاوة فتنصر فتزوج عليه السلام أم حبيبة وهى

بالحبشة والذى زوجها له النجاشى بتوكيل منه عليه السلام

ووجه عليه السلام عبدالله بن حذافة السهمى بكتاب الى كتاب كسرى
كسرى ملك الفرس وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فانى انا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فان ابيت فانما عليك اثم المجوس) فلما وصله الكتاب مزقه استكباراً ولما بلغه ذلك عليه السلام قال مزق الله ملكه كل ممزق وقد فعل فكانت مملكته أقرب الممالك سقوطاً وقد بدأ هذا الشقى بالعدوان فارسل لعامله باليمن أن يوجه الى الرسول من يأتى به اليه فعاجله الله بقيام ابنه شيرويه عليه وقتله له ثم أرسل لعامل اليمن ينهاه عما أمره به أبوه

كتاب المنذر ابن ساوى

ووجه عليه السلام العلاء بن الحضرمى بكتاب الى المنذر ابن ساوى ملك البحرين يدعوه فيه الى الاسلام فاسلم وكتب فى رد الجواب (اما بعد يارسول الله فانى قرأت كتابك على أهل البحرين فنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم

من كرهه وبأرضى مجوس ويهود فأحدث الىّ فى ذلك أمرك)
فكتب اليه عليه السلام (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول
الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك فانى أحمد الله اليك الذى
لا اله الا هو وأشهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله
أما بعد فانى أذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح
لنفسه وانه من يطع رسلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى ومن
نصح لهم فقد نصح لى وان رسلى قد أثنوا عليك خيراً وانى
قد شفعتك فى قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن
أهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك
ومن أقام على يهوديته او مجوسيته فعليه الجزية)

كتاب ملكى عمان

ووجه عليه السلام عمرو بن العاص بكتاب الى جيفر وعبد
ابنى الجلندى ملكى عُمان وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد
رسول الله الى جيفر وعبد ابنى الجلندى سلام على من اتبع
الهدى اما بعد فانى أدعوكما بدعاية الاسلام أسلما تسلما فانى
رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول
على الكافرين وانكما ان أقررتما بالاسلام وليتكما وان أبيتما
فان ملككما زائل وخيلى تحل بساحتكما وتظهر نبوتى على

ملككما والسلام)

فلما حل بناديهما عمرو سأله عبد بن الجلندى عما يأمر به الرسول وينهى عنه فقال يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب فقال ما أحسن هذا الذى يدعو اليه ولو كان أخى يتابعنى لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخى أضن بملكه من ان يدعه ويصير تابعاً قال عمرو ان أسلم أخوك ملكه رسول الله على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم فقال عبد ان هذا الخلق حسن وما الصدقة فأخبره بما فرض الله من الصدقات فى الاموال ولما ذكر المواشى قال يا عمرو يؤخذ من سوائم مواشينا التى ترعى فى الشجر وترد المياه قال نعم فقال عبد والله ما أرى قومى على بعد دارهم وكثرة عددهم يرضون بهذا ثم ان عبداً أوصل عمراً لاخيه جيفر فتكلم معه عمرو بما ألان قلبه حتى أسلم هو واخوه ومكناه من الصدقات

كتاب هوذة ابن علي

ووجه عليه السلام سليط بن عمرو العامرى بكتاب الى هوذة بن على ملك اليمامة وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من

محمد رسول الله الى هوذه بن على سلام على من اتبع الهدى واعلم أن دينى سيظهر الى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك) فلما جاءه الكتاب كتب فى رده (ما أحسن ما تدعوا اليه وأجمله وأنا شاعر قومى وخطيبهم والعرب تهاب مكانى فاجعل لى بعض الامر أتبعك) ولما بلغ ذلك رسول الله قال لوسألنى قطعة من الارض ما فعلت باد وباد ما فى يديه فلم يلبث أن مات منصرف الرسول من فتح مكة وكان عليه السلام يولى على كل قوم قبلوا الاسلام كبيرهم

السنة السابعه

غزوة خيبر

وفى محرم السنة السابعة أمر عليه السلام بالتجهز لغزو يهود خيبر الذين كانوا اعظم مهيج للاحزاب ضد رسول الله فى غزوة الخندق والذين لا يزالون مجتهدين فى محالفة الاعراب ضد رسول الله كما قدمنا ذلك فى قصة كعب بن الاشرف وقد استنفر رسول لله لذلك من حوله من الاعراب الذين كانوا معه بالحديبية وجاء المخلفون عنها ليؤذن لهم فقال عليه السلام لا تخرجوا معى الا رغبة فى الجهاد اما الغنيمة فلا أعطيكم منها شيئاً وأمر منادياً ينادى بذلك ثم خرج عليه السلام بعد ان ولى على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى وكان معه من أزواجه

أم سلمة ولما وصل جيش المسلمين الى خيبر التى تبعد عن المدينة نحو مائة ميل من الشمال الغربى رفعوا أصواتهم بالتكبير والدعاء فقال عليه السلام (ارفقوا بأنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائباً انكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم) وكانت حصون خيبر ثلاثاً منفصلة عن بعضها وهى حصون النطاة وحصون الكتيبة وحصون الشق والاولى ثلاث حصن ناعم وحصن الصعب وحصن قلة والثانية حصنان حصن أبىّ وحصن البرىء والثالثة ثلاثة حصون حصن القموص وحصن الوطيح وحصن سلالم فبدأ عليه السلام بحصون النطاة وعسكر المسلمون شرقية بعيداً عن مدى النبل وأمر عليه السلام ان يقطع نخلهم ليرهبهم حتى يسلّموا فقطع المسلمون نحو أربعمائة نخلة ولما رأى عليه السلام تصميم اليهود على الحرب نهى عن القطع ثم ابتدأ القتال مع حصن ناعم بالمراماة وكان لواء المسلمين بيد أحد المهاجرين فلم يصنع فى ذلك اليوم شيئاً وفيه مات محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة وصار عليه السلام يغدو كل يوم مع بعض الجيش للمناوشة ويخلف على العسكر أحد المسلمين حتى اذا كانوا فى الليلة السابعة ظفر

حارس الجيش وهو عمر بن الخطاب بيهودى خارج فى جوف
الليل فأتى به رسول الله عليه السلام ولما أدرك الرجل الرعب
قال ان أمنتمونى أدلكم على أمر فيه نجاحكم فقالوا دلنا فقد
أمناك فقال ان أهل هذا الحصن أدركهم الملال والتعب وقد
تركتهم يبعثون بأولادهم الى حصون الشق وسيخرجون
لقتالكم غداً فاذا فتح عليكم هذا الحصن غداً فانى أدلكم على
بيت فيه منجنيق ودبابات ودروع وسيوف يسهل عليكم بها فتح
بقية الحصون فانكم تنصبون المنجنيق ويدخل الرجال تحت
الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك فقال عليه السلام
لمحمد بن مسلمة سأعطى الراية غدا رجلاً يحب الله ورسوله
ويحبانه فبات المهاجرون والانصار كلهم يتمنونها حتى قال
عمر بن الخطاب ما تمنيت الامارة الا ليلتئذ فلما كان الغد
سأل عليه السلام عن على بن أبى طالب فقيل له انه ارمد
فأرسل من يأتيه به ولما جاء تفل فى عينيه فشفاهما الله كأن لم
يكن بهما شئ ثم اعطاه الراية فتوجه مع المسلمين للقتال وهناك
وجدوا اليهود متجهزين فخرج يهودى يطلب البراز فقتله علىّ
ثم خرج مرحب وهو اشجع القوم فالحقه برفيقه فخرج اخوه

ياسر فقتله الزبير بن العوام ثم حمل المسلمون على اليهود حتى
كشفوهم عن مواقفهم وتبعوهم حتى دخلوا الحصن بالقوة
وانهزم الاعداء الى الحصن الذى يليه وهو حصن الصعب وغنم
المسلمون من حصن ناعم كثيراً من الخبز والتمر ثم تتبعوا اليهود الى
حصن الصعب فقاتل عنه اليهود قتالاً شديداً حتى ردّ عنه المسلمون
ولكن ثبت الحباب بن المنذر ومن معه وقاتلوا قتالاً شديداً
حتى هزموا اليهود فتبعوهم حتى اقتحموا عليهم الحصن فوجدوا
فيه غنائم كثيرة من الطعام فأمر عليه السلام منادياً يقول
كلوا واعلفوا دوابكم ولا تأخذوا شيئاً ثم ان الذين انهزموا
من هذا الحصن ساروا الى حصن قلة فتبعهم المسلمون وحاصروهم
ثلاثة أيام حتى استصعب عليهم فتحه وفى اليوم الرابع دلهم
يهودى على جداول الماء التى يستقى منها اليهود فمنعوها عنهم
فخرجوا وقاتلوا قتالاً شديداً انتهى بهزيمتهم الى حصون
الشق فتبعهم المسلمون وبدءوا بحصن أُبَىّ فخرج أهله وقاتلوا
قتالاً شديداً أبلى فيه ابو دجانة الانصارى بلاء حسناً حتى
تمكن من دخول الحصن عنوة ووجد المسلمون فيه أثاثاً كثيراً
ومتاعاً وغنماً وطعاماً وهرب المنهزمون منه الى حصن البرىء

فتمنعوا به أشد التمنع وكان أهله أشد اليهود رمياً بالنبل والحجارة حتى أصاب رسول الله بعض منه فنصب المسلمون عليه المنجنيق فوقع فى قلب أهله الرعب وهربوا منه من غير عناء شديد فوجد فيه المسلمون او انى لليهود من نحاس وفخار فقال عليه السلام اغسلوها واطبخوا فيها ثم تتبع المسلمون بقايا العدو الى حصون الكتيبة وبدءوا بحصن القموص فحاصروه عشرين ليلة ثم فتحه الله على يد على بن ابى طالب ومنه سبيت صفية بنت حيى بن أخطب ثم سار المسلمون لحصار حصنى الوطيح وسلالم فلم يقاوم أهلها بل سلموا طالبين حقن دمائهم وان يخرجوا من أرض خيبر بذراريهم لا يصطحب الواحد منهم الا ثوباً واحداً على ظهره فاجابهم رسول الله الى ذلك وغنم المسلمون من هذين الحصنين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس عربية ووجدوا صحفاً من التوراة فسلموها لطالبيها وقد أمر عليه السلام بقتل كنانة بن ابى الحقيق لانه انكر حلى حيى بن اخطب وقد عثر عليها المسلمون فوجدوا فيها اساور ودمالج وخلاخيل واقرطة وخواتيم الذهب وعقود الجواهر والزمرذ وغير ذلك (هذا) والذين

استشهدوا من المسلمين بخيبر خمسة عشر رجلا وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون رجلا وفي هذه الغزوة اهدت احدى نساء اليهود كراع شاة مسمومة لرسول الله فأخذ منها مضغة ثم لفظها حيث علم انها مسمومة واكل منها بشر بن البراء فمات لوقته واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجئ له بالمرأة التي فعلت هذه الفعلة فسألها عن سبب ذلك فأجابت قلت ان كان نبيًا لن يضره وان كان كاذبًا اراحنا الله منه فعفا عنها عليه السلام

زواج صفية

وبعد تمام الظفر والنصر تزوج عليه السلام صفية بنت حيي سيد بني النضير واصدقها عتقها وقد أسلمت رضي الله عنها فشرفت بأمومة المؤمنين (ونهى) عليه السلام وهو بخيبر عن نكاح المتعة وهي النكاح لاجل وقد كان حلاً في الجاهلية واستعمل في بدء الاسلام حتى حرمه الشرع في هذه السنة (ونهى) كذلك عن أكل لحوم الحمر الاهلية فاكفأ المسلمون قدورها بعد أن نضجت ولم يطعموها (وحين) رجوع المسلمين من خيبر قدم من الحبشة جعفر بن أبي طالب ومعه الاشعريون أبو موسى وقومه بعد ان أقاموا بها نحوا من عشر سنين آمنين مطمئنين وفرح عليه السلام بقدمهم فرحًا عظيمًا وأعطى للاشعريين من

نكاح المتعة

رجوع مهاجري الحبشة

مغانم الحصون المفتوحة صلحاً وكان مع جعفر أم حبيبة بنت أبى سفيان أم المؤمنين (وقدم) فى هذا الوقت على النبى عليه السلام الدوسيون اخوان أبى هريرة رضى الله عنه وهو معهم فأعطاهم أيضاً رسول الله

فتح فدك

وبعد تمام الفتح أرسل عليه السلام من يطلب من يهود فدك (وهى حصن قريب من خيبر على ست ليال من المدينة) الانقياد والطاعة فصالحوا رسول الله على ان يحقن دماءهم ويتركوا الاموال وكانت أرض فدك هذه لرسول الله خاصة ينفق منها على نفسه ويعود منها على صغير بنى هاشم ويزوج منها أيمهم

صلح تيماء

ولما بلغ يهود تيماء (وهى قرية على ثمان مراحل من المدينة) مافعله المسلمون بيهود خيبر صالحوا على دفع الجزية ومكثوا فى بلادهم آمنين مطمئنين

فتح وادى القرى

ثم دعا عليه السلام يهود وادى القرى (وهو قرى بين خيبر والشام) الى الاستسلام فأبوا وقاتلوا فقاتلهم المسلمون وأصابوا منهم أحد عشر رجلاً وغنموا منهم مغانم كثيرة خمسها عليه السلام وترك الارض فى أيدى أهلها يزرعونها

بشطر مايخرج منها وكذلك صنع بأرض خيبر وكان يرسل اليهم عبد الله بن رواحة لتقدير الثمر وكان تقديره شديداً عليهم فأرادوا ان يرشوه فقال لهم ياأعداء الله تطعمونى السحت والله لقد جئتكم من عند أحب الناس الىّ ولانتم أبغض الىّ من القردة والخنازير ولا يحملنى بغضى اياكم وحبي اياه على ان لا أعدل (هذا) وبانقياد جميع اليهود المجاورين للمدينة ارتاح المسلمون من شر عدو كان يتربص بهم الدوائر مهما كان بين الفريقين من العهود والمواثيق ورجع المسلمون مؤيدين ظافرين

اسلام خالد ورفيقه

وأعقب هذه الغزوة وهذا الفتح المبين اسلام ثلاثة طالما كانت لهم اليد الطولى فى قيادة الجيوش ضد المسلمين وهم خالد ابن الوليد وعمرو بن العاصى وعثمان بن أبى طلحة فسر بهم عليه السلام سروراً عظيماً وقال لخالد (الحمد لله الذى هداك قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك الا الى خير) فقال يا رسول الله ادع الله لى ان يغفر تلك المواطن التى كنت اشهدها عليك فقال له عليه السلام (الاسلام يقطع ما قبله)

سرية

وفى شعبان بلغه عليه السلام ان جمعا من هوازن بتُرَبة (محل بين مكة وصنعاء) يظهرون العداوة للمسلمين فأرسل لهم عمر

ابن الخطاب فى ثلاثين رجلاً فسار اليهم ولما بلغهم الخبر تفرقوا
فلم يجد بها عمر أحداً فرجع (ثم) أرسل بشير بن سعد الانصارى سرية
لقتال بنى مرة بناحية فدك فلما ورد بلادهم لم ير منهم أحداً
فأخذ نعمهم أما القوم فكانوا فى الوادى فجاءهم الصريخ
فأدركوا بشيراً ليلا وهو راجع فتراموا بالنبل ولما أصبح
الصبح اقتتل الفريقان قتالا شديداً حتى قتل غالب المسلمين
وجرح بشير جرحاً شديداً حتى ظن أنه مات ولما انصرف
عنه العدو تحامل حتى جاء الى رسول الله وأخبره الخبر
(وفي رمضان) أرسل عليه السلام غالب بن عبيد الله
الليثى الى أهل الميفعة (على ثمانية برد من المدينة
بناحية نجد) في مائة وثلاثين رجلاً فساروا حتى
هجموا على القوم فقتلوا بعضاً وأسروا آخرين وفى
أثناء الحرب طارد أسامة بن زيد رجلاً من المشركين ولما
رأى المشرك الموت فى يد أسامة تشهد فظن أسامة أن عدوه
انما قال ذلك تخلصا فقتله ولما رجع المسلمون الى المدينة وأخبر
عليه السلام بفعلة اسامة قال له أقتلته بعد ان قال لا اله الا الله
فكيف تصنع بلا اله الا الله قال يا رسول الله انما قالها متعوذا

من القتل قال عليه السلام فهلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو ام كاذب فقال يا رسول الله استغفر لى قال عليه السلام فكيف بلا اله الا الله فما زال يكررها حتى تمنى اسامة انه لم يسلم قبل ذلك اليوم وأنزل الله فى ذلك (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة) ثم امر عليه السلام أسامة ان يعتق رقبة كفارة لانه قتل خطأ (وفى) شوال بلغه عليه السلام أن عيينة بن حصن واعد جماعة من غطفان (كانوا مقيمين قريباً من خيبر بأرض اسمها يمن وجبار) للاغارة على المدينة فأرسل لهم بشير بن سعد فى ثلاثمائة رجل فساروا اليهم يكمنون النهار ويسيرون الليل حتى اتوا محالهم فأصابوا نعماً كثيراً وتفرق الرعاء فاخبروا قومهم فرعبوا ولحقوا بعليا بلادهم ولم يظفر المسلمون الا برجلين اسلما ثم رجعوا بالغنائم الى المدينة سرية

لما حال الحول على عمرة الحديبية خرج عليه السلام بمن صد معه فيها ليقضى عمرته واستخلف على المدينة أباذر الغفارى وساق معه الهدى ستين بدنة وأخرج معه السلاح حذراً من غدر قريش وكان معه مائة فرس عليها بشير بن سعد عمرة القضاء

وأحرم عليه السلام من باب المسجد المدنى ولما انتهى الى ذى الحليفة قدم الخيل أمامه فقيل يا رسول الله حملت السلاح وقد شرطوا أن لا تحمله فقال عليه السلام لا ندخل الحرم به ولكن يكون قريباً منا فان هاجنا هائج فزعنا له فلما كان بمر الظهران قابله نفر من قريش ففزعوا من هذه العدة وأسرعوا الى قومهم فاخبروهم فجاءه فتيان منهم وقالوا والله يا محمد ما عرفت بالغدر صغيراً ولا كبيراً وانا لم نحدث حدثاً فقال انا لا ندخل الحرم بالسلاح

ولما حان وقت دخول مكة خرج أهلوها كارهين رؤية المسلمين يطوفون بالبيت فدخل عليه السلام وأصحابه متوشحين سيوفهم من ثَنِيَّةِ كُدَاء وأمامه عبد الله بن رواحة يقول لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده وطاف عليه السلام بالبيت وهو على راحلته واستلم الحجر بمحجنه وأمر أصحابه أن يسرعوا ثلاثة أشواط اظهاراً للقوة لان المشركين قالوا سيطوف اليوم بالكعبة قوم نهكتهم حمى يثرب فقال عليه السلام رحم الله أمرأ أراهم من نفسه قوة واضطبع عليه السلام بردائه وكشف

عضده اليمنى شأن الفتوة وفعل مثله المسلمون وقد أتم المسلمون طوافهم بالبيت آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين كما رأى عليه السلام فى منامه وتزوج صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج حمزة بن عبد المطلب شهيد أحد وخالة عبد الله بن عباس وهى آخر نسائه زواجاً ولم يدخل بها الا بعد الخروج من مكة حيث كان بسرف ولما خرج عليه السلام أمر الذين كان تركهم لحراسة الخيل بالذهاب ليطوفوا ففعلوا ثم رجع عليه السلام الى المدينة فرحاً مسروراً بما حباه الله به من تصديق رؤياه زواج ميمونه

وفى صفر أرسل عليه السلام غالب بن عبد الله الليثى الى بنى الملوّح وهم قوم من العرب يسكنون بالكديد (بين عسفان وقديد) فسار القوم حتى اذا كانوا بقديد التقوا بالحارث بن مالك الليثى المعروف بابن البرصاء وكان خصماً لدوداً للمسلمين فاسروه فقال لهم ما جئت الا للاسلام فقالوا له ان تكن مسلماً لن يضرك رباط ليلة والا استوثقنا منك ثم ساروا حتى وصلوا محلة بنى الملوح فاستاقوا النعم والشاء وخرج الصريخ الى القوم فجاءهم ما لا قبل لهم به ولكن منّ الله على السنة الثامنة سرية

المسلمين فأرسل سيلاً شديداً أحاط بينهم وبين عدوهم حتى صار المشركون يرون نعمهم تساق وهم لا يقدرون على ردها (ولما) رجع غالب الى المدينة ظافراً أرسله عليه السلام في مائتي رجل ليقتص من بني مرة بفدك وهم الذين أصابوا سرية بشير بن سعد فساروا حتى اذا كانوا قريباً من القوم خطب غالب فيمن معه فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه (أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وأن تطيعوني ولا تخالفوا لي أمراً فانه لا رأي لمن لا يطاع) ثم آخى بين الجند فقال يا فلان انت وفلان ويافلان أنت وفلان لا يفارق أحد منكم زميله واياكم أن يرجع الرجل منكم فأقول له أين صاحبك فيقول لا أدري فاذا كبرت فكبروا فلما أحاطوا بالعدو وكبر كبروا وجردوا السيوف فلم يفلت من عدوهم أحد واستاقوا نعمهم فكان لكل واحد من الغزاة عشرة أبعرة — سرية

(وفي) ربيع الاول أرسل عليه السلام كعب بن عمير الغفاري الى ذات اطلاح من أرض الشام في خمسة عشر رجلاً فوجدوا جمعاً كثيراً فدعوهم الى الاسلام فلم يجيبوا وقاتلوا وكانوا أكثر عدداً فاستشهد المسلمون عن آخرهم — سرية

الا رئيسهم شجاع بن وهب فانه نجا وأتى بالخبر رسول الله فشق عليه وأراد أن يبعث اليهم من يقتص منهم فبلغه انهم تحولوا من منزلهم فعدل عن ذلك

جهز عليه السلام فى جمادى الاولى جيشاً للقصاص ممن قتلوا الحارث بن عمير الازدى رسوله الى أمير بُصْرى وأمّر عليهم زيد بن حارثة وقال لهم ان أصيب فالامير جعفر بن أبى طالب فان أصيب فعبد الله بن رواحة وكان عدة الجيش ثلاثة آلاف فساروا وشيعهم عليه السلام وكان فيما وصاهم به (اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام وستجدون فيها رجالا فى الصوامع معتزلين فلا تعرضوا لهم ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ولا بصيراً فانياً ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناء) ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا مؤتة مقتل الحارث بن عمير وهى قرية من الكرك وهناك وجدوا الروم مجمعين لهم جمعاً عظيما منهم ومن العرب المتنصرة فتفاوض رجال الجيش فيما يفعلونه أيرسلون لرسول الله يطلبون منه مدداً أم يقدمون على الحرب فقال عبد الله بن رواحة يا قوم والله ان الذى تكرهون هو ما خرجتم له غزوة مؤتة

خرجتم تطلبون الشهادة ونحن ما نقاتل بقوة ولا بكثرة ما نقاتل الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانما هى احدى الحسنيين اما الظهور واما الشهادة فقال الناس صدق والله ابن رواحة ومضوا للقتال فلقوا هذه الجموع المتكاثرة فقاتل زيد بن حارثة رضى الله عنه حتى استشهد فأخذ الراية جعفر ابن أبى طالب وهو يقول

ياحبذا الجنة واقترابها * طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها * كافرة بعيدة أنسابها
علىّ اذ لاقيتها ضرابها

ولم يزل يقاتل حتى استشهد رضى الله عنه فأخذ الراية عبد الله بن رواحة فتقدم ثم تردد بعض التردد فقال يخاطب نفسه

أقسمت يانفس لتنزلنّه * طائعة أولا لتكرهنه
ان اجلب الناس وشدوا الرنّه * مالى أراك تكرهين الجنة
قد طالما قد كنت مطمئنة * هل أنت الا نطفة فى شنه

ثم اقتحم بفرسه المعممة ولم يزل يقاتل رضى الله عنه حتى استشهد فهم بعض المسلمين بالرجوع الى الوراء فقال لهم

عقبة بن عامر يا قوم يقتل الانسان مقبلا خير من أن يقتل مدبراً فتراجعوا واتفقوا على تأمير الشهم الباسل خالد بن الوليد وبهمته ومهارته الحربية حمى هذا الجيش من الضياع اذ ما تفعل ثلاثة آلاف بمائة وخمسين ألفاً فانه لما أخذ الراية قاتل يومه قتالاً شديداً وفى غده خالف ترتيب العسكر فجعل الساقة مقدمة والمقدمة ساقة والميمنة ميسرة والميسرة ميمنة فظن الروم ان المدد جاء للمسلمين فرعبوا ثم أخذ خالد الجيش وصار يرجع به الى الوراء حتى انحاز الى مؤتة ثم مكث يناوش الاعداء سبعة أيام ثم تحاجز الفريقان لأن الكفار ظنوا أن الامداد تتوالى للمسلمين وخافوا أن يجروهم الى وسط الصحارى حيث لا يمكنهم التخلص وبذلك انقطع القتال وقد نعى النبي صلى الله عليه وسلم زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن راحة فأصيب وكانت عيناه رسول الله تذرفان ثم قال حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم وجاءه رجل فقال يا رسول الله ان نساء جعفر يبكين فأمره ان ينهاهن فذهب الرجل ثم أتى فقال قد نهيتهن

فلم يطعن فأمره فذهب ثانياً ثم جاء فقال والله لقد غلبنا فقال له عليه السلام احث في أفواههن التراب ولما أقبل الجيش الى المدينة قابلهم المسلمون يقولون لهم يا فرّار فقال عليه السلام بل هم الكرار ظن المقيمون بالمدينة ان انحياز خالد بالجيش هزيمة ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اراهم ان ذلك من مكايد الحرب وأثنى على خالد في مهارته

سرية — وفي جمادى الآخرة بلغه عليه السلام ان جمعاً من قضاعة يتجمعون في ديارهم وراء وادي القرى ليغيروا على المدينة فأرسل لهم عمرو بن العاص في ثلاثمائة رجل من سراة المهاجرين ثم أمده بأبي عبيدة بن الجراح في مائتين من المهاجرين فيهم أبو بكر وعمر فلحقو عمراً قبل أن يصل الى القوم وقد أراد رجال من الجيش ايقاد نار فمنعهم عمرو فانكر عليه عمر بن الخطاب فقال أبو بكر انما بعثه رسول الله علينا رئيساً لمعرفته بالحرب أكثر منا فلا تعصه فامتثل ولما حلوا بساحة القوم حملوا عليهم فلم يكن أكثر من ساعة حتى تفرق الاعداء منهزمين فجمعوا غنائمهم وأرادوا اتباع أثرهم فمنعهم قائدهم ثم رجعوا الى المدينة ظافرين وبينما هم في الطريق ادركت

عمرو بن العاص جنابة فى ليلة باردة فلما أصبح قال ان انا
اغتسلت هلكت والله يقول(ولا تُلقُوا بأيديكم الى التهلكة)
ثم تيمم وصلى ثم أمر بالسير حتى اذا وصلوا المدينة قام رسول
الله عليه السلام يسأل عن أنباء سفرهم كما هى عادته فأخبروه بما
نقموه على عمرو بن العاص من نهيهم عن ايقاد النار ونهيهم عن
اتباع العدو وصلاته جنبا فسأله عليه السلام عن ذلك فقال
منعتهم من ايقاد النار لئلا يرى العدو قلتهم فيطمع فيهم ونهيتهم
عن اتباع العدو لئلا يكون له كمين وصليت جنبا لان الله يقول
(ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة)وان انا اغتسلت هلكت فتبسم
عليه السلام وأثنى على عمرو خيراً

وفى رجب أرسل عليه السلام أباعبيدة عامر بن الجراح
فى ثلاثمائة فارس لغزو قبيلة جهينة التى تسكن ساحل البحر
وزود عليه السلام هذا الجيش جراباً من التمر فساروا حتى
اذا وصلوا الساحل أقاموا فيه نحو نصف شهر ينتظرون العدو
وقد فنى زادهم حتى أكلوا الخبط وهو ورق السَمر يبلونه
بالماء ويأكلونه الى أن تقرحت أشداقهم وكان فى القوم الكريم
ابن الكريم قيس بن سعد بن عبادة فنحر لهم ثلاث جزر فى كل يوم

جزور وفى اليوم الرابع أراد أن ينحر فنهاه رئيسه أبو عبيدة لان قيساً كان أخذ تلك الجزر بدين على أبيه نخاف أبو عبيدة أن لا يفى له أبوه بما استدان فقال قيس أترى سعداً يقضى ديون الناس ويطعم فى المجاعة ولا يقضى ديناً استدنته لقوم مجاهدين فى سبيل الله ولما يئسوا من لقاء عدوهم رجعوا الى المدينة فقال قيس بن سعد لأبيه كنت فى الجيش فجاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نهيت

غزوة الفتح الاعظم

اذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه وازال موانعه فقد كان عليه السلام يعلم أنه لا تذل العرب حتى تذل قريش ولا تنقاد البلاد حتى تنقاد مكة فكان يتشوف لفتحها ولكن كان يمنعه من ذلك العهود التى اعطاها قريشاً فى الحديبية وهو سيد من وفى ولكن اذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه فقد علمت ان قبيلة خزاعة دخلت فى عهد رسول الله وقبيلة بكر دخلت فى عهد قريش وكان بين خزاعة وبكر دماء فى الجاهلية كنت نارها بظهور الاسلام فلما حصلت الهدنة وقف رجل من بكر يتغنى بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على مسمع من رجل خزاعى فقام هذا وضربه فحرك

ذلك كامن الاحقاد وتذكر بنو بكر ثارهم فشدوا العزيمة لحرب خصومهم واستعانوا بأوليائهم من قريش فأعانوهم سراً بالعدة والرجال ثم توجهوا الى خزاعة وهم آمنون فقتلوا منهم ما يربو على العشرين ولما رأى ذلك حلفاء السيد الامين أرسلوا منهم وفداً برياسة عمرو بن سالم الخزاعى ليخبر رسول الله بما فعل بهم بنو بكر وقريش فلما حلوا بين يديه وأخبروه الخبر قال والله لامنعنكم مما أمنع منه نفسى أما قريش فانهم لما رأوا أن ما عملوه نقض للعهود التى أخذت عليهم ندموا على ما فعلوا وأرادوا مداواة هذا الجرح فأرسلوا قائدهم أبا سفيان بن حرب الى المدينة ليشد العقد ويزيد فى المدة فركب راحلته وهو يظن أنه لم يسبقه أحد حتى اذا جاء المدينة نزل على أم المؤمنين أم حبيبة بنته وقد أراد أن يجلس على فرش رسول الله فطوته عنه فقال يا بنية أرغبت به عنى ام رغبت بى عنه فقالت ما كان لك ان تجلس على فرش رسول الله وانت مشرك نجس فقال لها لقد أصابك بعدى شر ثم خرج من عندها وأتى النبى فى المسجد وعرض عليه ما جاء له فقال عليه السلام هل كان من حدث قال لا فقال عليه السلام فنحن على مدتنا وصلحنا ولم يزد عن ذلك

فقام أبو سفيان ومشى الى أكابر المهاجرين من قريش علهم يساعدونه على مقصده فلم يجد منهم معيناً وكلهم قالوا جوارنا فى جوار رسول الله فرجع الى قومه ولم يصنع شيئاً فاتهموه بانه خانهم واتبع الاسلام فتنسك عند الاوثان لينفى عن نفسه هذه التهمة (أما) رسول الله صلى الله عليه السلام وسلم فتجهز للسفر وأمر أصحابه بذلك وأخبر الصديق بالوجهة فقال له يارسول الله أوليس بينك وبين قريش عهد قال نعم ولكن غدروا ونقضوا ثم استنفر عليه السلام الاعراب الذين حول المدينة وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة فقدم جمع من قبائل أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وطوى عليه السلام الاخبار عن الجيش كيلا يشيع الامر فتعلم قريش فتستعد للحرب والرسول عليه السلام لا يريد ان يقيم حرباً بمكة بل يريد انقياد أهلها مع عدم المساس بحرمتها فدعا مولاه جل ذكره وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها فقام حاطب بن أبى بلتعة أحد الذين شهدوا بدرا وكتب كتاباً لقريش يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرسله مع جارية لتوصله الى قريش على جعل فاعلم

الله رسوله ذلك فأرسل فى أثرها عليا والزبير والمقداد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقوا حتى أتوا الروضة فوجدوا بها المرأة فقالوا لها أخرجي الكتاب قالت مامعي كتاب فقالوا لتخرجن الكتاب او لنلقين الثياب فأخرجته من عقاصها فأتوا به رسول الله فقال عليه السلام ياحاطب ماهذا قال يارسول الله لاتعجل على انى كنت حليفاً لقريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم فاحببت اذ فاتنى ذلك من النسب فيهم ان اتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتى ولم أفعله ارتداداً عن دينى ولا رضى بالكفر بعد الاسلام فقال عليه السلام اما انه قد صدقكم فقال عمر دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم وفى ذلك أنزل الله (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وأنا

أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) ثم سار عليه السلام بهذا الجيش العظيم فى منتصف رمضان بعدان ولى على المدينة ابن أم مكتوم وكانت عدة الجيش عشرة آلاف مجاهد ولما وصل الابواء لقيه اثنان كانا من أشد اعدائه وهما أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب شقيق عبيدة ابن الحارث شهيد بدر والثاني عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة شقيق زوجه أم سلمة وكانا يريد ان الاسلام فقبلهما عليه السلام وفرح بهما شديد الفرح وقال (لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) ولما وصل عليه السلام الكديد رأى ان الصوم شق على المسلمين فأمرهم بالفطر وأفطر هو أيضاً وقد قابل عليه السلام فى الطريق عمه العباس بن عبد المطلب مهاجرا بأهله وعياله فأمره بأن يعود معه الى مكة ويرسل عياله الى المدينة ولما وصل عليه السلام مر الظهران أمر بايقاد عشرة آلاف نار وكان قريش قد بلغهم ان محمداً زاحف بجيش عظيم لاتدرى وجهته فارسلوا أبا سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران فاذاهم بنيران كانهانيران

عرفة فقال أبو سفيان ماهذه لكأنها نيران عرفة فقال بديل بن ورقاء نيران بنى عمرو فقال أبو سفيان عمرو أقل من ذلك فرآهم ناس من حرس رسول الله فادركوهم فاخذوهم فاتوا بهم رسول الله فاسلم أبو سفيان فلما سار قال للعباس احبس أبا سفيان عند حطم الخيل حتى ينظر الى المسلمين فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر كتيبة كتيبة على أبى سفيان وهو يسأل عنها ويقول مالى ولها حتى اذ امرت به قبيلة الانصار وحامل رايتها سعد بن عبادة فقال سعد يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال ابو سفيان ياعباس حبذا يوم الذمار ثم جاءت كتيبه وهى أقل الكتائب فيها رسول الله وأصحابه وحامل الراية الزبير بن العوام فاخبر أبو سفيان رسول الله بمقالة سعد فقال عليه السلام كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة ثم أمر عليه السلام أن تركز رايته بالحجون وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء ودخل هو من أسفلها من كدى ونادى مناديه من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن واستثنى من ذلك جماعة

عظمت ذنوبهم وآذوا الاسلام وأهله عظيم الأذى فاهدر دمهم وان تعلقوا باستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح الذى أسلم وكتب لرسول الله الوحى ثم ارتد وافترى الكذب على الامين المأمون فكان يقول ان محمداً كان يامرنى أن اكتب عليم حكيم فاكتب غفور رحيم فيقول كل جيد ومنهم عكرمة ابن أبى جهل وصفوان بن أمية وهبار بن الاسود والحارث ابن هشام وزهير بن أمية وكعب بن زهير ووحشى قاتل حمزة وهند بنت عتبة زوج أبى سفيان وقليل غيرهم ونهى عن قتل أحد سوى هؤلاء الامن قاتل (فاما) جيش خالد بن الوليد فقابله الذعر من قريش يريدون صده فقاتلهم وقتل منهم أربعة وعشرين وقتل من جيشه اثنان ودخلها عنوة من هذه الجهة (وأما) جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يصادف مانعاً وهو عليه السلام راكب راحلته منحن على الرحل تواضعاً وشكرا لله على هذه النعمة حتى تكاد جبهته تمس الرحل واسامة ابن زيد رديفه وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان حتى وصل الى الحجون موضع رايته وقد نصبت له هناك قبة فيها أم سلمة وميمونة فاستراح قليلا ثم سار وبجانبه أبو بكر

يحادثه وهو يقرأ سورة الفتح حتى البيت وطاف سبعا على راحلته واستلم الحجر بمحجنه وكان حول الكعبة اذ ذاك ثلاثمائة وستون صنماً فجعل عليه السلام يطعنها بعود فى يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل وما يبدئ الباطل وما يعيد ثم أمر بالآلهة فأخرجت من البيت وفيها صورة اسماعيل وابراهيم فى أيديهما الازلام فقال عليه السلام قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط وهذا أول يوم طهرت فيه الكعبة من هذه المعبودات الباطلة وبطهارة الكعبة المقدسة عند جميع العرب باديها وحاضرها من هذه الادناس سقطت عبادة الاوثان من جميع بلاد العرب الا قليلا ويوشك أن نذكر للقارئ اختفاء آثارها ومحو عبادتها بالكلية ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة وكبر فى نواحيها ثم خرج الى مقام ابراهيم وصلى فيه ثم شرب من زمزم وجلس فى المسجد والناس حوله والعيون شاخصة اليه ينتظرون ما هو فاعل بمشركى قريش الذين آذوه واخرجوه من بلاده وقاتلوه ولكن هنا تظهر مكارم الاخلاق التى يلزم ان يتعلم منها المسلم ان يكون رضاه وغضبه لله لا لهوى النفس فقال عليه السلام يا معشر قريش ما تظنون أنى فاعل بكم قالوا

العفو عند المقدرة

خير أخ كريم وابن أخ كريم فقال عليه السلام اذهبوا فانتم الطلقاء ويرحم الله الامام البوصيرى حيث قال

واذا كان القطع والوصل لله تساوى التقريب والاقصاء
وسواء عليه فيما أتاه * من سواه الملام والاطراء
ولو أن انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعة وجفاء
قام لله فى الامور فارضى الله منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينضح الا بما فيه الاناء

ثم خطب عليه السلام خطبة ابان فيها كثيراً من الاحكام الاسلامية منها ان لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام الا مع ذى محرم ولا صلاة بعد الصبح والعصر ولا يصام يوم الاضحى ويوم الفطر ثم قال يامعشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء والناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) ثم ابتدأ الناس يبايعون رسول الله

صلى الله عليه وسلم على الاسلام وممن أسلم فى هذا اليوم معاوية ابن ابي سفيان وأبو قحافة والد الصديق وقد فرح الرسول كثيرا باسلامه وجاءه رجل يرتعد خوفاً فقال له عليه السلام (هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد)

أما الذين أهدر رسول الله دمهم فقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت فنهم من حقت عليه كلمة العذاب فقتل ومنهم من أدركته عناية الله فأسلم فعبدالله بن سعد بن أبى سرح لجأ الى أخيه من الرضاع عثمان بن عفان وطلب منه ان يستأمن له رسول الله فغيبه عثمان حتى هدأ الناس ثم أتى به النبي وقال يارسول الله قد أمنته فبايعه فاعرض عنه عليه السلام مراراً ثم بايعه فلما خرج عثمان وعبد الله قال عليه السلام أعرضت عنه ليقوم اليه أحدكم فيضرب عنقه فقالوا هلا أشرت الينا فقال (لاينبغى لنبي ان تكون له خائنة الاعين (وأما) عكرمة بن أبى جهل فهرب فخرجت وراءه زوجته وبنت عمه أم حكيم بنت الحارث وكانت قد أسلمت قبل الفتح وقد أخذت له أمانا من رسول الله فلحقته وقد أراد ان يركب البحر فقالت جئتك من

عند أبر الناس وخيرهم لاتهلك نفسك وانى قد استأمنته لك فرجع ولما رآه عليه السلام وثب قائماً فرحا به وقال مرحبا بمن جاءنا مهاجرا مسلما ثم أسلم رضى الله عنه وطلب من رسول الله ان يستغفر له كل عداوة عاداها اياه فاستغفر له وكان رضى الله عنه بعد ذلك من خيرة المسلمين وأغيرهم على الاسلام (وأما) هبار بن الاسود فهرب واختفى حتى اذا كان رسول الله بالجعرانة جاءه مسلماً وقال يارسول الله هربت منك وأردت اللحاق بالاعاجم ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عمن جهل عليك وكنا يارسول الله أهل شرك فهدانا الله بك وانقذنا من الهلكة فاصفح الصفح الجميل فقال عليه السلام قدعفوت عنك (وأما) الحارث بن هشام وزهير بن أبى أمية المخزومى فأجارتهما أم هانئ بنت أبى طالب فاجاز عليه السلام جوارها ولما قابل رسول الله الحارث بن هشام مسلماً قال له الحمد لله الذى هداك ماكان مثلك يجهل الاسلام وقدكان بعد ذلك من فضلاء الصحابة (وأما) صفوان بن أمية فاختفى وأراد ان يذهب ويلقى نفسه فى البحر فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحى وقال يانبى الله ان صفوان سيدقومه وقد هرب ليقذف نفسه

فى البحر فأمنه فانك قد أمنت الاحمر والاسود فقال عليه السلام أدرك ابن عمك فهو آمن فقال أعطنى علامة فأعطاه عمامته فأخذها عمير حتى اذا لقى صفوان قال له فداك أبى وأمى جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس وهو ابن عمك وعزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال صفوان انى أخافه على نفسى قال هو أحلم من ذلك وأكرم وأراه العمامة علامة الامان فرجع الى رسول الله وقال له ان هذا يزعم انك أمنتنى قال صدق قال أمهلنى بالخيار شهرين قال أربعة أشهر ثم أسلم رضى الله عنه وحسن اسلامه (واما) هند بنت عتبه فاختفت ثم اسلمت وجاءت الى رسول الله فرحب بها وقالت له والله يارسول الله ما كان على ظهر الارض اهل خباء احب الى ان يذلوا من اهل خبائك ثم ماأصبح اليوم أهل خباء أحب الى ان يعزوا من أهل خبائك (وأما) كعب بن زهير فلما ضاقت به الارض ولم يجد له مجيراً جاء المدينة بعد ان قدمها رسول الله من مكة فأسلم وأنشد قصيدتها التى يقول فيها

وفود كعب ابن زهير

وقال كل صديق كنت آمله * لا ألهينك انى عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلى لاأبالكم * فكل ماقدر الرحمن مفعول

كل ابن أنثى وان طالت سلامته * يوماً على آلة حدباء محمول
أنبئت أن رسول الله أوعدني * والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـقرآن فيها مواعيظ وتفصيل

وقال فيها مادحاً

ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

ولما قال هذا البيت خلع عليه الرسول بردته (وأما) وحشي قاتل حمزة فكذلك أسلم وحسن اسلامه وقبله عليه الصلاة والسلام وقد جاءه ابنا أبي لهب عتبة ومعتب فأسلما وفرح بهما عليه السلام

وكان من الذين اختفوا سهيل بن عمرو فاستأمن له ابنه عبد الله فأمنه عليه السلام وقال ان سهيلاً له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الاسلام فلما بلغت هذه المقالة سهيلاً قال كان والله براً صغيراً براً كبيراً ثم أسلم بعد ذلك

بيعة النساء هذا ولما تمت بيعة الرجال بايعه النساء وكن يبايعن على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصين الرسول في معروف (ثم) أمر عليه السلام بلالاً أن

يؤذن على ظهر الكعبة وهذا بدء ظهور الاسلام على ظهر هذا البيت الكريم فلا عجب أن اتخذ المسلمون هذا اليوم عيداً يحمدون فيه الله حق حمده على هذه النعمة الكبرى والنصر العظيم

هدم العزى

وأقام عليه السلام بمكة بعد فتحها تسعة عشر يوماً يقصر فيها الصلاة وولى عليها عتابَ بن أسيد وجعل رزقه كل يوم درهماً فكان عتاب رضى الله عنه يقول لا أشبع الله بطناً جاع على درهم كل يوم (وفى الخامس) من مقامه عليه السلام بمكة أرسل خالد بن الوليد فى ثلاثين فارساً لهدم هيكل العزى وهى أكبر صنم لقريش وكان هيكلها ببطن نخلة فتوجه اليها خالد وهدمها (وأرسل عليه السلام) عمرو بن العاص لهدم سواع وهو أعظم صنم لهذيل وهيكله على ثلاثة أميال من مكة فذهب اليه وهدمه (وبعث) سعد بن زيد الاشهلى فى عشرين فارساً لهدم مناة وهى صنم لكلب وخزاعة وهيكلها بالمشلل وهو جبل على ساحل البحر يهبط منه الى قديد فتوجهوا اليها وهدموها

هدم سواع

هدم مناة

غزوة حنين

بهذا الفتح العظيم وسقوط دولة الاوثان دانت الاسلام

جموع العرب ودخلوا فيه أفواجاً أما قبيلتا هوازن وثقيف فأدركتهما حمية الجاهلية واجتمع الاشراف منهم للشورى وقالوا قد فرغ محمد من قتال قومه ولا ناهية له عنا فلنغزه قبل أن يغزونا فأجمعوا أمرهم على ذلك وولوا رياستهم مالك بن عوف النصرى فاجتمع له من القبائل جموع كثيرة فيهم بنو سعد بن بكر الذين كان رسول الله مسترضعاً فيهم وكان فى القوم دريد بن الصمة المشهور باصالة الرأى وشدة البأس فى الحرب ولتقدم سنه لم يكن له فى هذه الحرب الا الرأى ثم ان مالك بن عوف أمر الناس ان يأخذوا معهم نساءهم وذراريهم وأموالهم فلما علم بذلك دريد سأل مالكاً عن السبب فقال سقت مع الناس أموالهم وذراريهم ونساءهم لاجعل خلف كل رجل أهله وماله يقاتل عنه فقال دريد وهل يرد المنهزم شئ ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك فلم يقبل مالك مشورته وجعل النساء صفوفاً وراء المقاتلة ووراءهم الابل ثم البقر ثم الغنم كيلا يفر أحد من المقاتلين (أما) رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما بلغه ان هوازن وثقيف يستمدون لحربه أجمع

رأيه على المسير اليهم وخرج معه اثنا عشر الف غاز منهم ألفان من أهل مكة والباقون هم الذين أتوا معه من المدينة وخرج أهل مكة ركباناً ومشاة حتى النساء يمشين من غير ضعف يرجون الغنائم وخرج فى الجيش ثمانون من المشركين منهم صفوان ابن أمية وسهيل بن عمرو ولما قرب الجيش من معسكر العدو صف عليه السلام الغزاة وعقد الالوية فأعطى لواء المهاجرين لعلى بن ابى طالب ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ولواء الاوس لاسيد بن حضير وكذلك أعطى الوية لقبائل العرب الاخرى ثم ركب عليه السلام بغلته ولبس درعين والبيضة والمغفر هذا وقد أعجب المسلمون بكثرتهم فلم تغن عنهم شيئاً فان مقدمة المسلمين توجهت جهة العدو فخرج لهم كمين كان مستتراً فى شعاب الوادى ومضايقه وقابلهم بنبل كأنه الجراد المنتشر فلووا أعنة خيلهم متقهقرين ولما وصلوا الى من قبلهم تبعوهم فى الهزيمة لما لحقهم من الدهشة اما رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت على بغلته فى ميدان القتال وثبت معه قليل من المهاجرين والانصار منهم أبو بكر وعمر وعلى والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحارث وأخوه ربيعة بن الحارث ومعتب بن

أبي لهب وكان العباس آخذا بلجام البغلة وأبو سفيان آخذ بالركاب وكان عليه السلام ينادي الىّ أيها الناس ولا يلوى عليه احد وضاقت بالمنهزمين الارض بما رحبت أما رجال مكة الذين هم حديثو عهد بالاسلام والذين لم ينزعوا عنهم ربقة الشرك فمنهم من فرح ومنهم من ساءه هذا الادبار فقال أبو سفيان بن حرب لا تنتهي هزيمتهم دون البحر وقال اخ لصفوان بن أمية الآن بطل السحر فقال له صفوان وهو على شركه اسكت فض الله فاك والله لان يربني رجل من قريش خير من ان يربني رجل من هوازن ومر عليه رجل من قريش وهو يقول ابشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجبرونها ابداً فغضب صفوان وقال ويلك أتبشرني بظهور الاعراب وقال عكرمة بن أبي جهل لذلك الرجل كونهم لا يجبرونها أبداً ليس بيدك الامر بيد الله ليس الى محمد منه شيء ان أديل عليه اليوم فان العاقبة له غدا فقال سهيل بن عمرو والله ان عهدك بخلافه لحديث فقال له يا أبا يزيد انا كنا على غير شيء وعقولنا ذاهبة نعبد حجراً لا يضر ولا ينفع (وبلغت) هزيمة بعض الفارين مكة كل هذا ورسول الله واقف

مكانه يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب ثم قال للعباس وكان جهوري الصوت ناد بالانصار يا عباس فنادى يامعشر الانصار يا أصحاب بيعة الرضوان فاسمع من في الوادي وصار الانصار يقولون لبيك لبيك ويريد كل واحد منهم ان يلوي عنان بعيره فيمنعه من ذلك كثرة الاعراب المنهزمين فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه وينزل عن بعيره ويخلي سبيله ويؤم الصوت حتى اجتمع حول رسول الله جمع عظيم منهم وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم يروها فكر المسلمون على عدوهم يداً واحدة فانتكث فتل المشركين وتفرقوا في كل وجه لا يلوون على شيء من الاموال والنساء والذراري وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فأخذوا النساء والذراري وأسروا كثيراً من المحاربين وهرب من هرب وجرح في هذا اليوم خالد بن الوليد جراحات بالغة وأسلم ناس كثيرون من مشركي مكة لما رأوه من عناية الله بالمسلمين (هذا) والذي حصل في هذه الغزوة درس مهم من دروس الحرب فان هذا الجيش دخله أخلاط كثيرون من مشركين وأعراب وحديثي عهد باسلام وهؤلاء سيان عندهم

نصر الاسلام وخذلانه ولذلك بادروا لاول صدمة الى الهزيمة وكادت تتم الكلمة على المسلمين لولا فضل الله فلا ينبغى ان يكون فى الجيش الامن يقاتل خالصاً مخلصاً من قلبه ليكون مدافعاً حقاً عن دينه فلا تميل نفسه الى الفرار خشية ماأعده الله للفارين من أليم العقاب

سبية ثم أمر عليه السلام بجمع السبي والغنائم وكانت نحو أربعة وعشرين ألف بعير وأكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية من الفضة فجمع ذلك كله بالجعرانه (أما) المشركون فتفرقوا ثلاث فرق فرقة لحقت بالطائف وفرقة لحقت بنخله وفرقة

سرية عسكرت بأوطاس فأرسل عليه السلام لهذه الفرقة أبا عامر الاشعرى فى جماعة منهم أبو موسى الاشعرى فسار اليهم وبددهم وظفر بما بقى معهم من الغنائم وقد استشهد أبو عامر فى هذه الغزوة وخلف على الغزاة أخاه أبا موسى فرجع ظافراً منصوراً

غزوة الطائف (وسار) عليه السلام بمن معه الى الطائف ليجهز على بقية حياة ثقيف ومن تجمع معهم من هوازن وجعل على مقدمته خالد ابن الوليد ومر عليه السلام بحصن لعوف بن مالك النصرى فأمر بهدمه ومر ببستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فأرسل

اليه أن اخرج والا حرقنا عليك بستانك فامتنع الرجل فأمر عليه السلام بحرقه ولما وصل المسلمون الى الطائف وجدوا الاعداء قد تحصنوا به وادخلوا معهم قوت سنتهم فعسكر المسلمون قريب الحصن فرماهم المشركون بالنبل رمياً شديداً حتى أصيب منهم كثيرون بجراحات منهم عبد الله بن أبي بكر وقد طاوله جرحه حتى أماته في خلافة أبيه ومنهم أبو سفيان ابن حرب ففقئت عينه وقد مات بالجراحات اثنا عشر رجلاً من المسلمين ولما رأى رسول الله أن العدو متمكن من رميهم ارتفع محل مسجد الطائف الآن وضرب لام سلمة وزينب قبتان هناك واستمر الحصار ثمانية عشر يوماً كان فيها ينادي خالد بن الوليد بالبراز فلم يجبه أحد وناداه عبد ياليل عظيم ثقيف لا ينزل اليك منا أحد ولكن نقيم في حصننا فان فيه من الطعام مايكفينا سنين فان أقمت حتى يفني هذا الطعام خرجنا اليك بأسيافنا جميعاً حتى نموت عن آخرنا فأمر عليه السلام بأن ينصب عليهم المنجنيق فنصب ودخل جمع من الاصحاب تحت دبابتين لينقبوا الحصن فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار حتى أرجعوهم فأمر عليه السلام ان تقطع أعنابهم ونخيلهم فقطع

المسلمون فيها قطعاً ذريعاً فناداه أهل الحصن أن دعها لله وللرحم فقال أدعها لله وللرحم ثم أمر من ينادي بأن كل من ترك الحصن ونزل فهو آمن فخرج اليه بضعة عشر رجلاً (ولما) رأى عليه السلام ان تمنع ثقيف شديد وان الفتح لم يؤذن فيه استشار نوفل بن معاوية الديلي في الذهاب او المقام فقال يارسول الله ثعلب في جحر ان أقمت أخذته وان تركته لم يضرك فأمر عليه السلام بالرحيل وطلب منه بعض الصحابة ان يدعو على ثقيف فقال (اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين)

ثم رجع عليه السلام الى الجعرانة حيث ترك السبي فأحصاه وخمسه وأعطى منه شيئاً كثيراً لاناس ضعف اسلامهم يتألفهم بذلك وأعطى أناساً لم يسلموا ليحببهم في الاسلام ومن الاولين أبو سفيان اعطاه اربعين أوقية من الذهب ومائة من الابل وكذلك ابناه معاوية ويزيد فقال له بأبي أنت وأمي لأنت كريم في السلم والحرب ومنهم حكيم بن حزام أعطاه كأبي سفيان فاستزاده فأعطاه مثلها ثم استزاده فاعطاه مثلها وقال يا حكيم (ان هذا المال خضرة حلوة فمن اخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن اخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا

تقسيم السبي

يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى) فأخذ حكيم المائة الاولى وترك ما عداها ثم قال والذى بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا فكان الخلفاء بعد رسول الله يعرضون عليه العطاء الذى يستحقه من بيت المال فلا يأخذه وأعطى عليه السلام عيينة بن حصن مائة من الابل وكذلك الاقرع بن حابس والعباس بن مرداس وأعطى صفوان بن أمية شعباً مملوءاً نعماً وشاء كان رآه يرمقه فقال له هل يعجبك هذا قال نعم قال هو لك فقال صفوان ما طابت بمثل هذا نفس أحد وكان ذلك سبب اسلامه وكان عليه السلام يقصد من هذه العطايا تأليف القلوب وجمعها على الدين القويم وهذا ضرب من ضروب السياسة الدينية حتى جعل من الصدقات قسم للمؤلفة قلوبهم وقد عاد ذلك بفائدة عظمى فان كثيرين ممن أعطوا فى هذا اليوم ولم يكونوا أشربوا فى قلوبهم حب الاسلام صاروا بعد من أجلاء المسلمين واعظمهم نفعاً كصفوان ابن أمية ومعاوية بن أبى سفيان والحارث بن هشام وغيرهم (ثم) أمر عليه السلام زيد بن ثابت فاحصى ما بقى من الغنائم وقسمه على الغزاة بعد أن اجتمع اليه الاعراب وصاروا

يقولون له اقسم علينا حتى الجؤه الى شجرة واختطفوا رداءه فقال (ردوا ردائى أيها الناس فو الله لو كان لى فيها شجر تهامة لقسمته عليكم ثم ما ألفيتمونى بخيلاً ولا جبانا ولا كذوداً) ثم قام الى بعيره وأخذ وبرة من سنامه (وقال أيها الناس والله مالى من غنيمتكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم فأدوا الخياط والمخيط فان الغلول يكون على أهله عاراً وشناراً وناراً يوم القيامة) فصار كل من أخذ شيئاً من الغنائم خلسة يرده ولو كان زهيداً ثم ابتدأ يقسم فأصاب الراجل أربعة من الابل وأربعون شاة والفارس ثلاثة أمثال ذلك فقال رجل من المنافقين هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فغضب عليه السلام حتى احمر وجهه وقال (ويحك من يعدل اذا لم أعدل) فلم يؤده غضبه ان ينتقم لنفسه حاشاه عليه السلام من ذلك بل لم يزد على ان نصح وحذر وقال له عمر وخالد بن الوليد دعنا يا رسول الله نضرب عنقه فقال لا لعله ان يكون يصلى فقال خالد وكم من مصل يقول بلسانه ماليس فى قلبه فقال عليه السلام انى لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق عن بطونهم (ولما) أعطى رسول الله ما أعطى من تلك العطايا

لقريش وقبائل العرب وترك الانصار غضب بعضهم حتى قالوا ان هذا لهو العجب يعطى قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فبلغه ذلك فأمر بجمعهم وليس معهم غيرهم فلما اجتمعوا قال (يا معشر الانصار ما مقالة بلغتنى عنكم ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بى وعالة فأغناكم الله بى واعداء فألف الله بين قلوبكم بى ان قريشاً حديثو عهد بكفر ومصيبة وانى أردت ان أجبرهم وأتألفهم أغضبتم يا معشر الانصار فى أنفسكم لشئ قليل من الدنيا ألفت به قوماً ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم الثابت الذى لا يزلزل ألا ترضون يامعشر الانصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعباً وسلك الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار) فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسماً وحظاً ثم انصرف عليه السلام وتفرقوا

وفود هوازن وبعد بضع عشرة ليلة جاء عليه السلام وفد هوازن برأسهم زهير بن صرد وقالوا يا رسول الله ان فيمن أصبتهم

الامهات والعمات والخالات وهن مخازى الاقوام ونرغب الى الله واليك يا رسول الله وقال زهير ان فى الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك ثم قال أبياتاً يستعطفه بها

امنن علينا رسول الله فى كرم * فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذفوك مملوءة من مخضها الدرر
انا لنشكر للنعماء ان كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخرا
انا نؤمل عفواً منك نلبسه * هدى البرية أن تعفو وتنتصر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه * من امهاتك ان العفو مشتهر

فقال عليه السلام ان أحب الحديث الى أصدقه فاختاروا احدى الطائفتين اما السبي واما المال وقد كنت انتظرتكم حتى ظننت انكم لا تقدمون فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئاً ارْدد علينا نساءنا وابناءنا فهو أحب الينا ولا نتكلم فى شاة ولا بعير فقال عليه السلام أما مالى ولبنى عبد المطلب فهو لكم فاذا أنا صليت الظهر فقوموا وقولوا نحن نستشفع برسول الله الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله بعد ان تظهروا اسلامكم وتقولوا نحن اخوانكم فى الدين ففعلوا فقال عليه السلام لاصحابه

(أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤا تائبين وانى قد رأيت ان أرد عليهم سبيهم فمن أحب أن يطيب بذلك فليفعل ومن أحب منكم ان يكون على حظه حتى نعطيه اياه من اول مايفئ الله علينا فليفعل) فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله وامتنع من ذلك جماعة من الاعراب كالاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والعباس بن مرداس فأخذه الرسول منهم قرضا وأمر عليه السلام بأن تحبس عائلة مالك بن عوف النصرى رئيس تلك الحرب بمكة عند عمتهم أم عبد الله بن ابى أمية فقال له الوفد أولئك ساداتنا فقال عليه السلام انما أريد بهم الخير ثم سأل عن مالك فقالوا هرب مع ثقيف فقال أخبروه انه ان جاءنى مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل فلما بلغ ذلك مالكاً نزل من الحصن خفية حتى أتى رسول الله بالجعرانة فأسلم وأحرز ماله وأهله واستعمله عليه السلام على من أسلم من هوازن (ثم) ان الرسول صلى الله عليه وسلم اعتمر فأحرم من الجعرانة ودخل مكة بليل فطاف واستلم الحجر ثم رجع من ليلته وكانت اقامته بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة ثم أمر عليه السلام بالرحيل فسار الجيش آمنا مطمئناً حتى دخل

عمرة الجعرانة

المدينة لثلاث بقين من ذى القعدة

وغزوة حنين هى التى فرق الله بها جموع الشرك وأدال دولته وافقد سراة أهله فان هوازن لم تترك وراءها رجلاً تمكنه الحرب الا ساقته ولم تترك لها بعيراً ولا شاة الا جاءت به معها فأراد الله اعزاز الاسلام بخذلان اعدائه وأخذ أموالهم فانكسرت حدة المشركين ولم يبق فيهم من يمانع او يدافع ولذلك يمكننا ان نقول ان انكسار هوازن كان خاتمة لحروب العرب فلم يبق فيهم الا فئات قليلة يسوقهم الطيش الى اشهار السلاح ثم لا يلبثون ان يغمدوا السيوف حينما تظهر لهم قوة الحق الساطعة

سرية — ولما رجع عليه السلام الى المدينة أرسل قيس بن سعد فى اربعمائة ليدعو صداء (قبيلة تسكن اليمن) الى الاسلام فجاء الى رسول الله رجل منهم فقال يا رسول الله انى جئتك وافدا عمن ورائى فاردد الجيش وانا لك بقومى فامر عليه السلام برد الجيش وخرج الرجل الى قومه فقدم بخمسة عشر رجلا منهم فنزلوا ضيوفاً على سعد بن عبادة ثم بايعوا رسول الله على الاسلام وقالوا نحن لك على من وراءنا من قومنا ولما رجعوا

وفد صداء

فشا فيهم الاسلام وقدم على رسول الله منهم مائة فى حجة الوداع

سرية ثم أرسل عليه السلام بشر بن سفيان العدوى الى بنى كعب من خزاعة لاخذ صدقات أموالهم فنعهم بنو تميم المجاورون لهم من أداء ما فرض عليهم فلما علم بذلك رسول الله أرسل اليهم عيينة بن حصن فى خمسين فارسا من الاعراب فجاءهم وحاربهم واخذ منهم أحد عشر رجلاً واحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبياً وتوجه بالكل الى المدينة فأمر عليه السلام بجعلهم فى دار رملة بنت الحارث فجاء فى اثرهم وفد تميم فيه وفود تميم

عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم فجلسوا ينتظرون الرسول فلما أبطأ عليهم نادوا من وراء الحجرات بصوت جاف يا محمد اخرج الينا نفاخرك فان مدحنا زين وان ذمنا شين فخرج اليهم عليه السلام وقد تأذى من صياحهم وفيهم نزل (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم) وكان الوقت وقت الظهر فأذن بلال ودخل النبى للصلاة فتعلقوا به يقولون نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا

لتشاعرك ونفاخرك فقال لهم عليه السلام (ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا) ثم صلى الظهر واجتمع حوله رجال الوفد يتفاخرون بمجدهم ومجد آبائهم وقد مدح عمرو بن الاهتم الزبرقان بن بدر فقال انه لمطاع فى أنديته سيد فى عشيرته فقال الزبرقان حسدنى يا رسول الله لشرفى وقد علم أفضل مما قال فقال عمرو انه لزمن المروءة ضيق العطن لئيم الخال فرؤى الغضب فى وجه رسول الله لاختلاف قولى عمرو فقال يارسول الله لقد صدقت فى الاولى وما كذبت فى الثانية رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أسوأ ما علمت فقال عليه السلام (ان من البيان لسحرا) ثم اسلم القوم فرد النبي عليهم أسراهم وأحسن جائزتهم وأقاموا مدة يتعلمون فيها القرآن ويتفقهون فى الدين

سرية ثم بعث عليه السلام الوليد بن عقبة بن ابى معيط لاخذ صدقات بنى المصطلق فلما علموا بقدومه خرج منهم عشرون رجلاً متقلدين سلاحهم احتفالاً بقدومه ومعهم ابل الصدقة فلما نظرهم ظنهم يريدون حربه لما كان بينه وبينهم من العداوة فى الجاهلية فرجع مسرعاً الى المدينة وأخبر الرسول ان القوم

ارتدوا ومنعوا الزكاة فأرسل اليهم خالد بن الوليد لاستكشاف الخبر فسار اليهم فى عسكره خفية حتى اذا كان بناديهم سمع مؤذنهم يؤذن بالصبح فأتاهم خالد فلم يرمنهم الاطاعة فرجع وأخبر الرسول فارسل عليه السلام لهم غير الوليد لأخذ الصدقات وفى الوليد نزل (يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)

سرية

ثم بلغ رسول الله ان جمعاً من الحبشة رآهم أهل جده فى مراكبهم يريدون الاغارة عليها فارسل لهم علقمة بن محرز فى ثلاثمائة فذهب حتى وصل جدة ونزل فى المراكب ليدركهم وكان الاحباش متحصنين فى جزيرة هناك فلما رأوا المسلمين يريدونهم هربوا ولم يلق المسلمون كيداً فرجع علقمة بمن معه ولما كان بالطريق أذن لسرعان القوم أن يتعجلوا وأمر عليهم عبدالله بن حذافة السهمى وكان فيه دعابة فأوقد لهم فى الطريق ناراً وقال لهم الستم مأمورين بطاعتى قالوا نعم قال عزمت عليكم الا ماتواثبتم فى هذه النار فقال بعضهم ما اسلمنا الا فراراً من النار وهم بذلك بعضهم فنعهم عبدالله وقال كنت مازحاً فلما ذكروا ذلك لرسول الله قال (لا طاعة لمخلوق فى

معصية الخالق)

السنة التاسعة سرية

في ربيع الاول أرسل عليه السلام على بن أبى طالب في خمسين فارساً لهدم الفُلْس (صنم لطيء) فسار اليه وهدمه وأحرقه ولما حارب عُبَّاده هزمهم واستاق نعمهم وشاءهم وسبيهم وكان فيه سفَّانة بنت حاتم طيء ولما رجع على الى المدينة طلبت سفانة من رسول الله أن يمن عليها فأجابها لانه كان من سننه أن يكرم الكرام فدعت له وكان من دعائها (شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يداستغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة كريم الا وجعلك سبباً لردها عليه) وكانت هذه المعاملة من رسول الله سبباً في اسلام أخيها عدى ابن حاتم الطائى الذى كان فرّ الى الشام عند ما رأى الرايات الاسلامية قاصدة بلاده وكان من حديث مجيئه أن أخته توجهت اليه بالشام وأخبرته بما عوملت به من الكرم فقال لها ما ترين فى أمر هذا الرجل فقالت أرى أن تلحق به سريعاً فان يكن نبياً فللسابق اليه فضل وان يكن ملكاً فأنت أنت

وفود عدي بن حاتم

فقال والله هذا هو الرأى فخرج حتى جاء المدينة ولقى رسول

الله فقال عليه السلام من الرجل قال عدى بن حاتم فأخذه
الى بيتـه وبينما هما يمشيان اذ لقيت رسول الله امرأة عجوز
ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه فى حاجتها فقال
عـدى والله ما هو بـملك ثم مضى رسـول الله حـتى اذا
دخل بيته تناول وسادة من جلد محشوة ليفاً فقدمها الى عدى
وقال اجلس على هذه فقال بل أنت تجلس عليها فامتنع عليه
السلام وأعطاها له وجلس هو على الارض ثم قال يا عدى
أسلم تسلم قالها ثلاثاً فقال عدى انى على دين (وكان نصرانياً)
فقال له عليه السلام انا أعلم بدينك منك فقال عـدى أأنت
أعلم بدينى منى قال نعم ثم عدد له أشياء كان يفعلها اتباعاً لقواعد
العرب وليست من دين المسيح فى شئ كأخذه المرباع وهو
ربع الغنائم ثم قال يا عدى انما يمنعك من الدخول فى الدين
ما ترى تقول انما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قدرة لهم وقد
رمتهم العرب مع حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض
فيهم حتى لا يوجـد من يأخذه ولعلك انما يمنعك من
الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم أتعرف
الحيرة قال لم أرها وقـد سمعت بها قال فوالله ليتمن هـذا

الامر حتى تخرج المرأة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار احد ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه انك ترى الملك والسلطان فى غيرهم وايم الله ليوشكن ان تسمع بالقصور البيض من ارض بابل قد فتحت عليهم) فاسلم عدى رضى الله عنه وعاش حتى رأى كل ذالك

غزوة تبوك بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الروم جمعت الجموع تريد غزوه فى بلاده وكان ذلك فى زمن عسرة الناس وجدب البلاد وشدة الحر حين طابت الثمار والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم فامر عليه السلام بالتجهز وكان قلما يخرج فى غزوة الا ورى بغيرها ليعمى الاخبار على العدو الا فى هذه الغزوة فانه أخبر بمقصده لبعد الشقة وكثرة العدو ليأخذ الناس عدتهم لذلك وبعث الى مكة وقبائل الاعراب يستنفرهم لذلك وحث الموسرين على تجهيز المعسرين فانفق عثمان بن عفان عشرة آلاف دينار وأعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وخمسين فرسا فقال عليه السلام اللهم ارض عن عثمان فانى راض عنه وجاء أبو بكر بكل ماله وهو أربعة آلاف درهم فقال عليه السلام هل أبقيت لاهلك شيئا فقال أبقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر بن

لخطاب بنصف ماله وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائة أوقية وجاء
لعباس وطلحة بمال كثير وتصدق عاصم بن عدى بسبعين وسقاً
ن تمر وأرسلت النساء بكل مايقدرن عليه من حليهن وجاء عليه
لسلام سبعة أنفس من فقهاء الصحابة يطلبون اليه ان يحملهم
فقال لاأجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع
حزناً ان لا يجدوا ما ينفقون فجهز عثمان ثلاثة منهم وجهز
لعباس اثنين وجهز يامين بن عمرو اثنين ولما اجتمع الرجال
خرج بهم رسول الله وهم ثلاثون ألفاً وولى على المدينة
محمد بن مسلمة وعلى أهله على بن أبى طالب وتخلف كثير
من المنافقين يرأسهم عبد الله بن أبى وقال يغزو محمد بنى
لاصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد يحسب محمد ان قتال بنى
لاصفر معه اللعب والله لكأنى أنظر الى أصحابه مقرنين فى الحبال
واجتمع جماعة منهم فقالوا فى حق رسول الله وأصحابه مايريدون
من الارجاف فبلغه ذلك فأرسل اليهم عمار بن ياسر يسألهم
عما قالوا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب وجاء اليه جماعة منهم الجد
بن قيس يعتذرون عن الخروج فقالوا يا رسول الله ائذن لنا
ولا تفتنا لانا لانأمن نساء بنى الاصفر وجاء اليه المعذرون

من الاعراب وهم أصحاب الاعذار من ضعف اوقلة ليؤذن لهم فأذن لهم وكذلك استأذن كثير من المنافقين فاذن لهم وقد عتب الله عليه فى ذلك الاذن بقوله (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) ثم قال فى حقهم (انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون) ثم كذبهم الله فى عذرهم فقال (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عُدَّة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) ثم لكيلا يأسى المسلمون على قعود المنافقين عنهم قال جل ذكره (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين) وتخلف جماعة من المسلمين لا يتهمون فى اسلامهم منهم كعب بن مالك وهلال ابن امية ومرارة بن الربيع وابو خيثمة ولما خلف عليه السلام علياً قال المنافقون قد استثقله فتركه فأسرع على الى رسول الله وشكا له ما سمع فقال عليه السلام (أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى) ثم سار عليه السلام بالجيش وأعطى لواءه الاعظم أبا بكر الصديق وفى اعطاء اللواء لابى

بكر فى آخر غزوة للرسول وتخليف علىّ على أهـل البيت
حكمة لطيفة يفهمها القارئ وفرق عليه السلام الرايات فأعطى
الزبير راية المهاجرين وأسيد بن حضير راية الأوس والحباب
ابن المنذر راية الخزرج (ولما) مر الجيش بالحجر وهى ديار
ثمود قال عليه السلام لأصحابه (لاتدخلوا بيوت الذين ظلموا
الا وانتم باكون) ليشعر قلوبهم رهبـة الله وكان مستعملاً على
حرس الجيش عباد بن بشر وكان أبو بكر يصلى بالجيش ولما
وصلوا الى تبوك وكانت أرضاً لاعمارية فيها قال الرسول لمعاذ
ابن جبـل (يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ما هنا ملئ
بساتين) وقد كان ولما استراح الجيش لحقه ابو خيثمة وكان من خبر
مجيئه أن دخـل على أهله فى يوم حار فوجـد امرأتين له فى
عريشتين لهما فى بستان قد رشت كل منهما عريشتها وبردت
فيها ماء وهيأت طعاماً وكان يوماً شديد الحر فلما نظر ذلك
قال يكون رسول الله فى الحر وأبو خيثمة فى ظل بارد وماء مهيأ
وامرأة حسناء ما هذا بالنصف ثم قال والله لاأدخل عريشة
واحدة منكما حتى ألحق برسول الله فهيآ لى زاداً ففعلتا ثم ركب
بعيره وأخذ سـيفه ورمحه وخرج يريد رسول الله فصادفه

حين نزل بتبوك هـذا ولم ير عليه السـلام بتبوك جيشاً كما

وفود صاحب أيلة

كان قد سمع فاقام هناك أياماً جاءه فى أثنائها يوحنا صاحب أيلة وصحبته أهل جرباء (قرية جنوب الشام) واهل أذرح (مدينة تلقاء السراة) وأهل ميناء فصالح يوحنا رسول الله على اعطاء الجزية ولم يسـلم وكتب له الرسول كتاباً هـذه

كتاب صاحب أيلة

صورته (بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنا وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثاً فانه لا يحوز ماله دون نفسه وانه لطيبة لمن أخذه من الناس وأنه لا يحـل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر) وكتب لاهل

كتب اهل أذرح وجرباء

أذرح وجرباء كتاباً صورته (بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي لاهل أذرح وجرباء انهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وأن عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والاحسان للمسلمين) وصالح أهل ميناء على ربع ثمارهم (ثم) ان الرسول استشار أصحابه فى مجاوزة تبوك الى ما هو أبعد منها من ديار الشام فقال له عمر ان كنت أمرت بالسير فسر فقال عليه السلام

لو كنت أمرت بالسير لم أستشر فقال عمر يارسول الله ان للروم جموعاً كثيرة وليس بالشام أحد من أهل الاسلام وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا فى هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله أمراً فتبع عليه السلام مشورته وأمر بالقفول فرجع الجيش الى المدينة ولما كان على مقربة منها بلغه خبر مسجد الضرار وهو مسجد أسسه جماعة من المنافقين معارضة لمسجد قباء ليفرقوا جماعة المسلمين وجاء جماعة منهم الى الرسول طالبين منه أن يصلى لهم فيهم فسألهم عن سبب بنائه فحلفوا بالله ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون فأمر عليه السلام جماعة من أصحابه لينطلقوا اليه ويهدموه ففعلوا (هذا) ولما استقر عليه السلام بالمدينة جاءه جماعات من المنافقين الذين تخلفوا يعتذرون كذباً فقبل منهم عليه السلام علانيتهم ووكل ضمائرهم الى الله واستغفر لهم وجاءه كعب بن مالك الخزرجى ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية الأوسيان مقرين بذنوبهم فلما دخل عليه كعب تبسم تبسم الغضب وقال ما خلفك فقال يارسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ولقد اوتيت جدلاً ولكنى والله لقد علمت لئن

مسجد الضرار

حديث الثلاثة الذين خلفوا

حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله ان يسخط علىّ فيه ولئن حدثتك حديث صدق تغضب علىّ فيه انى لأرجو فيه عفو الله والله ما كان لى من عذر فقال عليه السلام أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك وقال صاحباه مثل قوله فقال لهما عليه السلام كما قال لكعب ونهى المسلمين عن كلامهم فاجتنبهم الناس وأمرهم ان يعتزلوا نساءهم واستأذنت زوج هلال بن أمية فى خدمة زوجها لانه شيخ ضائع ليس له خادم فأذن لها ولم يزالوا كذلك حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم فأرسل لهم عليه السلام من يبشرهم بهذه النعمة الكبرى فتلقاهم الناس أفواجاً أفواجاً يهنئونهم بتوبة الله فلما دخل كعب المسجد تلقاه رسول الله مسروراً فقال ابشر يا كعب بخير يوم يمر عليك منذ ولدتك امك فقال من عندك يارسول الله أم من عند الله قال بل من عند الله فقال كعب يارسول الله ان من توبتى ان انخلع من مالى صدقة لله ولرسوله فقال عليه السلام أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك ثم قرأ عليه السلام الآيات التى فيها توبته هو وأخويه (وعلى الثلاثة الذين

خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ان لاملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم)

وعقب مقدمه عليه السلام من تبوك وفد عليه وفد ثقيف — وفود ثقيف

وكان من خبرهم أنه لما انصرف رسول الله من محاصرتهم تبع أثره عروة بن مسعود الثقفي حتى ادركه قبل ان يصل الى المدينة فأسلم وسأله أن يرجع الى قومه ويدعوهم الى الاسلام فقال له انهم قاتلوك فقال يا رسول الله أنا احب اليهم من أبكارهم فخرج الى قومه يرجو منهم طاعته لمرتبته فيهم لانه كان فيهم محبباً مطاعاً فلما جاء الطائف وأظهر لهم ما جاء به رموه بالنبل فقتلوه وبعد شهر من مقتله ائتمروا فيما بينهم ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب فأجمعوا أمرهم على أن يرسلوا لرسول الله رجلاً منهم يكلمه وطلبوا من عبدياليل بن عمرو أن يكون ذلك الرجل فأبى وقال لست فاعلاً حتى ترسلوا معي رجالاً فبعثوا معه خمسة من أشرافهم فخرجوا متوجهين الى المدينة ولما قابلوا رسول الله ضرب لهم قبة في ناحية المسجد ليسمعوا القرآن ويروا الناس

اذا صلوا وكانوا يغدون الى رسول الله كل يوم ويخلفون فى
فى رحالهم أصغرهم سناً عثمان بن أبى العاص فكان اذا رجعوا ذهب
للنبي واستقرأه القرآن واذا رآه نائماً استقرأ أبا بكر حتى حفظ
شيئاً كثيراً من القرآن وهو يكتم ذلك عن أصحابه ثم أسلم القوم
وطلبوا أن يعين لهم من يؤمهم فأمر عليهم عثمان بن أبى العاص
لما رآه من حرصه على الاسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين ثم
كتب لهم كتاباً من جملته (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد
النبي رسول الله الى المؤمنين ان عضاه وج وصيده حرام
لا يعضد شجره ومن وجد يفعل شيئاً من ذلك فانه يجلد
وتنزع ثيابه) ثم سألوا رسول الله أن يؤجل هدم صنمهم
شهراً حتى يدخل الاسلام قلوب القوم ولا يرتاع السفهاء
من النساء من هدمها فرضى بذلك عليه السلام ولما خرجوا
من عنده قال لهم رئيسهم أنا أعلمكم بثقيف اكتموا عنهم
اسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال واخبروهم أن محمداً طلب
أموراً عظيمة أبيناها عليه سألنا أن نهدم الطاغية وأن نترك
الزنا وشرب الخمر والربا فلما حلوا بلادهم جاءتهم ثقيف فقال
الوفد جئنا رجلاً فظاً غليظاً قد ظهر بالسيف ودان الناس له

كتاب أهل الطائف

فرض علينا أموراً شديدة وذكروا ما تقدم فقالوا والله
لا نطيعه أبداً فقالوا لهم اصلحوا سلاحكم ورموا حصونكم
واستعدوا للقتال فأجابوا واستمروا على ذلك يومين أو ثلاثاً
القى الله فيها الرعب في قلوبهم فقالوا والله ما لنا بحربه من
طاقة ارجعوا اليه وأعطوه ما سأل فقال الوفد قد قاضيناه
وأسلمنا فقالوا لم كتمتم علينا ذلك قالوا حتى تذهب عنكم
نخوة الشيطان فأسلموا ولما بلغ رسول الله اسلام ثقيف
أرسل أبا سفيان والمغيرة بن شعبة الثقفي لهدم اللات صنم هدم اللات
ثقيف بالطائف فتوجهوا وهدموه حتى سووه بالارض

وفي أخريات ذي القعدة أرسل عليه السلام أبا بكر
ليحج بالناس فخرج في ثلاثمائة رجل من المدينة ومعه حج ابي بكر
الهدي عشرون بدنة أهداها رسول الله وساق أبو بكر
خمس بدنات ولما سافر نزل على رسول الله أوائل سورة
براءة فأرسل بها علياً ليبلغها الناس في يوم الحج الاكبر وقال
لا يبلغ عني الا رجل مني فلحق أبا بكر في الطريق فقال
الصديق هل استعملك رسول الله على الحج قال لا ولكن
بعثني أقرأ أوائل براءة على الناس فلما اجتمعوا بمنى يوم النحر

قرأ عليهم علىّ ثلاث عشرة آية من أول براءة تتضمن نبذ العهود لجميع المشركين الذين لم يوفوا عهودهم وأمهالهم أربعة أشهر يسيحون فيها فى الارض كيف شاؤا واتمام عهد المشركين الذين لم يظاهروا على المسلمين ولم يغدروا بهم الى مدته ثم نادى لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكان على يصلى فى هذا السفر وراء أبى بكر رضى الله عنهما

وفاة ابن أبىّ

وفى ذى القعدة مات عبد الله بن ابى وقد صلى عليه رسول الله صلاة لم يطل مثلها وشيع جنازته حتى وقف على قبره وانما فعل ذلك تطييباً لقلب ولده عبد الله بن عبد الله وتأليفاً لقلوب الخزرج لمكانة عبدالله بن أبى فيهم وقد نزع ربقة النفاق كثير من المنافقين بعد هذا اليوم لما رأوه من أعمال السيد الكريم صلى الله عليه وسلم وقد نهى الله رسوله بعد ذلك عن الصلاة على المنافقين فقال جل شأنه (ولا تصلّ على احد منهم مات ابداً ولا تقم على قبره)

وفاة ام كلثوم

وفى هذه السنة توفيت ام كلثوم بنت رسول الله وزوج عثمان رضى الله عنه

في ربيع الآخر أرسل عليه السلام خالد بن الوليد في جمع لبني عبد المدان بنجران من ارض اليمن وأمره ان يدعوهم الى الاسلام ثلاث مرات فان ابوا قاتلهم فلما قدم اليهم بعث الركبان في كل وجه يدعون الى الاسلام ويقولون أسلموا تسلموا فأسلموا ودخلوا في دين الله أفواجاً فأقام خالد بينهم يعلمهم الاسلام والقرآن وكتب الى رسول الله بذلك فأرسل اليه ان يقدم بوفدهم ففعل وحين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم قال لهم بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحداً بظلم قال صدقتم وأمر عليهم زيد بن حصين (وفي) رمضان أرسل عليه السلام عليا في جمع الى بني مذحج (قبيلة يمانية) وعممه بيده وقال (سر حتى تنزل بساحتهم فادعهم الى قول لا إله الا الله فان قالوا نعم فمرهم بالصلاة ولا تبغ منهم غير ذلك ولأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس ولا تقاتلهم حتى يقاتلوك) فلما انتهى اليهم لقي جموعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل فصف على اصحابه وأمرهم بالقتال فقاتلوا حتى هزموا عدوهم فكف عن طلبهم قليلاً ثم لحقهم ودعاهم الى الاسلام

السنة العاشرة
سرية
سرية

فأجابوا وبايعه رؤساؤهم وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا نخذ منها حق الله فقعل ثم رجع الى رسول الله فوافاه بمكة فى حجة الوداع

بعث العمال على اليمن

ثم بعث عليه السلام الى اليمن عمالاً من قبله فبعث معاذ ابن جبل على الكورة العليا من جهة عدن وبعث أبا موسى الاشعرى على الكورة السفلى ووصاهما عليه السلام بقوله (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا) وقال لمعاذ (انك ستأتى قوما أهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى ان يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فان أطاعوا لك بذلك فأخبرهم ان الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة فان أطاعوا لك بذلك فأخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب) وقد مكث معاذ باليمن حتى توفى رسول الله أما أبو موسى فقدم على الرسول فى حجة الوداع

حجة الوداع

وفى السنة العاشرة حج عليه السلام بالناس حجة ودع فيها المسلمين ولم يحج غيرها وخرج لها يوم السبت لخمس بقين

من ذى الحجة وولى على المدينة أبا دجانة الانصارى وكان مع الرسول جمع عظيم يبلغ تسعين ألفا وأحرم للحج حيث انبعثت به راحلته ثم لبى فقال (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) ولم يزل عليه السلام سائراً حتى دخل مكة ضحى من الثنية العليا وهى ثنية كداء ولما رأى البيت قال اللهم زده تشريفاً وتعظيماً ومهابة وبرا ثم طاف بالبيت سبعاً واستلم الحجر الاسود وصلى ركعتين عند مقام ابراهيم ثم شرب من ماء زمزم ثم سعى بين الصفا والمروة سبعاً راكباً على راحلته وكان اذا صعد الصفا يقول لا اله الا الله الله أكبر لا اله الا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وفي الثامن من ذى الحجة توجه الى منى فبات بها وفي التاسع منه توجه الى عرفة وهناك خطب خطبته الشريفة التي بين فيها الدين كله أسه وفرعه وهاك نصها (الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

خطبة الوداع

أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته واستفتح بالذي هو خير (أما بعد) أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فاني لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا (أيها الناس) ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا الاهل بلغت اللهم فاشهد فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها وان ربا الجاهلية موضوع وان أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب وان دماء الجاهلية موضوعة وأول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث وان مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية (والعمد) قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية (أيها الناس) ان الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم (أيها الناس) (١) ان النسئ زيادة في الكفر يُضَل

---

(١) كانت العرب تستعمل فى حسابها الاشهر الهلالية وكانت الاعمال التى كلفوا بها من عهد ابراهيم واسماعيل كالحج وتحريم الاشهر الحرم مرتبطة بهذه الشهور ولما رأوا ان سيرهم على هذه القاعدة مما يضر

به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السموات والارض منها أربعة حرم ثلاث متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان الاهل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) ان لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم

بمصالحهم التجارية اذ قد يجيء الحج في فصل لايناسبه وقد تحل الاشهر الحرم في فصل لاتناسب تجارتهم فيه عمدوا الى السنة الهلالية فأضافوا على آخرها أياماً سموها أيام النسيء لتوافق السنة الشمسية حتى يكون كل عمل ثابتاً في الفصل الذي يناسبه وكانوا يجمعون هذه الايام حتى تستكمل شهراً فيضيفونها فنتج من ذلك ان بعض السنين تكون اثنى عشر شهراً وبعضها ثلاثة عشر فتارة يجيء الحج في شهره ذي الحجة وتارة في ذي القعدة وهكذا حتى يدور الدور فيأتي في ذي الحجة ثانياً فلما كانت حجة الوداع أمر عليه السلام بابطال هذه القاعدة كما أمره الله والسير على الاشهر الهلالية وكان الدور قد دار وجاء الحج في شهره ولذلك قال (ان الزمان قد استدار الخ)

الا باذنكم ولا يأتين بفاحشة فان فعلن فان الله أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح فان انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وانما النساء عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيأ أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيراً ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) انما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرئ مال أخيه الا عن طيب نفس منه الاهل بلغت اللهم اشهد فلا ترجعن بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فانى قد تركت فيكم ما ان أخذتم به لم تضلوا بعده كتاب الله ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربى فضل على عجمى الا بالتقوى الاهل بلغت اللهم اشهد فليبلغ الشاهد منكم الغائب (أيها الناس) ان الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا تجوز لوارث وصيته ولا تجوز وصية فى أكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر من ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس

أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل والسلام عليكم ورحمة الله)
وفى هذا اليوم امتن الله على المؤمنين بقوله (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) فلا غرابة أن اتخذ المسلمون عيداً ويوماً سعيداً يظهرون فيه شكر الله على هذه النعمة الكبرى ثم انه عليه السلام أدى مناسك الحج من رمى الجمار والنحر والحلق والطواف وبعد أن أقام بمكة عشرة أيام قفل الى المدينة ولما رآها كبر ثلاثاً وقال (لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده)

الوفود

فى هذه السنة والتى قبلها كان وفود العرب الى رسول الله ليبايعوه على الاسلام وكانوا يقدمون أفواجاً ولما فى أخبار هذه الوفود من التعاليم الحميدة التى يحتاج ذو الادب ان يعرفها رأينا ان نذكر لك منها مايزيدك يقينا وينير بصيرتك فنقول

وفود نجران

(من) الوفود وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكباً دخلوا المسجد وعليهم ثياب الحبرة وأردية الحرير مختمين بالذهب

ومعهم بسط فيها تماثيل ومسوح جاؤ بها هدية للنبي صلى الله
عليه وسلم فلم يقبل البسط وقبل المسوح ولما جاء وقت صلاتهم
صلوا فى المسجد مستقبلين بيت المقدس ولما أتموا صلاتهم دعاهم
عليه السلام للاسلام فأبوا وقالوا كنا مسلمين قبلكم فقال عليه
السلام يمنعكم من الاسلام ثلاث عبادتكم الصليب وأكلكم
لحم الخنزير وزعمكم ان لله ولداً قالوا فمن مثل عيسى خلق من
غير أب فأنزل الله في ذلك (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم
خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وليظهر الله لهم انهم
فى شك من أمرهم أنزل (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك
من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا
وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فدعاهم
عليه السلام لذلك فامتنعوا ورضوا باعطاء الجزية وهى
الف حلة فى صفر وألف حلة فى رجب مع كل حلة
اوقية من ذهب ثم قالوا أرسل معنا أميناً فارسل لهم
أبا عبيدة عامر بن الجراح وكان لذلك يسمى أمين هذه
الامة (ومن الوفود) ضمام بن ثعلبة بينا رسول الله بين
أصحابه متكئاً جاءه رجل من اهل البادية ثائر الرأس يسمع

وفود ضمام ابن ثعلبة

دوِيُّ صوته ولا يفقه ما يقول فأناخ جمله فى المسجد ثم قال أيكم ابن عبد المطلب فدلوه عليه فدنا منه وقال انى سائلك فشدد عليك المسألة فلا تجد على فى نفسك فقال سل مابدالك فقال أنشدك بالله آلله أرسلك الى الناس كلهم فقال نعم فقال أنشدك بالله آلله أمرك أن نصلى خمس صلوات فى اليوم والليلة قال اللهم نعم فقال أنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ من أموال أغنيائنا فترده على فقرائنا قال اللهم نعم قال أنشدك بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من اثنى عشر شهراً قال اللهم نعم قال أنشدك بالله آلله أمرك ان يحج هذا البيت من استطاع اليه سبيلاً قال اللهم نعم قال فانى قد آمنت وصدقت وأنا ضمام بن ثعلبة ولما ولى قال عليه السلام فقه الرجل ثم ذهب ضمام الى قومه ودعاهم الاسلام وترك عبادة الاوثان فأسلموا كلهم (ومن) الوفود عبد القيس وكان من خبرهم ان الرسول كان جالساً بين أصحابه يوماً فقال لهم سيطلع عليكم من هنا ركب هم خير أهل المشرق لم يكرهوا على الاسلام قد أنضوا الركائب وأفنوا الزاد اللهم اغفر لعبد القيس فلما أتوا ورأوا النبى صلى الله عليه وسلم رموا بأنفسهم عن الركائب بباب

وفود عبد القيس

المسجد وتبادروا الى رسول الله يسلمون عليه وكان فيهم عبد الله بن عوف الاشج وكان أصغرهم سنا فتخلف عند الركائب حتى اناخها وجمع المتاع وأخرج ثوبين أبيضين فلبسهما ثم جاء يمشى هوناً حتى سلم على رسول الله وكان رجلاً دميماً ففطن لنظر الرسول الى دمامته فقال يارسول الله انه لا يستقى فى مسوك (جلود) الرجال وانما الرجل بأصغريه قلبه ولسانه فقال عليه السلام ان فيك خلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة وقدقال عليه السلام لهذا الوفد (مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى) فقالوا يارسول الله انا نأتيك من شقة بعيدة وانه يحول بيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر وانا لانصل اليك الا فى شهر حرام فمرنا بأمر فصل فقال آمركم بالايمان بالله أتدرون ما الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس وأنهاكم عن الدباء (القرع) والحنتم (هو جرار مدهونة بدهان اخضر) والنقير (أصل النخلة ينقر) والمزفت (ماطلى بالزفت) والمراد بذلك ماينبذ فى هذه الاوانى فقال الاشج يارسول الله ان أرضنا ثقيلة وخمة وانا اذالم تشرب

هذه الاشربة عظمت بطوننا فرخص لنا فى مثل هذه وأشار الى يده فأومأ عليه السلام بكفيه وقال ياأشج ان رخصت لك فى مثل هذه شربته فى مثل هذه وفرج بين يديه وبسطها حتى اذا ثمل أحدكم من شرابه قام الى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف وانما خص عليه السلام نهيهم بما ذكر لكثرة الاشربة بينهم (ومن) الوفود بنو حنيفة وكان معهم مسيلمة الكذاب وكان مسيلمة يقول ان جعل لى الامر من بعده اتبعته فأقبل عليه السلام ومعه قيس بن شماس وفى يد رسول الله قطعة من جريد حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه فقال ان سألتنى هذه القطعة ماأعطيتكها وانى لاراك الذى منه رأيت وكان عليه السلام قد رأى فى منامه ان فى يده سوارين من ذهب فأهمه شأنهما فأوحى الله اليه ان انفخهما فنفخهما فطارا فأولهما عليه السلام كذابين يخرجان من بعده فكان مسيلمة أحدهما والثانى طليحة العبسى صاحب صنعاء وقد أسلم بنو حنيفة (ومن) الوفود وفد طيء وفيهم زيد الخيل رئيسهم وقد قال عليه السلام فى حقه ماذكر لى رجل من العرب الا رأيته دون ماقيل فيه الا زيد الخيل وسماه عليه السلام زيد الخير (ومنهم) وفد كندة وفيهم

وفود بنى حنيفة

وفود طي

وفود كندة

الاشعث بن قيس وكان وجيهاً مطاعاً فى قومه

ولما دخلوا على رسول الله خبؤا له شيئاً وقالوا أخبرنا عما خبأناه لك فقال سبحان الله انما يفعل ذلك بالكاهن وان الكاهن والمتكهن فى النار ثم قال ان الله بعثنى بالحق وأنزل على كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالوا أسمعنا منه فتلا عليه السلام (والصافات صفاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) ثم سكت وسكن ودموعه تجرى على لحيته فقالوا انا نراك تبكى أفمن مخافة من أرسلك تبكى قال ان خشيتى منه ابكتنى بعثنى على صراط مستقيم فى مثل حد السيف ان زغت عنه هلكت ثم تلا (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيراً) ثم قال لهم عليه السلام ألم تسلموا قالوا بلى قال ما بال هذا الحرير فى اعناقكم فعند ذلك شقوه وألقوه

وفود ازدشنوءة

(ومنهم) وفد ازدشنوءة ورئيسهم صرد بن عبدالله الأزدى فأسلموا وأمره عليهم وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك

وفود رسول ملوك حمير

(ومنهم) وفد رسول ملوك حمير وهم الحرث

ابن عبد كلال والنعمان ومعافر وهمدان وكانوا قد أسلموا وأرسلوا
رسولهم بذلك فكتب اليهم النبي صلى الله عليه وسلم (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن عبد كلال والى النعمان ومعافر وهمدان اما بعد فاني احمد الله اليكم الذي لا اله الا هو اما بعد فانه قد وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم فلقيناه بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين وأن الله قد هداكم بهداه ان أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة واعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبي وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة اما بعد فان محمدا النبي أرسل الى زرعة ذي يزن اذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيراً معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة واصحابهم وان اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفيكم وأبلغوها رسلي وان أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن الا راضيا اما بعد فان محمداً يشهد ان لا اله الا الله وانه عبده ورسوله ثم ان مالك بن كعب قد اسلم من اول حمير وقتل المشركين بشر فابخير وآمرك بحمير خيراً ولا

كتاب ملوك حمير

تخونوا ولا تخاذلوا فان رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم
وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لاهل بيته انما هي زكاة
يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل وان مالكاً قد بلغ
الخبر وحفظ الغيب وآمركم به خيراً والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته) (ومنها) وفد همدان وفيهم مالك بن نمط وكان وفود همدان
شاعراً مجيداً فلقوا رسول الله مرجعه من تبوك عليهم
مقطمات من الحبرات اليمنية والعمائم العدنية وقد أنشد مالك
لرسول الله عليه السلام

حلفت برب الراقصات الى منى
صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق
رسول أتى من عند ذى العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها
أشد على أعدائه من محمد

وقد أمره عليه السلام على من أسلم من قومه وقدقال
الرسول في حق همدان نعم الحى همدان ما أسرعها الى النصر
وأصبرها على الجهد وفيهم ابدال وفيهم أوتاد (ومنها) وف وفود تجيب

تجيب قبيلة من كندة وفد على رسول الله ثلاثة عشر رجلا منهم معهم صدقات أموالهم التى فرض الله عليهم فسر بهم السلام وأكرم مثواهم وقالوا يا رسول الله انا سقنا اليك حق الله في أموالنا فقال عليه السلام (ردوها فاقسموها على فقرائكم) فقالوا يا رسول الله ما قدمنا عليك الا بما فضل عن فقرائنا قال أبو بكر يا رسول الله ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا فقال عليه السلام ان الهدى بيد الله فمن اراد به خيراً شرح صدره الايمان وجعلوا يسألونه عن القرآن فازداد عليه السلام رغبة فيهم ثم أرادوا الرجوع الى أهليهم فقيل لهم ما يعجلكم قالوا نرجع الى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله ولقائنا اياه وما ورد علينا ثم جاؤا الى رسول الله فودعوه فأجازهم بأفضل ما كان يجيز به الوفود ثم قال لهم هل بقي منكم أحد قالوا غلام خلفناه في رحالنا وهو أحدثنا سناً قال فأرسلوه الينا فأرسلوه فأقبل الغلام وقال يارسول الله انا من الرهط الذين أتوك آنفاً فقضيت حاجتهم فاقض حاجتي قال وما حاجتك قال تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني ويجعل غناى فى قلبي فقال عليه السلام اللهم

اغفر له وارحمه واجعل غناه فى قلبه ثم أمر له بمثل ما أمر

وفود ثعلبة به لرجل من أصحابه (ومنها) وفد ثعلبة وفد على رسول الله اربعة

منهم مقرين بالاسلام فسلموا عليه وقالوا يارسول الله انا رسل

من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالاسلام وقد قيل لنا

انك تقول لا اسلام لمن لا هجرة له فقال عليه السلام

(حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم) ثم قال لهم كيف بلادكم

فقالوا مخصبون فقال الحمد لله ثم أقاموا فى ضيافته أياماً وحين

أرادتهم الانصراف أجاز كل واحد منهم بخمس أواق من

وفود بنى سعد ابن هذيم فضة (ومنها) وفد بنى سعد بن هذيم من قضاعة قال النعمان منهم

قدمت على رسول الله وافداً فى نفر من قومى وقد أوطأ

رسول الله البلاد وأزاح العرب والناس صنفان اما داخل فى

الاسلام راغب فيه واما خائف السيف فنزلنا ناحية من المدينة

ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا الى بابه فوجدنا رسول الله

يصلى على جنازة فى المسجد فقمنا خلفه ناحية ولم ندخل مع

الناس فى صلاتهم وقلنا حتى يصلى رسول الله ونبايعه ثم انصرف

رسول الله فنظر الينا فدعا بنا فقال ممن أنتم فقلنا من بنى سعد

ابن هذيم فقال أمسلمون أنتم قلنا نعم فقال هلا صليتم

على أخيكم قلنا يارسول الله ظننا ان ذلك لا يجوز حتى نبايعك فقال عليه السلام أينما أسلمتم فأنتم مسلمون قال فأسلمنا وبايعنا رسول الله بأيدينا ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث عليه السلام فى طلبنا فأتى بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه صلى الله عليه وسلم على الاسلام فقلنا يارسول الله انه أصغرنا وانه خادمنا فقال سيد القوم خادمهم بارك الله عليه قال النعمان فكان خيرنا وأقرأنا للقرآن بدعاء النبي له ثم أجازهم وانصرفوا (ومنها) وفد بني فزازه وفد على رسول الله جماعة منهم مقرين بالاسلام وهم مسنتون فسألهم عليه السلام عن بلادهم فقال رجل منهم يارسول الله أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا وجاعت عيالنا فادع لنا ربك يغثنا واشفع لنا الى ربك وليشفع لنا ربك اليك فقال عليه السلام سبحان الله ويلك هذا أنا اشفع الى ربى فمن ذا الذى يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العلى العظيم وسع كرسيه السموات والارض فهى تئط (تصوت) من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الحديث من ثقل الحمل ثم صعد عليه السلام المنبر ودعا الله عز وجل حتى أغاث بلاد هذا الوفد بالمطر الغزير والرحمة

وفود بنى فزاره

وفود بني أسد التامة (ومنها) وفد بني أسد وفيهم ضرار بن الازور وطليحة ابن عبد الله الذي ادعى النبوة بعد ذلك فأسلموا وقالوا يارسول الله اتيناك تندرع الليل البهيم فى سنة شهباء ولم تبعث الينا فانزل الله فى ذلك (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين) وسألوا رسول الله عما كانوا يفعلونه فى الجاهلية من العيافة (وهى زجر الطير)والتحرص على الغيب والكهانة وهى الاخبار عن الكائنات فى المستقبل وضرب الحصباء فنهاهم عن ذلك كله ثم سألوه عن ضرب الرمل فقال علمه نبي فمن صادف مثل علمه فذاك والا فلا ثم أقاموا أياماً يتعلمون الفرائض

وفود بني عذرة وبعد ذلك ودعوا وانصرفوا بعد أن أجيزوا (ومنها) وفد بني عذرة ووفد بنى بلي ووفد بنى مرة ووفد خولان وهى قبيلة باليمن وقد أمرهم عليه السلام بالوفاء بالعهد وأداء الامانة وحسن الجوار لمن جار وان لا يظلموا أحدا فان الظلم ظلمات

وفود بني محارب يوم القيامة (ومنها) وفد بني محارب وكانوا من الذين ردوا الرد القبيح حينما كان رسول الله بعكاظ يدعو القبائل الى الله فما أعظم منة الله الذى أتى بهؤلاء وكانوا ألد الاعداء مسلمين

منقادين (ومنها) وفد غسان ووفد سلامان ووفد بني عبس ووفد النخع وكان عليه السلام يقابل هذه الوفود بما جبله الله عليه من البشاشة وكرم الاخلاق ويجيزهم بما يرضيهم ويعلمهم الايمان والشرائع ليعلموا من وراءهم وكانت هذه الوفود أعظم وصلة لاظهار الدين بين الاعراب في البوادي (وفي) هذه السنة توفى ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود غسان وفاة ابراهيم

لاربع بقين من صفر جهز عليه السلام جيشاً برياسة اسامة ابن زيد الى أبنى (محل قريب من مؤتة) حيث قتل زيد بن حارثة والد أسامة وقال له (سر الى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فأغر صباحاً على أهل أبنى وحرق عليهم وأسرع السير لتسبق الاخبار فان ظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم وخذ الأدلاء وقدم العيون والطلائع معك) وكان مع أسامة في هذا الجيش كبار المهاجرين والانصار منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد ثم عقد عليه السلام لاسامة اللواء وقال له (أغر باسم الله وقاتل في سبيل الله من كفر بالله) وقد انتقد جماعة على تأمير أسامة وهو شاب لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره على جيش فيه كبار المهاجرين السنة الحادية عشرة سرية

فأبلغ الرسول هذه المقالة فغضب غضباً شديداً وخرج فقال (أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله وايم الله ان كان لخليقا بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بها وان كان لمن أحب الناس الي وانهما لمظنة لكل خير فاستوصوا به خيراً فانه من خياركم) ولم يتم لهذا الجيش الخروج في عهد المصطفى لان المرض بدأه فاختاره الله للرفيق الاعلى وسيرى القارئ ان شاء الله خروج هذا الجيش متمماً في كتابنا (اتمام الوفاء بسيرة الخلفاء)

مرض الرسول — لما تمم عليه الصلاة والسلام ما كلف به وأدى ما اؤتمن عليه وهدى الله به أمته اختاره الله للرفيق الاعلى فجلس على المنبر مرة وكان فيما قال (ان عبداً خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده) فبكى أبو بكر وقال يارسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا فقال عليه السلام (ان من أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر فلو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن اخوة الاسلام لا يبقى في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة أبا بكر) وقد بدأه عليه السلام مرضه

فى أوائل صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة فى بيت ميمونة واستمر مريضاً ثلاثة عشر يوماً كان فى خلالها ينتقل الى بيوت أزواجه ولما اشتد عليه المرض استأذن منهن أن يمرض فى بيت عائشة الصديقية فأذنّ له ولما دخل بيتها واشتد عليه وجعه قال هريقوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلى أعهد الى الناس فأجلس فى مخضب وصب عليه الماء حتى أشار بيده أن قد فعلتن وكان هذا الماء لتخفيف حرارة الحمى التي كانت تصيب من يضع يده فوق ثوبه ولما تعذر عليه الخروج الى الصلاة قال مروا أبا بكر فليصل بالناس صلاة أبى بكر بالناس فرضيه عليه السلام خليفة له فى حياته ولما رأت الانصار اشتداد وجع الرسول أطافوا بالمسجد فدخل العباس وأعلمه بمكانهم واشفاقهم فخرج عليه السلام متوكئاً على على والفضل وتقدم العباس امامهم والنبي معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس فى أسفل مرقاة المنبر وثار الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (أيها الناس بلغنى أنكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي قبلى فيمن بعث الله فاخلد فيكم الا انى لاحق بربى وانكم لاحقون بى فأوصيكم بالمهاجرين الاولين خيراً وأوصى

المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى يقول(والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) وان الامور تجرى باذن الله ولا يحملكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم) وأوصيكم بالانصار خيراً فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم أن تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم فى الثمار ألم يوسعوا لكم فى الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولى ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا وانى فرط لكم وأنتم لاحقون بى ألا فان موعدكم الحوض ألا فمن احب ان يرده على غدا فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغى) وبينما المسلمون فى صلاة الفجر من يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الاول وأبو بكر يصلى لهم اذا برسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف سجف حجرة عائشة فنظر اليهم وهم فى صفوف الصلاة ثم ابتسم يضحك فنكص أبو بكر رضى الله عنه على عقبه ليصل

الصف وظن أن رسول الله يريد ان يخرج الى الصلاة وهمّ
المسلمون أن يفتتنوا فى صلاتهم فرحاً برسول الله فأشار اليهم
بيده أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وارخى الستر ولم
تأت ضحوة هذا اليوم حتى فارق رسول الله صلى الله عليه وفاة رسول الله
وسلم دنياه ولحق بمولاه وكان أبو بكر غائبا بالسنح وهي منازل
بني الحارث بن الخزرج عند زوجه حبيبة بنت خارجة بن زيد
فسل عمر سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله وقال انما
ارسل اليه كما أرسل الى موسى فلبث عن قومه أربعين ليلة
والله انى لأرجو أن يقطع أيدى رجال وأرجلهم فلما أقبل
أبو بكر وأخبر الخبر دخل بيت عائشة وكشف عن وجه رسول
الله فجاء يقبله ويبكى ويقول توفى والذى نفسى بيده صلوات
الله عليك يا رسول الله ما أطيبك حياً وميتاً بأبى أنت وأمى
لا يجمع الله عليك موتين ثم خرج فحمد الله وأثنى عليه ثم قال
(الا من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله
فان الله حى لا يموت) وتلا قوله تعالى (انك ميت وانهم
ميتون) وقوله (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه

فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) قال عمر فكأنى لم أتل هذه الآية قط ثم مكث عليه الصلاة والسلام فى بيته بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويومه وليلة الاربعاء حتى انتهى المسلمون من اقامة خليفة عليهم فغسل ودفن وكان الذى يغسله على بن أبى طالب ويساعده العباس وابناه الفضل وقثم وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله وكفن فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة ولما فرغوا من تجهيزه وضع على سريره فى بيته ودخل الناس عليه ارسالاً متتابعين يصلون عليه ولم يؤمهم احد ثم حفر له لحد فى حجرة عائشة حيث توفى وأنزله القبر على والعباس وولداه الفضل وقثم ورش قبره بلال بالماء ورفع قبره عن الارض قدر شبر توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك للمسلمين ما ان اتبعوه لم يضرهم شىء كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وترك أصحابه البررة الكرام يوضحون الدين ويتمون فتح البلاد ويظهرون فى الدنيا شمس الدين الاسلامى القويم حتى يتم الله كلمته ويحق وعده وقد فعل فنسأل الله أن يقدرنا على أداء شكره على هذه المنة العظمى والنعمة الكبرى.

شمائله عليه السلام

منح الله سبحانه نبينا صلى الله عليه وسلم من كمالات الدنيا والاخرة مالم يمنحه غيره ممن قبله أو بعده ولا بد ان نأتى لك فى (١) هذا الباب بنبذة يسيرة من محاسن صفاته وأحاسن آدابه لتكون لك نموذجاً تسير عليه حتى تكون على قدم نبيك عليه الصلاة والسلام فتستحق الحمد فى الدنيا والذخر فى الاخرى فاعلم أرشدنى الله واياك وهدانا للصراط السوى أن خصال الجلال والكمال فى البشر نوعان ضرورى ودنيوى اقتضته الجبلة وضرورة الحياة ومكتسب دينى وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى فأما الضرورى فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان فى جبلته عليه السلام من كمال الخلقة وجمال الصورة وقوة العقل وصحة الفهم وفصاحة اللسان وقوة الحواس والاعضاء واعتدال الحركات وشرف النسب وعزة القوم وكرم الارض ويلحق به ما تدعوه ضرورة الحياة اليه من الغذاء والنوم والملبس والمسكن والمال والجاه (وأما) المكتسبة الاخروية فسائر الاخلاق العلية والآداب من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل

(١) جل ماذكر فى هذا الباب مختصر من كتاب الشفاء

والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة وأخواتها وهي التي يجمعها حسن الخلق فاذا نظرت رعاك الله الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته عليه السلام حائز الجميعها محيطاً بشتات محاسنها (فأما)الصورة وجمالها وتناسب أعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من انه صلى الله عليه وسلم كان أزهر اللون (١) أدعج (٢) أنجل (٣) أشكل (٤) أهدب الاشفار (٥) أبلج (٦) أزج(٧) أقنى (٨) أفلج (٩) مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن عظيم الصدر عظيم المنكبين (١٠)ضخم العظام عبل (١١) العضدين والذراعين والاسافل رحب

---

(١) نير اللون أو حسنه (٢) شديد سواد الحدقة مع سعة فيها (٣) واسع العين مع حسن (٤) في بياض عينيه حمرة (٥) كثير شعر حروف الاجفان (٦) مضيء الوجه مشرقه (٧) دقيق الحاجبين في طول (٨) مرتفع قصبة الانف مع احديداب يسير فيها (٩) مفرج بين الثنايا والرباعيات (١٠) المنكب مجمع رأس العضد والكتف (١١) ضخم

الكفين والقدمين سائل الاطراف أنور المتجرد دقيق المسربة (١) ربعة القد ليس بالطويل البائن (٢) ولا القصير المتردد (٣) ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكاً افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رئ كالنور يخرج من بين ثناياه أحسن الناس عنقاً ليس بمطهم (٤) ولا مكلثم (٥) متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء بن عازب ما رأيت من ذى لمة حمراء فى حلة أحسن من رسول الله وقال أبو هريرة ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله كأن الشمس تجرى فى وجهه واذا ضحك يتلألأ فى الجدر وفى حديث ابن أبى هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال على فى آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم (وأما) نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار

---

(١) المسربة شعر دقيق من الصدر الى البطن (٢) مفرط الطول (٣) المتناهى فى القصر (٤) المطهم البائن الكثير اللحم (٥) المكلثم الصغير الذقن

وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى فى ذلك بخصائص
لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع قال عليه السلام بنى
الدين على النظافة وقال أنس ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً
ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله وعن جابر انه عليه السلام
مسح خده قال فوجدت ليده برداً وريحاً كانما أخرجها من
جؤنة عطار قال غيره مسها بطيب أو لم يمسها يصافح المصافح
فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف
من بين الصبيان بريحها وروى البخارى فى تاريخه الكبير عن
جابر لم يكن النبي يمر فى طريق فيتبعه أحد الاعرف انه سلكه
من طيبه (وأما) وفور عقله صلى الله عليه وسلم وذكاء لبه وقوة
حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلامرية
انه كان أعقل الناس وأذكاهم ومن تأمل تدبيره أمر بواطن
الخلق وظواهرهم وسياسته للعامة مع عجيب شمائله وبديع
سيره فضلاً عما أفاده من العلم وقرره من الشرع دون تعلم
سابق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب لم يمتر فى رجحان
عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وكان عليه السلام اذا قام فى
الصلاة يرى من خلفه كما يرى من أمامه وبذلك فسر قوله تعالى

(وتقلبك في الساجدين) وقالت عائشة كان عليه السلام يرى في الظلمة كما يري في الضوء وكان يعد في الثريا أحدعشر نجما وجاءت الاخبار انه صرع ركانة أشد أهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وقال أبوهريرة ما رأيت أحداً أسرع من رسول الله في مشيه كأنما الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث وفي صفته عليه السلام ان ضحكه كان تبسماً اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلعا كأنما ينحط من صبب (واما) فصاحة اللسان وبلاغة القول فقدكان عليه السلام من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذى لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع وفصاحة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف أوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب فكان يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش ككلامه مع أقيال حضرموت وملوك اليمن وعظماء نجد بل يستعمل لكل قبيلة ما استحسنته من الالفاظ وما انتهجته من طرق

البلاغة ليبين للناس مانزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون (وأما) كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت فى ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها مالا يوازى فصاحة وبلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كأسنان المشط والمرء مع من أحب ولا خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وماهلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن ورحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم وقوله أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان أحبكم الى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه أو يبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون وجيهاً عند الله ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور أوساطها وقوله أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله

فى بعض دعائه اللهم انى أسألك رحمة تهدى بها قلبي وتجمع بهاأمرى وتلم بهاشعثى وتصلح بها رغائبي وتزكى بهاعملى وتلهمنى بها رشدى وترد بها ألفتى وتعصمنى بها من كل سوء اللهم انى أسألك الفوز فى القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى غير ذلك مما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز سبقاً لا يقدر قدره وقد قال له أصحابه ما رأينا الذى هو أفصح منك فقال وما يمنعنى وانما نزل القرآن بلساني لسان عربى مبين وقال مرة أخرى بيد انى من قريش ونشأت فى بنى سعد جمع بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد الالهى الذى مدده الوحى الذى لا يحيط بعلمه بشر (وأما) شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فمالا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفى منه فانه نخبة بنى هاشم ونخبة قريش وصميمها وأشرف العرب وأعزهم نفراً من قبل أبيه وأمه ومن أهل مكة أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده وقد قدمنا لك فى أول الكتاب مافيه الكفاية فى

هذا المقام (وأما) ماتدعو اليه ضرورة الحياة فنه ما الفضل فى قلته ومنه ما الفضل فى كثرته ومنه ماتختلف الاحوال فيه فالاول كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء قديماً تمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب الكسل وعادة العجز وتضييع العمر فى غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته وكان عليه السلام قد أخذ من الاكل والنوم بالاقل وحض عليه قال عليه السلام (ماملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب وقالت عائشة رضى الله عنها لم يمتلئ جوف النبى شبعاً قط وانه كان فى أهله لا يسألهم طعاماً ولا يتشهاه ان اطعموه أكل وما أطعموه قبل وماسقوه شرب وفى صحيح

الحديث (أما انا فلا آكل متكئاً) والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعد فى الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التى يعتمد فيها الجالس على ماتحته والجالس على هذه الهيئة يستدعى الأكل ويستكثر منه والنبي عليه السلام انما كان جلوسه للأكل جلوس المستوفز مقعياً ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وكذلك نومه كان قليلاً ومع ذلك فقد قال ان عينيّ تنامان ولا ينام قلبي (وأما) ما الفضل فى كثرته فكالجاه وهو محمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه فى القلوب وقد قال تعالى فى صفة عيسى عليه السلام (وجيهاً فى الدنيا والآخرة) وكان النبي عليه السلام قد رزق الحشمة والمكانة فى القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه فى نفسهم خفية حتى اذا واجههم اعظموا أمره وقضوا حاجته كما ذكرنا لك ذلك مراراً وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روى عن قيلة انها لما رأته ارعدت من الفرق فقال (يامسكينة عليك السكينة) وفى حديث ابى مسعود ان رجلاً قام بين يديه فأرعد فقال له عليه السلام (هون عليك فانى لست بملك) (وأما) عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة

وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة فى الدنيا فأمرهو مبلغ النهاية ثم هو فى الآخرة سيد ولد آدم (وأما) ماتختلف فيه الحالات فى التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكنه من اغراضه والا فليس فضيلة فى نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقاً له فى مهماته ومهمات من قصده وأمله مصرفه فى مواضعه مشتريا به المعالى والثناء الحسن والمنزلة فى القلوب كان فضيلة فى صاحبه عند أهل الدنيا واذا صرفه فى وجوه البر وانفقه فى سبيل الخير وقصد بذلك الله تعالى والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكاله غير موجهه وجوهه حريصاً على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة فى صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل أوقعه فى وهدة رذيلة البخل ومذمة النذالة فالتمدح بالمال ليس لذاته بل للتوصل به الى غيره وتصريفه فى متصرفاته ونبينا صلى الله عليه وسلم أوتى خزائن الارض ومفاتيح البلاد وأحلت له الغنائم وفتح عليه فى حياته بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب ومادانى ذلك من الشام والعراق وجلب

اليه كثير من اخماسها وجزيتها وصدقاتها وهاداه جماعة من من ملوك الاقاليم فما استأثر بشئ منه ولا أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال (ما يسرني ان لى أحداً ذهباً يبيت عندى منه دينار الا ديناراً أرصده لديني) وأتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر في نفقته وملبسه ومسكنه على ماتدعو ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ماوجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره أقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر فأنت ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاز فضيلة المال بالزهد فيه وانفاقه على مستحقيه (وأما) الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة وهى المسماة بحسن الخلق فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال في غايتها حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال (وانك لعلى خلق عظيم) قالت عائشة كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال

عليه السلام (بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) وقال أنس كان عليه السلام أحسن الناس خلقا وكانت له هذه الآداب الكريمة كما كانت لاخوانه من الانبياء جبلة خلقوا عليها ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف فى قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله لهم بالنبوة فى تحصيل هذه الخصال الشريفة دون نهاية ولا ممارسة وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكنا نذكر أصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه عليه السلام بها ان شاء الله (فأصل) فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها العقل الذى منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأى وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد بلغ عليه السلام منه ومن العلم الغاية التى لم يبلغها بشر سواه يعلم ذلك من تتبع مجارى أحواله واطراد سيره وطالع جوامع كلمه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما فى التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وأيامها

وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التى اتخذ أهلها كلامه فيها قدوة واشاراته حجة كالطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي أمي لا يعرف شيئاً من ذلك حتى شرح الله صدره وأبان أمره وعلمه وبحسب عقله كانت معارفه عليه السلام الى سائر ما علمه الله وأطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال تعالى (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً) (وأما) الحلم والاحتمال والعفو والقدرة والصبر على ما يكره فما أدب الله به نبيه فقال (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وقد سأل عليه السلام جبريل عن تأويلها فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له (واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور) وقال (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور

رحيم) وقال (ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور)
وقد تضافرت الاخبار على اتصافه عليه السلام بنهاية هـذه
الاوصاف فـا من حليم الا عرفت منه زلة وحفظت عنـه
هفوة ونبينا لا يزيد مع كثرة الايذاء الا صبراً وعلى اسراف
الجاهل الا حلماً قالت عائشة رضى الله عنها ماخير عليه السلام
فى أمرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثماً فان كان اثماً
كان أبعد الناس منه وما انتقم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله
فينتقم لله ولما فعل به المشركون ما فعلوا فى أحد وطلب منه
أن يدعو عليهم قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وحسبك
فى هذا الباب ما فعله مع مشركى قريش الذين آذوه واستهزؤا
به وأخرجوه من دياره هو وأصحابه ثم قاتلوه وحرضوا عليه
غيرهم من مشركى العرب حتى تمالأ عليـه جمعهم ثم لما
فتح الله عليه مكة ما زاد عـلى ان عفا وصفح وقال ما تقولون
انى فاعل بكم قالوا خير أخ كريم وابن أخ كريم فقال
(اذهبوا فأنتم الطلقاء) وعن أنس كنت مع النبي عليه السلام
وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه اعرابى بردائه جبذة شديدة
حتى أثرت حاشية البرد فى صفحة عنقه ثم قال يا محمد احمـل

لى على بعيرىَّ هذين من مال الله الذى عندك فانك لاتحمل لى من مالك ولا من مال أبيك فسكت النبي ثم قال المال مال الله وأنا عبده ثم قال ويقادمنك يا اعرابى ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك عليه السلام ثم أمر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب بيده شيئاً قط الا ان يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادماً ولا امرأة فصلى الله تعالى عليه وأقر عينه باتباع المسلمين سنته (وأما) الجود والكرم والسخاء والسماحة فكان عليه السلام لا يوازى فى هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى وصفه بهذا كل من عرفه قال جابر رضى الله عنه ما سئل عليه السلام عن شئ فقال لا وقال ابن عباس كان عليه السلام أجود الناس بالخير وأجود ما كان فى شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة وقال ورقة فى صفته عليه السلام مخاطباً له انك تحمل الكل وتكسب المعدوم وحسبك شاهداً فى هذا الباب ما فعله مع هوازن من رد

السبي اليها وما فعله يوم تقسيم السبي من اعطاء المؤلفة قلوبهم عظيم الأعطية وقد استوفينا ذلك في موضعه وحمل اليه عليه السلام تسعون ألفاً فوضعها على حصير وأخذ يقسمها فما قام حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شئ ولكن ابتع على فاذا جاءنا شئ قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره ذلك عليه السلام فقال له رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا فتبسم عليه السلام وعرف البشر في وجهه وقال بهذا أمرت والاخبار بجوده وكرمه عليه السلام كثيرة يكفى منها لتعليمك ما ذكرناه (وأما) الشجاعة والنجدة فكان عليه السلام منهما بالمكان الذى لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما من شجاع الا أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه وحسبك ما فعله في حنين وأحد مما ذكرناه مستوفى قال ابن عمر مارأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله وقال علىّ انا كنا اذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله

فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأساً وقال انس كان عليه السلام أشجع الناس وأحسن الناس وأجود الناس لقدفزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم عليه السلام راجعاً قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابى طلحة عرى والسيف فى عنقه وهو يقول لن تراعوا (وأما) الحياء والاغضاء فكان عليه السلام أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات اغضاء قال أبو سعيد الخدرى كان عليه السلام أشد حياء من العذراء فى خدرها وكان اذا كره شيئاً عرفناه فى وجهه وكان عليه السلام لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحداً بما يكرهه حياء وكرم نفس قالت عائشة كان عليه السلام اذا بلغه عن أحد مايكرهه لم يقل مابال فلان يقول كذا وكذا بل يقول مابال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمى فاعله وقالت رضي الله عنها لم يكن عليه السلام فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً بالاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح (وأما) حسن عشرته وادبه وبسط خلقه مع أصناف الخلق فبما

انتشرت به الاخبار الصحيحة قال على رضى الله عنه كان عليه السلام اوسع الناس صدراً وأصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة وكان عليه السلام يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن احد منهم بشره ولا خلقه ويتفقد أصحابه ويعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن احداً اكرم عليه منه من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده فى الحق سواء بهذا وصفه ابن أبى هالة وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهى ولا يؤيس منه قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر) وقال تعالى (ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وكان عليه السلام يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعاً ويكافئ عليها وكان يمازح

أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويلاعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر وقال أنس ما التقم أحد أذن النبي يحادثه فنحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ولم ير قط ماداً رجليه بين أصحابه حتى يضيق بها على أحد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان أبى ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام وكان أكثر الناس تبسماً وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب (وأما) الشفقة والرأفة والرحمة بجميع الخلق فقد وصفه الله بها في قوله (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) وقال (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) روى ان اعرابياً جاءه يطلب منه شيئاً فاعطاه ثم قال أأحسنت اليك قال الاعرابي لا ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فأشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل اليه وزاده شيئاً ثم قال

أأحسنت اليك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً فقال عليه السلام انك قلت ماقلت وفى أنفس أصحابى من ذلك شئ فان أحببت فقل بين أيديهم ماقلت بين يدى حتى يذهب مافى صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد أو العشى جاء فقال عليه السلام ان هذا الاعرابى قال ماقال فزدناه فزعم انه رضى اكذلك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً فقال عليه السلام مثلى ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بينى وبين ناقتى فانى أرفق بها منكم وأعلم فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وانى لو تركتكم حيث قال الرجل ماقال فقتلتموه دخل النار وقال عليه السلام لايبلغنى أحد منكم عن أصحابى شيئاً فانى أحب أن أخرج اليكم وانا سليم الصدر وكان يسمع بكاء الصبي فيتجوز فى صلاته وعن ابن مسعود كان عليه السلام يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا (وأما) خلقه عليه السلام فى الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فروى عن عبد الله بن أبى الخمساء قال بايعت النبي عليه السلام ببيع

قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها مكانه
فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو فى مكانه فقال
يا فتى لقد شققت علىّ أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك وكان اذا
أتى بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة
لخديجة انها كانت تحب خديجة وكان عليه السلام يصل ذوى
رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ووفد عليه
وفد فقام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نكفيك فقال انهم
كانوا لاصحابنا مكرمين وانى أحب أن أكافئهم وفى حديث
خديجة ابشر فوالله لا يخزيك الله ابداً انك لتصل الرحم
وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على
نوائب الحق (وأما) تواضعه عليه السلام على علو منصبه
ورفعة رتبته فكان أشد الناس تواضعاً وأقلهم كبراً وحسبك
أنه خير بين أن يكون نبياً ملكا أو نبياً عبداً فاختار أن يكون
نبياً عبداً وخرج عليه السلام مرة على أصحابه متوكئاً على
عصا فقاموا فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم
بعضاً وقال انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما
يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين

ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم حيثما انتهى به المجلس جلس وقال عليه السلام (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) وحج عليه السلام على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجاً لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض وأهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعاً لله تعالى وعن أبي هريرة رضي الله عنه دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوازن زن وأرجح ثم قال فوثب الى يد رسول الله يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما أنا رجل منكم ثم أخذ السراويل فذهبت لأحمله فقال صاحب الشئ أحق بشيئه أن يحمله (وأما) عدله عليه السلام وأمانته وعفته وصدق لهجته فكان آمن الناس وأصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وأعداؤه وكان يسمى قبل نبوته الامين وقد قدمنا ذلك في سيرته عليه السلام قبل النبوة

وفى الحديث عنه عليه السلام ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها قال أبو العباس المبرد قسم كسرى أيامه فقال يوم الريح يصلح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للهو والشرب ويوم الشمس للحوائج ولكن نبينا عليه السلام جزأ نهاره ثلاثة أجزاء جزء الله وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزأ جزأه بين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول (أبلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغى فان من أبلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها أمنه الله يوم الفزع الاكبر) وكان عليه السلام لا يأخذ أحداً بذنب أحد ولا يصدق أحداً على أحد (وأما) وقاره عليه السلام وصمتة وتؤدته ومروءته وحسن هديه فكان عليه السلام أوقر الناس فى مجلسه لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه وكان اذا جلس احتبي بيديه وكذلك كان أكثر جلوسه محتبياً وكان كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسماً وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير

وقال ابن أبى هالة كان سكوته عليه السلام على أربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر وقالت عائشة رضى الله عنها كان عليه السلام يحدث حديثا لوعده العادّ لأحصاه وكان يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ومن مروءته عليه السلام نهيه عن النفخ فى الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلى والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب (مواصل الاصابع من ظاهر الكف وباطنها) (وأما) زهده عليه السلام فقد قدمنا لك فيه مافيه الكفاية وحسبك شاهداً على تقلله من الدنيا واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها الى أن توفى عليه السلام ودرعه مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً وقالت عائشة رضى الله عنها ماشبع عليه السلام ثلاثة أيام تباعاً من خبز حتى مضى لسبيله وقالت ماترك عليه السلام ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ولقد مات ومافى بيتى شئ يأكله ذو كبد الا شطر شعير فى رف لى وقال انى عرض علىّ أن تجعل لى بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يا رب أجوع يوماً وأشبع يوماً فأما اليوم الذى

أجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك وقالت عائشة انا كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً ان هو الا التمر والماء وعن أنس ما أكل عليه السلام على خوان ولا فى سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطاً قط وفى حديث عائشة كان فراش رسول الله الذي ينام عليه أدما حشوه ليف وعن حفصة كان فراش رسول الله فى بيته مسحاً ثنيه ثنيين فينام عليه فثنيناه ليلة بأربع فلما أصبح قال ما فرشتمونى الليلة فذكرنا له ذلك فقال ردوه بحاله فان وطأته منعتنى الليلة صلاتى وقالت عائشة لم يمتلئ جوف النبي شبعاً قط ولم يبث شكوى الى أحد وكانت الفاقة أحب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعاً يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت أبكى رحمة له مما أرى به وأمسح بيدى على بطنه مما أرى به من الجوع وأقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا مايقوتك فيقول يا عائشة مالى وللدنيا اخوانى من أولى العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا

على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحي ان
ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غدا دونهم وما من شئ أحب الىّ
من اللحوق باخواني واخلائي قالت فما أقام بعد الا أشهراً
حتى توفي صلوات الله عليه وسلامه (وأما) خوفه ربه وطاعته له
وشدة عبادته فعلى قدر علمه ولذلك قال لو تعلمون ما أعلم
لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً أرى مالا ترون وأسمع لا تسمعون
أطت (صوتت) السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع أربع
أصابع الا وملك واضع جبهته ساجداً لله والله لو تعلمون ما أعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش
ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى لوددت اني
شجرة تعضد وكان عليه السلام يصلي حتى تَرِم قدماه فقيل
له أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما
تأخر قال (أفلا أكون عبداً شكوراً) وقالت عائشة رضي الله
عنها كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم
يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر
ويفطر حتى نقول لا يصوم وقال عوف بن مالك كنت مع
رسول الله ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه

فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة الا وقف فسأل ولا مر
بآية عذاب الا وقف وتعوّذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه
يقول سبحان ذى الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد
وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل
مثل ذلك وقال بعضهم أتيت رسول الله وهو يصلى ولجوفه
أزيز كأزيز المرجل وفى وصف ابن أبى هالة كان متواصل
الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وعن على رضى الله
عنه قال سألت رسول الله عن سنته فقال(المعرفة رأس مالى
والعقل أصل دينى والحب أساسى والشوق مركبى وذكر الله
أنيسى والثقة كنزى والحزن رفيقى والعلم سلاحى والصبر
ردائى والرضى غنيمتى والعجز فخرى والزهد حرفتى واليقين
قوتى والصدق شفيعى والطاعة حسبى والجهاد خلق وقرة
عينى فى الصلاة وثمرة فؤادى فى ذكره وغمى لاجل أمتى
وشوقى الى ربى)فجزاه الله من نبيّ عن أمته خيراً ورحم الله
عبداً تأمل فى هذه الشمائل الكريمة والخصال الجميلة فتمسك
بها واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحوز شفاعته يوم
الفزع الاكبر ويرضى الله عنه فنسألك اللهم التوفيق لما فيه

الخير بمنك وكرمك ياارحم الرحمين

معجزاته عليه السلام

اذا تأمل المتأمل ما قدمناه من جميل أثر هـذا السيد الكريم وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهـد حاله وصواب مقاله لم يمتر فى صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد فى اسلامه والايمـان به كعبد الله بن سلام فانه قال لما قدم النبي المدينـة جئته لانظر اليـه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب وروى مسلم ان ضمادا لما فد عليه قال له صلى الله عليه وسـلم (ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهـد الله فلا مضل له ومن يضلل فلاهادى له وأشهد أن لااله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله) فقال له ضماد أعـد علىّ كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك أبايعك ولما بلغ ملك عمان ان رسول الله يدعوه الى الاسلام قال والله لقد دلنى على هـذا النبي الامى انه لا يأمر بخير الا كان أول آخذ به ولا ينهى عن شئ الا كان أول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفى بالعهد وينجز الموعود وأشهد انه نبي وقال ابن رواحة

لو لم تكن فيه آيات مبينة * لكان منظره ينبيك بالخبر

كيف وقد أظهر الله على يده تصديقاً لدعوته من المعجزات مالا يفى به العد فهو أكثر الانبياء آية وأظهرهم برهاناً . وسنذكر لك فى هذا الفصل من الآيات ما تقر به عينك ويزداد به يقينك مما رواه الجم الغفير من الصحابة رضوان الله عليهم وأثبته المحدثون فى صحاحهم ونبدأ منها بأظهرها شاناً وأوضحها بياناً وهو القرآن الشريف واعجازه (اعلم) أن كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها فى أربعة (أولها) حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا أرباب هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الامم وأوتوا من ذرابة اللسان مالم يؤت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديهاً فى المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويقدحون ويتوسلون

ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل فيخدعون الألباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجرؤن الجبان ويصيرون الناقص كاملاً ويتركون النبيه خاملاً منهم البدوى ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهرى والمنزع القوى ومنهم الحضرى ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف فى القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلاهما له فى البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها فقالوا فى الخطير والمهين وتفننوا فى الغث والثمين وتقاولوا فى القل والكثر وتساجلوا فى النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت

فصاحته على كل مقول وتضافرا يجازه واعجازه وتظاهرت
حقيقته ومجازه وتبارت فى الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت
كل البيان مجامعه وبدائعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه
وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم أفصح ماكانوا فى
هذا الباب مجالا وأشهر فى الخطابة رجالاً وأكثر فى الشعر
والسجع ارتجالاً وأوسع فى الغريب واللغة مقالاً بلغتهم التى
بها يتحاورون ومنازعهم التى عنها يتناضلون صارخاً بها فى كل
حين ومقرعاً لهم بضعاً وعشرين عاماً على رؤس الملا أجمعين
(أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم
من دون الله ان كنتم صادقين) (وان كنتم فى ريب مما
نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من
دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا و لن تفعلوا) (قل
لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا
يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (قل فأتوا بعشر
سور مثله مفتريات) فلم يزل يقرعهم أشد التقريع ويوبخهم
أشد التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم
ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم

وهم فى كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغتراء بالافتراء وقولهم (ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه وأساطير الاولين) والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم (قلوبنا غلف وفى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) والادعاء مع العجز كقولهم (لو نشاء لقلنا مثل هذا) وقد قال لهم (ولن تفعلوا) فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخافهم كمسيلمة كشف عوراه لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين وأتوا اليه مذعنين وأنت اذ تأملت قوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) وقوله (ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب)وقوله (ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) وقوله (وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعداً للقوم الظالمين)وقوله(فكلاً

أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وأشباهها من الآى بل أكثر القرآن حققت ما بينته من ايجاز ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة عباراتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وأن تحت كل لفظة منها جملاً كثيرة وفصولاً جمة وعلوماً زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات فى المستنبطات عنها ثم هو فى سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التى يضعف فى عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها وتناصف فى الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها (الوجه الثانى) من اعجاز القرآن صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذى جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له

ولا استطاع أحد مماثلة شئ منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه أحلامهم ولم يهتدوا الى مثله فى جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها أو الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها (الوجه الثالث) من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي أخبر كقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) وقوله عن الروم (وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) وقوله (ليظهره على الدين كله) وقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً) وقوله (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) فكان جميع هذا كما أخبر فغلبت الروم فارس ودخلت الناس فى الدين أفواجاً واتسع ملك المسلمين حتى كان لهم فى وقت من أقصى بلاد الاندلس غرباً الى أقاصى

الهند شرقاً ومن بلاد الاناضول شمالاً الى أقاصى السودان جنوباً وقوله (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فكان كذلك الى الآن والحمد لله وقوله (سيهزم الجمع ويولون الدبر) فكان كذلك فى بدر والآية نزلت بمكة وقوله (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) فكان كذلك مما اطلع عليه قارئ هذه السيرة ومافيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم فى حلفهم كقوله (ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) وقوله (يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك) وقوله (ومن الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لياً بألسنتهم وطعناً فى الدين) الى غير ذلك من الآيات البينات (الوجه الرابع) ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده عليه السلام على وجهه ويأتى به على نصه فيقر العالم بذلك على صحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا أنه عليه السلام أمى لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسه ولا مجالسة لم يغب عنه ولا جهل حاله أحد منهم وكثيراً ما كان يسأله

كثير من أهل الكتاب عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكراً كقصص الانبياء وبدء الخلق وما فى الكتب السابقة مما صدقه فيها العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها ولم يؤثر ان واحداً منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ولا أبدى صحيحاً ولا سقيما من صحفه بعد ان قرعهم ووبخهم بقوله (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) ومما يدل على أن أهل الكتاب يعلمون صدقه ما تحداهم فيه الله بقوله (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) ثم حتم عدم اجابتهم بقوله (ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم) فما سمع عن أحد منهم انه تمنى ذلك ولو بلسانه مع انهم كانوا أحرص الناس على تكذيبه ومثل ذلك ما فعله أهل نجران حينما دعاهم للمباهلة فأبوا وقد قدمنا ذلك فى فصل وفودهم ومما يدل على أن هذا القرآن ليس من كلام البشر الروعة التى تلحق قلوب سامعيه والهيبة التى تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفوراً ولهذا قال عليه السلام ان القرآن صعب

مستصعب على من كرهه وهو الحكم وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه اقبالاً وتكسبه هشاشة كميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) وقال تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) ومن وجوه اعجاز القرآن كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وقال (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) وسائر معجزات الانبياء لم يبق الا خبرها والقرآن الى وقتنا هذا حجة قاهرة ومعارضة ممتنعة والاعصار كلها طافحة بأهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعاند للشرع عتيد فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته ولا ألف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح بل المأثور عن كل رام ذلك القاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه ولنختم لك هذا الباب بحديثه عليه السلام في القرآن قال (ان الله أنزل هذا القرآن

آمراً وزاجراً وسنة خالية ومثلاً مضروباً فيه نبؤكم وخبر من كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن حكم به أقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب) (ومن) معجزاته عليه السلام انشقاق القمر وقد قدمنا حديثه مستوفى (ومن) معجزاته عليه السلام نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته وقد روى هذا الجم الغفير من الصحابة منهم أنس وجابر بن مسعود قال أنس رأيت رسول الله وقد حانت صلاة العصر فالتمس الناس ماء للوضوء فلم يجدوه فأتى النبي بوضوء فوضع في الاناء يده وأمر الناس أن يتوضؤا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا عن آخرهم فقيل كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وقال ابن مسعود

بينما نحن مع النبي وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء فأتى بماء فصبه فى اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من أصابعه وقال جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا فى ركوتك فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون قيل كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروى هذه القصة جمع عظيم من الصحابة ومثل هذا فى هذه المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لاتتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا أسرع شئ الى تكذيبه لما جبلت عليه نفوسهم من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قدرووا هذا وأشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر عليهم أحد من الناس ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم لهم (ومما) يشبه هذا تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته كما ورد عن معاذ بن جبل فى قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهى تنمع بشئ من مثل ماء الشراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع فى شئ ثم غسل عليه السلام وجهه

ويديه وأعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس وفى رواية ابن اسحق فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما هنا قد ملئ جناناً وقد قدمنا ذلك فى غزوة تبوك وروى عن البراء وسلمة بن الاكوع تكثير عين الحديبية بدعوته عليه السلام وروى أبو قتادة أن الناس شكوا الى رسول الله العطش فى بعض أسفاره فدعا بالميضأة فجعلها فى ضبنه (ما بين الكشح الى الابط) ثم التقم فمها فالله أعلم أنفث فيها أم لا فشرب الناس حتى رووا وملؤا كل اناء معهم فخيل لى انها كما أخذها منى وكانوا اثنين وسبعين رجلاً ورويت قصص مشابهة لهذه عن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم فى محالّ مختلفة بحيث لا يشك أحد فى صدقها بعد تضافر الثقات على روايتها (ومن) ذلك تكثير الطعام ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم روى طلحة انه عليه السلام أطعم ثمانين أو سبعين رجلاً من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت ابطه فأمر بها عليه السلام ففتت وقال فيها ما شاء الله أن يقول وروى جابر انه عليه السلام أطعم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق

ويقول جابر فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغلي كما هي وان عجيننا ليخبز وكان عليه السلام قد بصق في العجين والبرمة وبارك وروى أبو أيوب أنه صنع لرسول الله وأبي بكر طعاماً يكفيهما فأطعم منه عليه السلام مئة وثمانين رجلاً وروى مثل ذلك كثير من الصحابة كعبد الرحمن ابن أبي بكر وسلمة بن الاكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب وأنس بن مالك رضوان الله عليهم أجمعين (ومن) معجزاته عليه السلام قصة حنين الجذع قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفاً على جذوع نخل فكان عليه السلام اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به وفي رواية المطلب وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال عليه السلام ان هذا البكاء لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو التزمه لم يزل الى يوم القيامة تحزناً على رسول الله فامر به فدفن هكذا تحت المنبر وهذا الحديث خرجه أهل الصحة ورواه -

الصحابة كثيرون ورواه عنهم من التابعين ضعفهم ومن دون عدتهم يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب (ومن) معجزاته عليه السلام ابراء المرضى وذوى العاهات فقد أصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها عليه السلام فكانت أحسن عينيه وأحدّهما وبصق على أثر سهم فى وجه أبى قتادة فى يوم ذى قرد فما ضرب عليه ولا قاح وأصاب ابن ملاعب الاسنة استسقاء فبعث الى النبى عليه السلام فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فاخذها يرى انه قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وتقدم حديث علىّ ورمده فى غزوة خيبر وغير ذلك كثير مما يعجز قلمنا عن عده ورواه ثقات المسلمين الاعلام (أما) ما منحه الله اياه من اجابة دعواته فروى عن أنس بن مالك قال قالت أمى أم سليم يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أتيته قال أنس فوالله ان مالى لكثير وان ولدى وولد ولدى ليعادون اليوم نحو المائة ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة فكان نصيب كل زوجة من زوجاته الاربع من تركته ثمانون ألفاً وتصدق

عيرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بعالها وماعليها وبأقتابها وأحلاسها (ودعا) لمعاوية بالتمكين في الارض فنال الخلافة ودعا لسعد باجابة الدعوة فما دعا على أحد الا استجيب له وتقدم دعاؤه لعمر بن الخطاب ان يعز الاسلام به وقال لابى قتادة أفلح وجهك اللهم بارك فى شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة ودعواته عليه السلام المستجابة أكثر من ان تحصى يطلع عليها قارئ سيرتنا هذه (اما) مااطلعه الله عليه من علم مالم يكن فما سارت به الركبان فمن حذيفة رضى الله عنه قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئاً سيكون فى مقامه ذلك الى قيام الساعة الاحدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قدعلمه أصحابى هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه وما أدرى أنسى أصحابى اما تناسوا والله ماترك عليه السلام من قائد فتنة الى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته وقد خرج أهل الصحيح والائمة ما أعلم به أصحابه مما وعدهم

به من الظهور على أعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن
والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المرأة من الحيرة
الى مكة لا تخاف الا الله وأن المدينة ستغزى وبفتح خيبر على
يد علي في غد يومه وما يفتح الله على أمته من الدنيا ويؤتون
من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وقد قدمنا كثيراً
من ذلك في هذه السيرة وقدمنا ما في القرآن من ذلك وهذا
يغنينا عن الاطالة في هذا المقام فحسبك ما سمعت (ومما) ينير
بصيرتك أيها القارئ مامن الله به على رسولنا من عصمته
له من الناس وكفايته من آذاه قال تعالى (والله يعصمك من
الناس) وقال (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) وقال
(أليس الله بكاف عبده) وقال (انا كفيناك المستهزئين)
ولما نزل (والله يعصمك من الناس) صرف حجابه وقال
انصرفوا فقد عصمني الله وقد قدمنا حديث دعثور وارادته
قتل النبي عليه السلام وعصمة الله لنبينا وذكرنا كثيراً مما
حصل من أبي جهل لما أراد بالرسول المكايد فكفاه الله
شره وما من الله به عليه ليلة الهجرة وحديث سراقة في
الطريق وعلى الجملة فيكفينا من هذا الباب أنه عليه السلام

مكث بين أعداء ألداء بمكة ثلاث عشرة سنة وبين مشابهيهم من المنافقين واليهود عشر سنين فما تمكن أحد من ايصال أذى اليه صلى الله عليه وسلم بل كفاه مولاه شر أعدائه حتى أظهر الدين وتممه والحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده ونسأله ان يوفق قارئ هذه السيرة الى اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه وأنصاره

﴿ تقريظ ﴾

قد اطلع على كتابنا هذا حضرة الكاتب الاديب والشاعر البليغ الشيخ عبد العزيز جاويش المدرس بالمدرسة الناصرية فقال مقرظاً له

حمد الله تعالى حياطة آلائه وشكره اجلال سيد انبيائه وما طويت صحائف الصدور على أحسن حديثاً من كتاب الله القويم ولا طرقت المسامع بأجمل من سيرة نبيه الكريم ولقد أطنب بعض واضعي السير وأتى من الاوضاع مالا يحتمله الخبر ظناً منه ان الفرية تفيد من تكفل الحق تعالى باطرائه واعلائه فوق سمائه وقلما سلم راوية من قيل عليل أو أمن نسب من دعي دخيل ونبي بلغ شأو العلو غني وربك عن الغلو فما

حاجة الاسد الى السلاح المدجج او الغانية الى اللباس المدبج وما الغلو بهائض ولا جابر ولا خاذل ولا ناصر ان كان باريه هو يده التى يبطش بها وعينه التى يبصر بها خلقه فأحسن خلقه وأدبه فأحسن تأديبه ثم تولى حياطته وتقبل يوم الفزع شفاعته ولا ريب ان ميدان السير كثر جواله فما جلى ولا صلى ولكن جهد وتولى وبحر الرواية كثر خائضه فما قطع ولا رجع وكثير من رواة العجم ذهبوا عباديد وجاسوا خلال ديارها عرابيد حتى وطئوا العاقل على الريب من أبنائهم وخدعوا الجاهل بصبغة طلائهم وبديهى ان قصارى الشبع الكظة وأوشكت الشهامة ان تكون غلظة وما زالت الاحقاب تسدل على ذلك سياجها وتغلق دون طالبه رتاجها حتى قيض الله قيد وأبدها وماتح مواردها حضرة الفاضل الشيخ محمد الخضرى فقد خاض عبابها واقتحم قفرها ويبابها لم يلته عن وجهته روع ولم تثنه عتمة ذلك السبيل حتى تنور (بنور اليقين) غيابة ذلك الجب وتوكأ على نكأة عناية الله فى تذليل هذا الامر الصعب ففل بمشحوذ غراره كل حديد واجلب فى تلك الملاحم حتى وهن عن كفاحه كل جليد وسعى فى أثر تلك

الشوارد حتى شكر الله سعيه واعتمد صحاح الاخبار وأنعم فيها رأيه فتجلت بتنقيبه خفايا الحقائق حاسرة ووجوه الدقائق ناضرة ونقض بمعول فكره ما اصطنعته السحرة الاولون وألقى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون وقد تصفحت كتابه الجليل فاذا هو خلو من الدعى والدخيل جمع الى تحرى الصدق صدق التحرى والى جزالة المعنى وجازة الالفاظ والى الافتنان فى أساليبه سلاسة العبارة ومن عرف جامع شتاته ومبدع آياته وأبصر منه تلك الذلاقة والحذاقة والبراعة والبلاغة ركنت نفسه لما نسجته قريحته الوقادة وفكرته النقادة وفقه الله تعالى لما مافيه خير العمل وافسح له فى رقعة الاجل حتى يصون العلم ببذله ويمتع الناس بفضله آمين

ولما تم طبعه أرخه حضرة الفاضل الاديب الشيخ محمد حامد فقال

يامعشر الاسلام هذى سيرة * لبست بذكر محمد ثوب البها
لما بدت بالطبع قلت مؤرخاً * بالسيرة النبوية الدين ازدهى

سنة ١٣١٥

صواب	خطأ	صحيفة	سطر
الغزالى	العزالى	٠٠٤	١٥
الخزرجية	الخزروجية	٠٠٥	٠٩
أم	أمرأم	٠١٠	١٠
يجيز	يحيز	٠١١	٠٩
خديجة	خديجدة	٠١٤	٠٢
سواس	سوس	٠١٤	١٥
ابتدؤا	ابتداؤا	٠١٥	١٥
الالهية	الآلهة	٠١٨	٠٧
يرجف	برجف	٠٣٠	١٤
انبيائه	انبياءه	٠٣٠	١٥
شيئاً	شمأ	٠٤٤	٠٨
الحباب	الحياب	٠٤٩	١٣
رضى	رضا	٠٥٣	١٣
الرسول	لرسول	٠٦١	٠٦
الله	لله	٠٦٤	٠٥
سهم	ذسهم	٦٥	١٧
صحته	بحته	٠٦٦	١٧
اختر ناد	ختر ناه	٠٧٢	٠٥
ردا	را	٠٧٥	١٦
اكرمه	اكرمة	٠٧٨	١١
رأى	ارأى	٠٧٨	١٥

صواب	خطأ	صحيفة	سطر
يمنعون منه	يمنعون به	٠٨٤	١٤
تمنعون منه	تمنعونه به	٠٨٧	٠٥
الطلب	الطب	٠٩٢	٠٢
لقن	للقن	٠٩٢	٠٣
من بلاد منعه أهلها	من منعه أهلها بلاد	٠٩٥	١٥
جوار من بنى	جوار بنى	٠٩٨	١١
للمهاجرين	للهاجرين	١٠٠	١٧
فكرهه	فكرمه	١٠٣	٠٦
باداً	باداء	١١٠	٠١
قوتل	قوتلوا	١١٠	٠٢
زرارة	زرازه	١١٢	١٥
عليه السلام بالمدينة	عليه بالمدينة السلام	١١٦	١٤
اللبن	اللبن	١٣٢	٠٩
ابوسفيان	ابوسفبان	١٤٧	١٤
لقيت	لفيت	١٤٧	١٧
ثم سار	ثم نزل	١٥١	١٣
وينشدن	وينشدون	١٥٣	٠٣
فخرج	تخرج	١٧٠	١٥
فاتقم أولادكم	فاتقم أموالكم	١٧٣	٠٤
تحزب	تخرب	١٨٥	١٦
تملون	تعلون	١٨٦	٠٤
السافلة	السالفة	١٩١	١٤

خيلى	خيلى	٢٢٦	١٧
تدعو	تدعوا	٢٢٨	٠٤
ويعول منها	ويعود منها على	٢٣٤	٠٩
الفتح	الحج	٢٥٥	١٦
قصيدته	قصيدتها	٢٥٧	١٥
فيه	فيهم	٢٨٣	٠٨
اتخذه	اتخذ	٢٩٥	٠٤
بينا	بينا	٢٩٦	١٦
ودعاهم الى الاسلام	ودعاهم الاسلام	٢٩٧	١٢
فابشر	بشرقا	٣٠١	١٧

فهرست

﴿ للمؤلف غير هذا الكتاب تحت الطبع ﴾

(اولاً) اتمام الوفاء بسيرة الخلفاء

(ثانياً) البرهان فى أصول الدين واخلاق القرآن

هـذا الكتاب يطلب من مؤلفه بالمنصوره ومن محمد افندي حبيب صاحب مكتبة الآداب بشارع غيط العدة بمصر ومن حضرة الشيخ محمد الدرينى الكتبي باسكندرية

ثمن الكتاب

١٥ غرش صاغ